



السلسلة الأندلسية

4

ديوان إبراهيم بن الحاج النميري

تقديم وضبط

د: عبد الحميد عبدالله الهرامة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

811.61

ح ا دي

ابن الحاج، أبو القاسم إبراهيم بن عبد الله ، 173-768هـ.

ديوان إبراهيم بن الحاج النميري الأندلسي / تقديم وضبط عبد الحميد عبد

الله الهرامة. - أبوظبي: المجمع الثقافي، 2003.

227 ص، 24 سم. - (السلسلة الأندلسية؛ 4).

ببليوجرافية: ص 227.

يشتمل على كشاف.

1 - الشعر العربي - الأندلس.

أ - عبد الحميد عبد الله الهرامة، محقق.

ب - العنوان.

ج - السلسلة.

© المجمع الثقافي 1424 هـ

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة

ص. ب. 2380 - هاتف: 6215300

Email: nlibrary@ns1.cultural.org.ae

http://www.cultural.org.ae

حقوق الطبع محفوظة للمجمع الثقافي



رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ديوان

إبراهيم بن الحاج النميري الأندلسي

المحتويات

7	الإهداء
9	مقدمة
11	نسبه وحياته
35	منهج العمل
37	الديوان
213	فهارس القوافي
221	فهرس المصادر والمراجع

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الإهداء

إلى الأستاذين العالمين:

المرحوم: عبد الله محمد الهوني

والدكتور: أمين توفيق الطيبي

سَمَتْ بِهِمَا الْأَفْضَالُ فِي مَذْرِجِ الْعُلَا وَطَالَ بِهِمْ دَهْرُ الْمَفَاخِرِ أَغْصُرَا

المحقق

في ندوة التراث المغربي والأندلسي بتطوان سنة 1991⁽¹⁾، ثم عازمت على أن يكون ملحقاً بأطروحتي لدكتوراه الدولة.

وبهذا يكون هذا المجموع قد مكث في دائرة اهتمامي المتقطع ما يزيد على عقد من الزمن، تعرض خلالها للإضافة والتنقيح والتعليق، ورُقن مرتين حتى خرج بهذه الصورة الأخيرة. وقد وقفت في موضع التوسط بين من يرى أن المطلوب في التحقيق هو إخراج النص مجرداً، ولا عبءة بالتعليق والشرح ما لم يكن ذلك متصلاً بتقديم المتن وروايته اتصالاً وثيقاً. ومن يرى أن النص في حاجة إلى حواشٍ وهوامشٍ كثيفة تقومُ متنه، وتضيء إشاراته، وتخرج اقتباساته، وتعرف بأعلامه، وتشرح معمياته، فلم أترك ما رأيته مُهمّاً من هذه الجوانب، ولا أثقلت النص بها في تقديري.

وبالله التوفيق

(1) صدرت أعمال هذه الندوة بعنوان: «التراث المغربي والأندلسي - التوثيق والقراءة - عن كلية آداب تطوان (أبريل 1991)». (انظر نصوص مخطوطة من التراث الأندلسي: 225).

هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى ابن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميري، المعروف بابن الحاج الغرناطي، والملقب ببرهان الدين⁽¹⁾.

وصف بالفقيه، والمحدث، والرحالة، والقاضي العالم، والزاوية والشاعر، والكاتب⁽²⁾. وزادته بعض المصادر أوصافاً أخرى مثل الإمام⁽³⁾، والخطاط⁽⁴⁾، وصاحب العلامة⁽⁵⁾.

ولد ابن الحاج سنة ثلاث عشرة وسبعمئة للهجرة (1313م)، كما جاء في معظم المصادر⁽⁶⁾. غير أن معاصره الصلاح الصفدي كتب في الوافي بالوفيات

(1) ترجمته وأخباره في: الإحاطة: 342\1، نثر فرائد الجمان: 313، نفح الطيب: 534\2، 108\7، 531\5، نيل الابتهاج: 36، المنهل الصافي: 66\1، جذوة الاقتباس: 91\1، الكتيبة الكامنة: 260، الوافي بالوفيات: 40\6، مسالك الأبصار للعمري (نسخة باريس) 215\17، رحلة البلوي، ورقة: 209، الدرر الكامنة: 29\1، المسند الصحيح الحسن، لابن مرزوق: 376، مستودع العلامة: 69، والدليل الشافي: 17\1 لابن تغري بردى (مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم: 1889، وحققه فهيم شلتوت في جزأين بمركز البحث العلمي في أم القرى 1983)، شجرة النور الزكية: 229\1، ربحانة الكتاب: 232-372\2، تاريخ الشعر والشعراء للمنيسي (ط. فاس، ص. 21، وفهرس الفهارس للكتاني: 129، فهارس الخزنة الحسنية: 389\1، نفاضة الجراب (ثلاثة مواضع متفرقة)، فيض العباب وإجالة قداح الآداب (وهي رحلة ابن الحاج صحبة السلطان المريني إلى قسنطينة والزاب) إيضاح المكنون: 160\1، 330، 595، 607، أوصاف الناس: 64، 142، وموضوع عن ابن الحاج لبرميير، وآخر لهوبكنز تجدهما في قائمة المصادر والمراجع، ومجلة المناهل، ع. 38، ص. 163، وأدب الرحلة بالمغرب للحسن الشاهدي: 372\2.

(2) ذكرت هذه الصفات أغلب المصادر السابقة، ومن ذلك المسند الصحيح الحسن لمعاصره ابن مرزوق.

(3) المنهل الصافي: 66\1، وإعلام المراكشي: 178\1.

(4) الكتيبة: 260، والجذوة: 91، والإحاطة: 342\1. وانظر نموذجاً من خطه في هذا الملحق.

(5) مستودع العلامة: 69.

(6) راجع على سبيل المثال: الإحاطة: 362\1، ونيل الابتهاج: 47.

أنه اجتمع به في القاهرة فأخبره أن ولادته كانت سنة اثنتي عشرة وسبعمئة للهجرة⁽¹⁾.

وحظيت حياته بالتسجيل لأبرز أحداثها، فقد ارتسم في سلك كتابة الإنشاء وعمره إحدى وعشرون سنة، ثم انصرف إلى المشرق بعد ثلاثة أعوام من بداية عمله، فمر خلال رحلته بالدول في شمال أفريقية، وأهمها الدولة المرينية بالمغرب، والدولة الحفصية بتونس، ووصل إلى القاهرة سنة ثمان وثلثين وسبعمئة، ثم أكمل رحلته إلى المشرق وعاد بعدها إلى الشمال الأفريقي، فحضر في تونس وفاة السلطان أبي يحيى ابن أبي بكر صاحب الدولة فيها، وتولية ابنه أبي حفص. واستقر به المقام في بجاية فترة، ومنها إلى قسنطينة.

ثم انتقل إلى بلاط السلطان المريني أبي الحسن، فانخرط في سلك الدولة كاتباً بعد الأربعين وسبعمئة، وتجول في معيته أثناء رحلاته داخل المغرب، وحينئذ ألف ابن الحاج «مذكراته» التي تعد مصدراً مهماً لارتساماته عن الحياة الثقافية في ذلك العصر، ولبعض النصوص التي تنفرد بها. ثم قرر العودة إلى المشرق ثانية.

لقد أفاد ابن الحاج من رحلتيه المشرقيتين أداء فريضة الحج ولقاء العلماء، وسجل وقائع إحداهما في صورة رحلة مهمة، وصفها ابن الخطيب بالطرفة⁽²⁾، وقال ابن مرزوق إنها «رَحْلَةُ جَامِعَةٍ فِي عِدَّةِ أَسْفَارٍ»⁽³⁾، ويقول المقرئ: «كَانَ عِنْدِي بِالْمَغْرِبِ مُجَلِّدٌ مِنْ رَحْلَتِهِ الَّتِي بِخَطِّهِ، وَقَدْ آتَى فِيهِ بِالْعَجَبِ الْعُجَابِ»⁽⁴⁾، ونقل منها في «نفحه» نفثاً قليلاً⁽⁵⁾.

وفي رحلتيه المشرقيتين اجتمع بأعلام الفكر في المشرق، وأخذ عن محدثيه،

(1) انظر: الوافي بالوفيات: 40\6، والمنهل الصافي: 1\66.

(2) الإحاطة: 1\344.

(3) المسند الصحيح الحسن: 249.

(4) النفح: 7\109-110.

(5) النفح: 2\532، 535.

قال ابن الخطيب: «وَأَخَذَ فِي رِحْلَتِهِ عَنْ أَنَاسٍ شَتَّى يَشْتَقُّ إِخْصَاؤُهُمْ»، ولذا عدّه الكتاني في أصحاب الفهارس⁽¹⁾، لما في آثاره من تسجيل لأسماء هؤلاء الشيوخ⁽²⁾، وكان من الذين التقى بهم في المشرق: خليل التوزري إمام المالكية بالحرم الشريف⁽³⁾، وشهاب الدين ابن فضل الله العمري⁽⁴⁾ (759هـ / 1349م)، والصلاح الصفدي⁽⁵⁾ (764هـ / 1362م)، وجمال الدين يوسف بن الزكي، عبد الرحمن المزي⁽⁶⁾ (742هـ / 1341م)، والحافظ علم الدين أبو القاسم محمد بن يوسف البرزالي⁽⁷⁾ (739هـ / 1339م)، والحافظ شمس الدين الذهبي⁽⁸⁾ (748هـ / 1348م)، والأمير قطب الدين أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بدر الدين صاحب الموصل⁽⁹⁾، وعماد الدين الكندي الذي أخذ عنه بالاسكندرية⁽¹⁰⁾، والقاضي وجيه الدين يحيى بن محمد الصنهاجي⁽¹¹⁾، وأثير الدين أبو حيان الغرناطي الذي كان في مصر «مَلَجًا وَعُدَّةً»⁽¹²⁾ للمغاربة بعامة. وكان لقاءه لهؤلاء العلماء في مصر أو الحجاز أو الشام أو العراق.

وعاد بعد رحلته الثانية إلى المغرب ليجد أن دولة مخدومه أبي الحسن قد دالت وحلّ محله ابنه أبو عنان، فاشتغل كاتباً في بجاية فترة، أثر بعدها الانقطاع إلى العبادة في تربة الشيخ أبي مدين بن شعيب بتلمسان⁽¹³⁾. ثم أجبر على العمل

(1) فهرس الفهارس والأثبات: 129، عنوان: 19.

(2) من الكتب المشار إليها في هذا الشأن ما رواه عن الأمراء والشيخ الذين رووا عن الملوك والأمراء والشيخ الذين رووا عن الملوك والخلفاء.

(3) النفح: 534\2.

(4) انظر: مسالك الأبصار: 215\17.

(5) الوافي بالوفيات: 40\6.

(6) النفح: 111-110\7.

(7) (8) المصدر نفسه.

(9) النفح: 111\7.

(10) (11) المصدر نفسه:

(12) الإحاطة: 43\3.

(13) الإحاطة: 344\1.

في الدولة المرينية فعاد كاتباً رئيساً ومرووساً⁽¹⁾. وفي هذه الفترة ألف «فيض العباب» ونال الحظوة والتقريب في قصر أبي عنان⁽²⁾. وعند موته عاد إلى الأندلس، وقد وخطه الشيب في السنة السادسة والأربعين من عمره، وقد عُيِّن فيها قاضياً بالتسليم بقرب غرناطة⁽³⁾.

وفي عام ثمانية وستين وسبعمئة أرسل في سفارة عن ابن الأحمر إلى صاحب تلمسان، فوقع في أسر العدو بأحواز جزيرة حبيبة من جهة وهران، ثم تخلص من المحنة بعد خمسة عشر يوماً من وقوعها «بفدية تَنيفُ على سَبْعَةِ آلافٍ مِنَ الْعَيْنِ»⁽⁴⁾.

ويطالعنا في كتابه «مزاين القصر» نص مهم يؤكد أن الشاعر كان ما يزال ب قيد الحياة سنة 776هـ، فقد مدح السلطان الغني بالله بمناسبة افتتاح حضرة فاس للمرة الأولى سنة 776هـ⁽⁵⁾.

وفي هذا النص نجد دليلاً على حبه للحياة، ورغبته في الخدمة بالقصر، وهو ما ينبىء عن قوة بدنية تسمح بانفساح الأجل في الظروف الاعتيادية إلى ما بعد الثمانين وسبعمئة. وبهذا الدليل تنتقض كل التحديدات السابقة، التي تشير إلى وفاته قبل هذا التاريخ، وتنسب مصادرها إلى بعض القدامى والمعاصرين، منهم ابن حجر العسقلاني الذي قال: «وَأَنْقَطَعَ فِي تُرْبَةِ الشَّيْخِ أَبِي مَدِينٍ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي سَنَةِ 64 أَوْ 765هـ»⁽⁶⁾. وإسماعيل البغداي الذي حدد وفاته بسنة 770 هـ، وهو ما فعله محمد عبد الله عنان في فهرس التاريخ بالخزانة الحسينية⁽⁷⁾، وبلنثيا الذي

(1) الإحاطة: 1\344-345، والتعريف بابن خلدون: 43، والمسند الصحيح: 249.

(2) نثير فرائد الجمان: 313.

(3) الإحاطة: 1\345.

(4) نفسه: 1\363، وتطلق «العين» على العملة من الذهب والفضة، والغالب أن المراد هنا هو الذهب.

(5) مزاين القصر: 28 ب.

(6) الدرر الكامنة: 1\29.

(7) فهرس الخزانة الملكية: 389. Conzalez Palencia de literatura, Arabigo-Espanole, First edition. ولكنه أغفل في الطبعة الثانية كل مرجع إلى ابن الحاج.

قال إنه توفي سنة (762 هـ / 1360 م)، وأشار الزركلي إلى وفاته سنة 768 هـ، وحدد د. الحسن الشاهدي تاريخ وفاته ما بين 770 هـ، وتاريخ تقديم «فيض العباب» الذي قدم لأبي فارس (796 هـ و 799 هـ)، وأشار محقق «الفيض» إلى وفاته بعد سنة (774 هـ) ولعله اعتمد في ذلك على نص في الكتيبة صريح حول بقاءه على قيد الحياة في أواخر هذه السنة⁽¹⁾.

ويظل أقرب المعاصرين تحديداً لتاريخ الوفاة هو «هوبكنز» الذي استشف من كون الشاعر أستاذاً لابن عاصم صاحب «تحفة الحكام» أن يكون على قيد الحياة سنة (780 هـ / 1378 م) وذلك لأن ابن عاصم كان قد بلغ العشرين من عمره بحلول هذه السنة، ثم قال: «وَلَعَلَّ وَفَاتُهُ حَدَّثَتْ مَا بَيْنَ (780 هـ - 790 هـ)»⁽²⁾ ولكنه لا يدعم رأيه هذا بغير ما ذكره عن ابن عاصم.

وتأكيداً لهذا الاحتمال، نجد أن ابن عزم يقدم نصوصاً من شعر ابن الحاج مصحوبة بالدعاء له بالرحمة دليلاً على وفاته في ذلك التاريخ⁽³⁾، فإذا علمنا أن مختاراته أُلِّفَتْ حوالي سنة 793 هـ ترجَّح أن يكون الحد الأعلى الذي وضعه «هوبكنز» معقولاً، وكذلك الحد الأدنى الذي يؤيده نصُّ «المزاین»، وبذلك يصبح تحديد وفاته في غضون العقد التاسع من القرن السابع هو المرجَّح عندي حتى يتم العثور على نص أكثر تحديداً وتوثيقاً.

أسرته

عُرفت أسرة ابن الحاج بأصالتها واتصالها بمجالات العلم والسياسة، وقد اشتغل أعلام منها بالكتابة في ديوان الإنشاء، إذ قال إسماعيل بن الأحمر في تعريفه بالشاعر هو «الْفَقِيْهُ الْكَاتِبُ صَاحِبُ الْقَلَمِ الْأَعْلَى إِبْرَاهِيْمُ بْنُ الْفَقِيْهِ الْكَاتِبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَقِيْهِ الْكَاتِبِ إِبْرَاهِيْمِ»⁽⁴⁾، وقال لسان الدين بن الخطيب: «بَيْتُ نَبِيٍّ، يَزْعَمُ مَنْ يُعْنَى بِالْأَخْبَارِ أَنْ جَدَّهُمُ الدَّاخِلُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ثَوَابَةُ بْنُ حَمَزَةَ

(1) الكتيبة: 15، وفيض العباب: 18.

(2) J.F.P. Hopkins "An Andalusin Poet..." (School of an African Studies, 24 (1961), p.57).

(3) مختارات ابن عزم: 25.

(4) نثير فرائد الجمال: 314.

النميري»⁽¹⁾.

وقد تولى أخوه أبو عمرو محمد خطة بلوثة، واندرش، ومالقة، ومهام أخرى في المرية وغرناطة، وأسند إلى إبراهيم بن محمد هذا النظر في زمام العسكر الغربي وهو الذي جمع رحلة عمه المسماة بـ«فيض العباب» وقدمها إلى أبي عنان راجياً بها عنايته التي أسبغها على عمه ووالده «فالعبدُ يَرْغَبُ في تجديد ما جَرَتْ بِهِ الْعَوَائِدُ مِنَ الْعِنَايَةِ بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ بِالْعَمِّ وَالْوَالِدِ، لِيَلْحَقَنِي مَا لَحِقَهُمَا مِنَ الْحُرْمَةِ وَالرَّعَايَةِ»⁽²⁾.

وكما أشاد ابن الخطيب بنسب الأديب من جهة أبيه، أشاد بنسبه من جهة أمه، فقال: «مُعَمَّى مُخَوَّلًا فِي الْعِنَايَةِ»⁽³⁾ وهي إشارة إلى أخواله بني عاصم، ومنهم أبو عبد الله بن عاصم الفقيه الكاتب الذي رثاه الشاعر بنونية وصفت بأنها بارعة، وإنها لكذلك⁽⁴⁾، ومنهم أبو بكر محمد بن أبي محمد المذكور وهو مؤلف تحفة الحكام وأحد تلاميذ الشاعر⁽⁵⁾.

آثاره العلمية

يبدو أن لجميع الصفات العلمية التي خُلت على ابن الحاج ما يؤيدها في تراثه العلمي، فهو أديب بليغ وله من تراثه في ميدان الأدب والبلاغة:

- 1 - ديوان مزاين القصر ومحاسن العصر.
- 2 - كتاب التورية على حروف المعجم.
- 3 - كتاب شرح فيه شطر الحماسة لأبي تمام.

(1) الإحاطة: 1\342.

(2) فيض العباب: 1.

(3) الإحاطة: 1\343.

(4) نثير الفرائد: 314. وله في خاله مريثة أخرى دونها في مذكراته. (مخطوطة الاسكريال رقم: 734، ص. 45).

(5) انظره في: النفع: 7\169، والأزهار: 2\19، ونيل الابتهاج: 491، وشجرة النور الزكية: 247، ومقدمة جنة الرضا: 1\40.

- 4 - مثاليث القوانين في التورية والاستخدام والتضمين .
- 5 - شعر كثير في مصادر مختلفة يدل عليه قول ابن الخطيب بأنه كان «لَا يَغِبُّ النَّثْرَ وَالنَّظْمَ وَلَا يُعْفِي الْقَرِيحَةَ»⁽¹⁾ وقد بقي منه جزء في مصادر مخطوطة ومطبوعة .
- 6 - رسائله الإخوانية والديوانية وقد بقيت نماذج منها في «الإحاطة» و«النفح» و«نفاضة الجراب» . وفي محفوظات التاج «الأرجواني» رسالة تحمل رقم (52) صادرة عن أبي الحسن علي المريني بتاريخ 746هـ، يرجح أنها بخط ابن الحاج نفسه⁽²⁾، لأنه كان الكاتب المقرب إلى أبي الحسن في هذه الفترة، ولتشابه خطها مع خط المذكرات .
- وكان المؤلف قد انقطع فترة من حياته للعبادة، مؤثراً حياة التصوف والنسك، فألف بتأثير هذه النزعة في نفسه :
- 7 - كتاب اللباس والصحبة، وهو الذي جُمعت فيه طرق الصوفية، حتى ظن أنه لم يُجمع مثله في باب⁽³⁾ .
- 8 - وجزءاً في بيان اسم الله الأعظم، ذكر ابن الخطيب أنه عظيم الفائدة⁽⁴⁾ .
- 9 - و«روضة العباد المستخرجة من الإرشاد» وقد جاء في الإحاطة، بتحقيق أ. عنان، ما يفيد أنه مستخرج من «الإرشاد» لأبي محمد الشافعي، ولعله مستخرج من «الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز» لعبد الله بن أسعد اليافعي المتصوف⁽⁵⁾ . وعلى ذلك يكون الخطأ من المحقق وليس من ابن الخطيب لقرب كلمة الشافعي من اليافعي .
- كما كان ابن الحاج محدثاً راوياً للأحاديث، وله مما يؤكد هذه الصفة من تراثه :

(1) الإحاطة : 323\1 .

(2) نهاية الأندلس : 135 .

(3) الإحاطة : 347\1 .

(4) الإحاطة : 347\1 .

(5) ترجمته في : طبقات الشافعية للسبكي : 210\6، والدرر الكامنة : 247\20، والبدر الطالع : 378\1 .

10 - كتاب الأربعين حديثاً البلدانية، والمستدرک علیها من البلاد التي دخلها وروی فيها زیادة عن الأربعین .

11 - وكتاب الأربعین حديثاً التي رواها عن الأمراء والشیوخ الذين رووا عن أمثالهم من الخلفاء، والخاتمة الملحقة بهذا الكتاب فيما رواه عن الملوك والأمراء .

12 - وجزء في تبیین مشكلات الحديث الواصلة من «زید» الی مكة .
ومترجمنا رحالة جاب الكثير من البلدان، فسجل مشاهداته ودون أحداثاً سياسية أو طبيعية أو ثقافية بارزة في مؤلفاته التالية:

13 - رحلته إلى الحج، وقد وصفها ابن الخطيب بأنها طرفة⁽¹⁾، ووصفها ابن مرزوق بأنها جامعة في عدة أسفار⁽²⁾ .

14 - و«فيض العباب وإجالة قداح الآداب في الحركة إلى قسنطينة والزاب» وهي الرحلة التي قام بها صحبة أبي عنان فارس بن علي المريني عام 758هـ، ذكرها ابن الخطيب بعد الإشارة إلى الرحلة السابقة وأطلق عليها صفة التأليف، وقد تقدم أنها نُشرت بتحقيق د. محمد بنشقرون في الرباط سنة 1984م .

15 - ومذكرات ابن الحاج أثناء رحلته صحبة أبي الحسن المريني في بعض المدن المغربية، (مخطوطة في الاسكوريال في قسمين يحملان رقم: 1734 و483) وهي التي حققها برميير لنيل درجة الماجستير . .
أما صفة الظرف وحسن الدعابة التي أطلقت على ابن الحاج فيقابلها في تأليفه:

16 - كتاب المساهلة والمسامحة في تبیین طرق المداعبة والممازحة .

17 - وله رسائل وأشعار في «النفع» و«الإحاطة» وغيرهما⁽³⁾ .

(1) الإحاطة : 1\344 .

(2) المسند الصحيح : 376 .

(3) انظر مثلاً: النفع : 9\317، والإحاطة : 1\355 وما بعدها .

وهو، بجوار الصفات المتقدمة، فقيه قاض تولى القضاء في الأحكام الشرعية وألف فيها:

18 - رجزه في الأحكام الشرعية المسمى «الفصول المقتضية في الأحكام المتخبة».

19 - رجزه في الفرائض.

وله كتب أخرى ربما دلت على صفات غير ما تقدم، أو كانت لها صلة بالصفات السابقة، وقد أدى عدم التفصيل في ذكرها إلى إيرادها هنا بحسب ذلك الإيجاز الذي اختصها به ابن الخطيب في الإحاطة، وهي:

20 - رجز في الجدل.

21 - رجز صغير في الحجب والسلاح.

22 - إيقاظ الكرام بأخبار المنام.

23 - تنعيم الأشباح بمحادثة الأرواح.

24 - كتاب الوسائل ونزهة المناظر والخمائل.

25 - الزهرات وإجالة النظرات.

26 - نزهة الحدق في ذكر الفرق.

شعره

كَلِفَ ابن الحاج النميري بالأدب منذ نعومة أظفاره⁽¹⁾ حتى صار معدوداً في المكثرين من الشعراء⁽²⁾، ويبدو أن القدر الأكبر من شعره قد بات في حكم المفقود، وذلك لأن أشعاره الباقية محدودة الأغراض بعكس ما عُرف عن نتاجه من غزارة المادة وتعدد الفنون، وهو ما عبر عنه ابن الخطيب بقوله: «وَأَدْبُهُ طَمَّ وَرَمَّ، وَحَدَثٌ، وَهَمٌّ، مُعْمَلُ التَّخْيِيرِ يَرْمَى بِالتَّخْيِيرِ، لِكَثْرَةِ عُيُونِهِ، وَغَزَارَةِ عُيُونِهِ، وَتَعَدُّدِ فُنُونِهِ، وَتَعَاقُبِ زُهْرِهِ وَجُودِهِ»⁽³⁾.

(1) أو صاف الناس: 64.

(2) أنظر: الكتيبة: 260، والنفع: 109\7، وأوصاف الناس: 142.

(3) الكتيبة: 261. الزُّهْر: البيض، والجُون: السُّود، وهما جمعان.

ثم إن هذا الذي وصلنا ينتمي في معظمه إلى فترة حكم الغني بالله، وقد عاش الشاعر قبلها ما يقرب من خمسين سنة، تكونت فيها أدواته الفنية، وعُرف خلالها بالمشاركة في مجالي النثر والشعر⁽¹⁾.

وقد تحصل من جمع نتاجه الباقي وتحقيقه واحد وعشرون ومئة عمل بين قصيدة ومقطوعة، تشتمل على أغراض المدح والرثاء، ومقطوعات التورية والتضمين، ثم تأتي بعض الموضوعات الأخرى بصورة ثانوية وقليلة.

ويندر أن تجد في شعره الهجاء، وتلك طبيعة العصر، ولكنه يفخر بأن انعدام هذا الغرض من شعره خصوصية تبعث على العجب من شاعر وكاتب سر: [طويل].

لِي الْمَدْحُ يُرَوَى مُنْذُ كُنْتُ كَأْتَمًا تُصَوِّرْتُ مَدْحاً لِلْوَرَى وَثَنَاءَ
وَمَا لِي هِجَاءٌ فَاعْجَبَنَّ لِشَاعِرٍ وَكَاتِبٍ سِرًّا لَا يُقِيمُ هِجَاءً⁽²⁾

وابن الحاج متفاوت الشعر، يعلو فيه ويسف، وربما تعلق ذلك بحالته النفسية وظروف التأليف، وقد حكم أدباء غرناطة بعلو كعبه في الأدب حيناً وبتراجع طبعه في بعض المولديات التي أنشدتها أمام الغني بالله⁽³⁾. وله بعض الصور الطريفة التي تأخذ بالألباب وبعض التشبيهات النازلة، والصور التي تفتقد منطقية التأليف، الأمر الذي يعكس تأثير الحالة النفسية على أعماله، ويسبب في تفاوت المستوى الفني بينها. وربما فسر ذلك ما قاله ابن الخطيب من «تَعَاقُبِ زُهْرِهِ وَجُودِهِ».

وقد عاش النميري في عصر امتزجت فيه خصائص الاتجاهات الأدبية الرئيسة في الشعر العربي، مع غلبة تأثير الاتجاه المحافظ المجدد، الذي احتفظ بملامح طريقة القدماء وجدد في إظهارها. وأدرك الأدباء في عصر الشاعر وجود خصائص الاتجاهين في شعره، وعبروا عنه صراحة في مثل قول ابن مرزوق: «لَهُ التَّقَدُّمُ

(1) أنظر مثلاً عن شعره قبل هذه الفترة في: المذكرات رقم: 1734، ص. 45.

(2) الكتيبة: 266.

(3) النفاضة: 301\3.

فِي طَرِيقَةِ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَالْمُحَدِّثِينَ»⁽¹⁾. وَضِمْنَا فِي مِثْلِ قَوْلِ ابْنِ الْخَطِيبِ: «فَتَجَمَّ وَبَرَعَ وَتَمَّمَ الْمَعَانِي وَاخْتَرَعَ... مِنْ بَلِيغٍ يُطَارِدُ أَشْرَابَ الْمَعَانِي فَيَقْتَنِصُهَا، وَيَغْوِصُ عَلَى الدَّرْرِ الْفَرِيدَةِ فَيُخْرِجُهَا، وَيَسْتَخْلِصُهَا، بِطَبْعٍ مَذَاهِبُهُ دَافِقَةٌ»⁽²⁾. فَاِلْخْتِرَاعُ وَالْغَوْصُ عَلَى الْمَعَانِي مِنْ خَصَائِصِ الْمُحَدِّثِينَ، وَالطَّبْعُ الْمَتَدَفِّقُ مِنْ خَصَائِصِ الْقَدَمَاءِ.

وِدَاخِلُ هَذَا الْإِطَارِ الْمُحَافِظُ الْمُجَدِّدُ، كَانَ هُنَاكَ مَا يَشْبَهُ الْمَدَارِسَ الْفَنِيَّةَ فِي غَرْنَاطَةِ، مِنْهَا مَا يُمْكِنُ أَنْ نَسْمِيَهُ مَدْرَسَةَ الْبَيَانِ، وَيُمَثِّلُهَا شَعْرُ ابْنِ الْخَطِيبِ وَابْنُ زَمْرَكٍ، وَمَدْرَسَةُ الْعُرُوضِ أَوْ النِّظْمِ، وَمُمَثِّلُهَا تَلَامِيذُ ابْنِ عَبْدِ النُّورِ وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ، وَمَدْرَسَةُ الصَّنْعَةِ وَمَنْ أَعْلَامُهَا الْمُسْتَحْيِي وَابْنُ الْحَاجِّ النَّمِيرِيِّ وَابْنُ خَاتَمَةِ الْأَنْصَارِيِّ.

وَيَعُودُ مِيلُهُ لِهَذِهِ الْمَدْرَسَةِ، فِي نَظَرِي، إِلَى اتِّصَالِهِ بِالْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ، حَيْثُ يَتَسَمَّى الشَّعْرُ فِي الْبَيْتَيْنِ بِالصَّنْعَةِ الْبَدِيعِيَّةِ خِلَالَ الْقَرْنِ الثَّامِنِ الْهَجْرِيِّ⁽³⁾، وَهُمَا فِي ذَلِكَ تَخْتَلِفَانِ عَنِ الْبَيْتَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ الَّتِي يَغْلِبُ عَلَيْهَا الْاهْتِمَامُ بِالْبَيَانِ⁽⁴⁾.

مصادر شعره

تَتَكُونُ مَصَادِرُ شَعْرِ النَّمِيرِيِّ مِنْ مَوْلاَفَاتِهِ، وَمَوْلاَفَاتٍ مُعَاَصِرِيهِ، وَبَعْضُ الْمَصَادِرِ التَّالِيَةِ لِعَصْرِهِ. وَفِي الصَّفَحَاتِ التَّالِيَةِ مَلَاَحِظَاتٌ عَلَى هَذِهِ الْمَوْلاَفَاتِ، تَخْتَلِفُ فِي اتِّسَاعِهَا، بِاخْتِلَافِ مَسْتَوَى مُشْتَمَلَاتِهَا مِنَ النُّصُوصِ، وَصَلَّتْهَا بِالشَّاعِرِ وَعَصْرِهِ...

أولاً: مؤلفاته:

أَهَمُّ مَا وَصَلْنَا مِنْ مَوْلاَفَاتِ ابْنِ الْحَاجِّ النَّمِيرِيِّ، مِمَّا لَهُ صِلَةٌ بِشَعْرِهِ: دِيْوَانُ

(1) المسند: 374.

(2) الإحاطة: 1\345.

(3) انظر: المقدمة لابن خلدون: 3\1275 وفيه أن المغاربة اختصوا بالبديع. والنقد الأدبي في القرن الثامن الهجري: 186 وفيه أن الصنعة البديعية كانت الهواء الذي يتنفسه الأدباء في المشرق.

(4) بسطت القول عن هذا الأمر في مظانه من مباحث القصيدة الأندلسية.

«مزاين القصر»، ورحلته «فيض العباب» و«المذكرات» وقد تيسر الاطلاع على أصولها المخطوطة بفضل الله، وهذه بعض الملاحظات عليها:

1 - مزاين القصر ومحاسن العصر في مدح أبي عبد الله بن نصر تأليف الأديب إبراهيم بن عبد الله بن الحاج .

هكذا جاء عنوان هذا الديوان في مخطوطته الوحيدة الباقية - فيما نعلم - وفيه إثبات لنسبة الكتاب إلى عصر محدد، ومؤلف غير مشترك النسب مع غيره في ذلك العصر، وغرض واحد استغرق الكتاب بكامله، وهو المدح المشوب في مقدمته أو ثنياه بأغراض أخرى أحياناً.

وتلفت النظر في العنوان كلمة «مزاين» التي قرأها كل من أشار إلى هذا المخطوط في الدراسات السابقة، بلفظ «القرائن» وفي أصحاب هذه الدراسات عرب ومستشرقون⁽¹⁾.

وقد وقعت في هذا الخطأ عندما عرفت بالمخطوط في «ندوة التراث المغربي الأندلسي» بتطوان⁽²⁾، متأثراً بالمراجع المتنوعة التي ذكرته، وما جرى على السنة بعض العلماء في المجالس الخاصة، متوقعاً أن يكون ذلك منطلقاً من رجوعهم إلى مصادر لم أقف عليها.

كل ذلك مع ملاحظتي أن القاف كتبت ميماً بشكل واضح، ولكن تعلوها نقطتان ترجحان كون ذلك الحرف قافاً في الأصل، ولم تكن النقطتان في الواقع سوى نقطتي الياء من «مزاين» كما يظهر من العنوان الذي نعرضه في الصفحة المخصصة للعنوان المخطوط، (انظر صورة من المخطوطة) ومن الإنصاف القول بأن مصدراً شفهيّاً واحداً حوّل الشكوك التي في نفسي إلى يقين، ذلكم هو الأستاذ العالم عبد القادر زمامة، فهو على الرغم من إثباته لعنوان «القرائن»

(1) انظر أمثلة على ذلك في: دائرة المعارف الإسلامية: (Bulletin of the EI2 Vol III, p.780. (1961). p.57. School...)) 24. ورحلة فيض العباب: 41، ومجلة المناهل، العدد: 38، ص.

171، ومذكرات ابن الحاج (مقدمة التحقيق): 40، وأدب الرحلة بالمغرب 2\378، وانظر أعلام الزركلي، ومعجم المؤلفين لكحالة.

(2) التراث المغربي والأندلسي (التوثيق والقراءة) جامعة عبد الملك السعدي.

بالقاف في آخر أبحاثه⁽¹⁾، أبلغني شكه في انتماء هذه المفردة إلى عصر الشاعر⁽²⁾، وعندما عرضت عليه قراءة «مزاين» اقترح التثبت من وجود الكلمة في المعاجم وأساليب شعراء القرن الثامن.

ولم يكن الكشف عن الكلمة في المعاجم مشكلاً، فقد ثبت وجود هذا الجمع واستعماله في الأساليب العربية، وبقي الكشف عن تداول هذه المادة في شعرهم المتعلق بالزخارف المعمارية، حسبما يدل عليه العنوان، وقد اهتمت من ذلك إلى نصوص نقشت على الحمراء نفسها، كقول ابن الجياب: [كامل].

قَدْ زَيْنَ الْحَمْرَاءَ هَذَا الْمَصْنَعُ هُوَ لِلْمُسَالِمِ وَالْمُحَارِبِ مَرْبَعٌ⁽³⁾
وقوله:

زَيْنَتْ بِهِ الْحَمْرَاءُ حَتَّى إِنَّهَا تَزْهَى بِحُسْنِ حُلَاةٍ زَهْوٍ مِنْ انْتَشَى⁽⁴⁾
على أن الأهم من ذلك ما يضعه الاتصال بتاريخ هذه الفترة أمام الدارس من استنتاج مفاده أن الغني بالله قد اقترن اسمه بإضافات كثيرة على قصور الحمراء يغلب عليها التزيين مع وجود التأسيس، ويبدو أنه كان يريد أن يمحو ما علق بجدران قصوره من شعر لسان الدين بن الخطيب، بعد فراره إلى المغرب، فقد صار الرجل مبغضاً بعد تمكين وتقريب، فلا غرابة أن نتصور أن عناية السلطان بإعادة تزيين قصره كانت لإبعاده ما يذكر به، ويعوّضه عن شعره بنصوص أخرى للشعراء الموالين، وهنا يسمح الخيار بتصور المنافسة على الخطوة بذلك الشرف بين شعراء غرناطة.

وأكثر من تراودهم فكرة المساهمة في ذلك التزيين هما ابن زمرك وزير الغني بالله وشاعره وغريم ابن الخطيب، ثم إبراهيم ابن الحاج هذا، الذي توحى بعض نصوصه الشعرية بأنه صار يعاني الخصاصة، مقارنة بحياته الرغدة التي كان

(1) أبو إسحاق النميري الغرناطي، مجلة المناهل، ع. 38، ص. 171.

(2) كان ذلك في منزلي بالرباط سنة ثلاث وتسعين وتسعمئة وألف.

(3) أشعار عربية على جدارن وناפורات الحمراء: 141.

(4) نفسه: 139.

ينعم بها منذ عهد طويل في خدمة الملوك، ومن تلك النصوص قوله: [طويل].

أَمْوَلَايَ حَالِي مَا عَلِمْتَ وَإِنِّي لَا زُجُوكَ بَعْدَ اللَّهِ غَيْباً وَمَشْهَدًا
فَكُنْ مُظْهِراً لِلْعَبْدِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَأَنْجِزْ لَهُ يَا أَكْرَمَ النَّاسِ مَوْعِدًا
وَعُدْ لِلَّذِي عُوذْتَ يَا خَيْرَ مُنْعِمٍ وَأَفْضَلَ مَنْ فِي فَضْلِهِ جَاوَزَ الْمَدَى⁽¹⁾

وهي نصوص تجتمع على إظهار شكوى الحال في فترة اشتدت فيها حاجته إلى القصر، أو وضع فيها جفاء القصر له، مع رغبته الملحة في الخدمة ببلاطه: [كامل]

وَإِذَا دَعَوْتُ لِخِدْمَةٍ فَأَنَا الَّذِي آتِي عَلَى وَجْهِهِ إِلَيْكَ وَرَأْسِي⁽²⁾

وخلاصة الاستنتاج، أن تزيين الحمراء كان مطلباً سلطانياً، أريد له أن يكون موضع تنافس الشعراء، فكتب فيه شاعرنا مثلما كتب غيره، وجمع ما سبق له من مدائح في الغني بالله، ورتبها على حروف المعجم، وأكمل النظم في الحروف التي لم يكن فيها سابق نظم، وبذلك تحصل له ديوان «مزائن القصر» مؤملاً اختياره لتزيين أبيته.⁽³⁾

ويعزز ذلك أنه أعد قصائد تناسب الزخرفة المعمارية، كتلك الميمية التي كرر جناساً متميزاً في أبياتها البالغة ثمانية وثلاثين بيتاً، باستثناء بيت واحد. وتدل نظرة عجلَى إلى أَلِفَاتِ هذه الجناسات، وقوافي القصيدتين الكافية واللامية في «المزائن» على وضوح إرادة التزيين المعماري بالألفاظ.⁽⁴⁾

ولكن ابن زمرك كان أحظى في نفس الغني بالله من ابن الحاج، كما كان شعره أجود تأليفاً وأصدق تعبيراً عن حياة وشخصية الممدوح، فلقي قبول الأمير، وفاز بالتدوين على جدران القصر ليدو في آثاره الباقية وكأنه شاعر

(1) انظر توثيق الحركة المعمارية في هذه الأطروحة.

(2) نفاضة الجراب: 154/3.

(3) المزائن: 29 أ.

(4) المزائن: 18, 17, 16.

الحمراء بلا منازع⁽¹⁾، وما ذلك إلا نكاية بابن الخطيب، وإمعاناً في إقصاء آخر ما يذكر البلاط النصري به.

ويبدو أن القيمة الفنية لم تكن وحدها وراء تفضيل ابن زمرك على ابن الحاج في هذا العمل، فبعض أشعار النميري توحى بأنه كان ضحية سعاية رجل من فاس لدى السلطان، كقوله: [طويل]

وَدَعُ عَنْكَ مَا قَالَ الْعَدُوُّ فَإِنَّهُ بِفَاسٍ أَتَى بِالزُّورِ فَعَلَ تَعْمُدِ
رَمَانِي بِدَاءٍ وَهُوَ وَاللَّهُ دَوَاءُهُ وَإِنْ يُسْأَلِ الْحَقُّ الَّذِي بَانَ يَشْهَدِ
وَكُلُّ الَّذِي زَكَّاهُ فِي الْغَرْبِ حَاسِدٌ مَتَى نِلْتُ خَيْراً مِنْكَ، مَوْلَايَ، يَكْمَدُ⁽²⁾

ولكن السلطان لا يبدي، فيما يظهر، مواخضة في صورة عقاب، ولا يعكس صفحه في صورة ثواب، وقد ترك هذا الوضع شاعرنا معلقاً بين الرجاء والخوف، ويظهر ذلك في نصوص أخرى، منها قوله: [كامل]

مَوْلَايَ إِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ مَادِحاً وَعَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ جِئْتُ دَخِيلاً
فَاضْفَحْ وَكُنْ لِي مِنْ قَبُولِكَ مُظْهِراً يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ جَمِيلاً⁽³⁾
ولذلك نراه يطلب الصفح هنا بدافع الخوف، ويطلب الخدمة في مواضع أخرى بدافع الرجاء: [كامل]

وَبِخِذْمَةٍ لَكَ لِي أَجَلٌ تَشْرُفُ أَثْوَابُهُ جَلَّتْ عَنِ الْأَذْنَانِ⁽⁴⁾
ويبدو أن علاقته بابن الخطيب كانت سبباً في استقباله في عهده «بِبرٍّ وَجَرَايَةٍ وَتَنْوِيهِ وَعِنَايَةٍ»⁽⁵⁾. وفي عهده استعمل في السفارة إلى الملوك⁽⁶⁾، وما إن أفل

(1) كتب غارسيا غومس موضوعاً عنوانه «ابن زمرك شاعر الحمراء» بتأثير ما وجد على جدران من أشعار تنتمي إلى هذه الفترة.

(2) نفاضة الجراب: 128\3.

(3) المزاین: 32.

(4) المصدر السابق: 29 أ.

(5) (6) الإحاطة: 345\1.

نجم ابن الخطيب حتى خبأ ذكر ابن الحاج النميري وآل حاله إلى وحشة وخصاصة، ثم انقطعت أخباره.

وهكذا، فالمزاین يعد مصدراً مهماً لحياة الشاعر وصلته بالقصر في فترة قل فيها التدوين التاريخي، فضلاً عن أنه يحتوي على خمسين ومئتين. وألفي بيت، تجعله في مقدمة مصادر شعره الباقية، من حيث الكم.

وقد وصلتنا - فيما نعلم - نسخة وحيدة من هذا الديوان، هي المحفوظة بالمتحف البريطاني، تحت رقم: 5670 وتضم اثنتين وثلاثين ورقة، متوسط أسطر الصفحة الواحدة منها عشرون سطراً، كتبها ناسخ مجهول في القرن العاشر الهجري، برسم ينتمي إلى الخط الأندلسي في مراحلها الأخيرة⁽¹⁾.

وكتب في آخر المخطوطة بخط متميز ما يفيد تمام النسخ ليلة الأحد في شهر شعبان، بعد انقضاء نصفه، لكن التاريخ بالأعوام لم يكن بذلك الواضح، فقد رسم على الشكل التالي: (عام 424) وقد استعنت في قراءته بالعالم الجليل الأستاذ محمد المنوني، الذي رجّح أن يكون الانتهاء من النسخ عام خمسة وستين وتسعمئة للهجرة، مقارنة لهذه الأرقام بمثيلاتها من أرقام الطبقات الحجرية، فأتى بما يقنع ويفيد، جزاه الله كل خير.

وقد دلت الأخطاء الإملائية، والإضافات الهامشية، وما عليها من توقيعات بكلمة «أصل» على أن ما بين أيدينا نسخة عن الأصل. وهي نسخة سليمة من الخروم والتشويهاات والرطوبة، ولكن ما فيها من التصحيقات والأخطاء الإملائية يضطر محققها إلى الاستعانة بالمصادر الأخرى والمعاجم اللغوية والاجتهادات في القراءة مرات متعددة.

أما عن المحتوى، فتتكون مخطوطة المزاین من تسع وعشرين قصيدة مرتبة على حروف الهجاء، ومتفاوتة في الطول، وهي جميعها في المدح كما يفهم من عنوانها.

(1) انظر تاريخ الوراقة المغربية للأستاذ المنوني: 45.

ومخطوطة «المزاین» واضحة النسبة لمؤلفها من خلال قرائن مختلفة، منها وجود نصوص فيها ضمن أشعاره في المصادر الأخرى، وهو ما تتولى توضيحه التعليقات المثبتة في حواشي البحث. . ومنها وضوح أسلوبه المتميز الذي يكاد ينسحب على آثاره الشعرية كلها، ومنها ترتيب الديوان على حروف المعجم، واقتصار كل حرف على قصيدة واحدة، الأمر الذي ينفي وجود الدخيل.

غير أن أبرز هذه الأدلة على نسبة الديوان إلى المؤلف يتمثل في ثبوت نسبة الكتاب صريحة إليه، كما يظهر من العنوان، وتأكيد ضميره في كل قصيدة بعد ذلك.

ومجموع هذه الأدلة يقلل من روح الشك التي بثها «هوبكنز» أثناء معالجته لنسبة الكتاب إلى ابن الحاج في دائرة المعارف الإسلامية⁽¹⁾، وإن كان قد كتب أفضل من ذلك بكثير في مجلة كلية الدراسات الشرقية والأفريقية⁽²⁾.

2 - مذكرات ابن الحاج النميري

هي مذكراته التي سجلها في رحلته في معية السلطان أبي الحسن المريني سنة خمس وأربعين وسبعمئة للهجرة، وزار فيها سبتة وقصر الحجاز، وطنجة، وأصيلة، وفاساً، وسلا، فسجل تراجم ونصوصاً نثرية وشعرية لمن لقيهم في رحلته، مع أسانيد وإفادات أخرى كان يود أن يجعل منها مسودة عمل مهم على ما يبدو، ولذا قال عبارته المنهجية «وَلِلتَّقْمِيشِ وَقْتُ غَيْرِ وَقْتِ التَّقْمِيشِ»⁽³⁾.

اعتمدت في مطالعة هذه المذكرات على صورة من مكتبة الاسكريال تفضل بمنحها لي أخي الكريم الدكتور عبد السلام شقور مشكوراً، وهي تتكون من قطعتين، تحمل الأولى رقم 734، من فهرس بروفنسال، وتشتمل على (46) ورقة.

أما القطعة الثانية فتحمل رقم 183، من فهرس دير نيبورغ وتشتمل على (45)

(1) EII2 Vol III, p.780.

(2) Bulletin of the School of Oriental and African Studies: pp. 57-64.

(3) مذكرات ابن الحاج، بتحقيق برمير: 34.

والقطعتان بخط المؤلف في الغالب، إذ هما مسودتا عمله، فيهما من الكشط والنسبة إلى الذات ما يؤكد صلتهم به .

وقد اعتنى الأستاذ ألفريد برميير بهذه الرحلة وحققها سنة 1978 تحقيقاً جيداً، ولكنه لم يغني عن الأصل، ولذا أكملت منه فراغات كان تركها برميير في تحقيقه المذكور.

١٤
 الشيخ الصالح المبارك أبو منصور عيسى بن محمد المصلاوي
 القيناجي من أهل الشقي والعرب وعين رانية ومولود بطنوا الحنفية في سنة اثنين
 وسبعمائة ليلة بطارح حنفية من الخلقة المنصورة وأخيه أنه لعن الفقهاء
 وشباب الدين الفاضل ولعن بجاهه وأما ما رواه أبو البركات في ربيع عظيم وأجازوا
 فمما سمعنا عظيم فقال سمعت كثيرا وأما ما رواه أبو البركات
 أنكره نكاته إلى غاية حتى لقد لعنهم الجنا
 وكنت ممنوع من حاجة نعمة أودعها الله لها
 فممن أنسى الله من راحته ومن أنسى الله أنسا
 ما لا — شخنا من أن يحسن في أجاز وكذا أجاز أخوه محمد بن محمد
 وأما ما سمعنا من محمد بن محمد بن أبي الطيب والعشيرة لعنهم الله في ربيع عظيم
 بعد ذلك بعد أن قربت أن الشيخ اختلاف وأنه لا يترك ما يريه ولا يحسنه

ورقة من مذكرات ابن الحاج النميري

(المخطوطة رقم : 483)

(يرجح أنها بخط المؤلف)

شجرة الحزن تسقط من شاخها شجرة
 ثم في وشرك الكور فوز شجرة شجرة
 تغير زينة الحمار وشاة تقف بخور
 في الشرفيات الراسم جنة شجرة على نفع العقلة
 وخير الشرفيات شجرة شجرة شجرة شجرة
 لعلى ما انقى عالمنا عينا وشبابك على الحمار
 واني لما بعز الله اشق فتعجب عروا في فوز
 عفا لزيما حرم المزايا لنا كما يدرع النعم اللوعة
 وشاة لنا شاة من الدم عيشة رجوع الى النعم القديم
 نعم ما دام بغزير عايم بالله الله وقت وزر
 ولا الحزن ان الحزن شاة انما مضى بجهه الزمان
 لشرة عفا الحزن غيث روعنا انما انما الحزن حقلنا
 لشرة الشاة من شاة شاة حلة الشاة في الشاة
 لشرة الشاة الشاة من شاة شاة شاة يوم الفراع
 لشرة الشاة الحزن من شاة شاة شاة في حوز الخلع
 اجرت يا شاة شاة شاة عن حيام شاة شاة
 اجرت خلقت الزمان شاة شاة شاة لم يجر يومنا
 اجرت كالتلاح نازك في الزمان شاة شاة شاة
 اجرت لا تفي الزمان من حيا وفرد حيث في الزمان

ورقة أخرى من مذكرات فيها بعض قصيدته في رثاء خاله (المخطوطة رقم: 1734)

وتعود أهمية هذه المذكرات فيما يتعلق بالنصوص الشعرية إلى ما تحتويه من شعر ابن الحاج في غير غرض المدح الذي وجدناه مسيطراً على أشعار «المزاین» و«فیض العباب».

3 - فیض العباب وإجالة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب.

وهو كتاب يضم حوادث رحلته في معية أبي عنان فارس المريني عام ثمانية وخمسين وسبع مئة للهجرة، منه نسخة وحيدة، فيما نعلم، بالخزانة الحسنية⁽¹⁾ تحت رقم: (3267)، وحقّقه د. محمد بنشقرن معتمداً عليها⁽²⁾.

وبالرغم من أن النص المحقق كان سليماً في معظمه، فقد عدت إلى المخطوط، واقفاً عند بعض الإشكالات التي واجهتني في النص، وأثبتت المقارنة بين الأصل والنص المحقق في الحواشي، وكانت حصيلة ما جمعته من «فیض العباب» ثلاثة قصائد طويلة وعدة مقطعات⁽³⁾.

ثانياً: مؤلفات معاصريه

1 - مؤلفات ابن الخطيب السلماني

وهي أهم مصادر هذه المجموعة، وذلك بفضل الصلة المتينة التي تجمع بين الشاعر وابن الخطيب، ولما عرف عن هذا الأخير من عناية بأدب المئة الثامنة ورجالها.

فقد ترجم له في «الإحاطة»، حيث أورد شيئاً من أخباره وأشعاره ونشره⁽⁴⁾، ولكن عنايته بجمع النصوص الشعرية كانت أكثر في «الكتيبة الكامنة»⁽⁵⁾ و«نفاضة الجراب»⁽⁶⁾، ففيهما عدد مهم من قصائده ومقطعاته يفوق نظيره في «الإحاطة»

(1) يقال إن منه نسخة أخرى تامة بدير كنيسة مليلية. (جذوة الاقتباس هامش رقم: (118): 92\1).

(2) نشر بالرباط سنة 1984.

(3) انظر النص المطبوع من الفيض: 3-4 و 77-78، و 90-91 و 142-144.

(4) الإحاطة: 1\342-363.

(5) الكتيبة: 260-269.

(6) النفاضة: 3\126-132 و 153-154 و 177-178 و 301-305.

وغيرها .

2 - مؤلفات إسماعيل بن الأحمر

وأهمها، فيما يتصل بشعر ابن الحاج، كتابه «نثر فرائد الجمان»⁽¹⁾، الذي أورد قصيدة في رثاء خاله ينفرد بها - فيما نعلم - عن غيره من المصادر .

3 - مختارات ابن عزيز الأندلسي

تضم هذه المختارات نصوصاً للشاعر لم يرد بعضها في مصدر آخر⁽²⁾، وتعود أهميتها، فضلاً عن ذلك، إلى النصوص التي تشترك فيها مع «المزاین»، فهي تصحح بعض تلك النصوص وتسهم في توثيق نسبة الديوان إلى صاحبه . . .

4 - مسالك الأبصار، لابن فضل الله العمري

قال العمري في كتابه هذا عن ابن الحاج: «وَجَاءَ إِلَيَّ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ جَاؤُوا مَعَهُ، وَانْحَطُّوا، إِلَيْهِ، حَيْثُ أَعْلَاهُ قَدْرُهُ . . فَخَضَعَتْ وَهَادُهُمْ عَنْ رُبَاهُ، وَكَانَ وَالنَّاسُ مَا عَدَاهُ أَشْبَاهُ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ سَكْتُوا لَهُ، وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ سِنًا، وَأَضْرَمُهُمْ ذَهْنًا . . وَكَتَبَ إِلَيَّ وَلِلَّهِ قَلَمُهُ وَمَا ضَمَرَ، وَطَرَسُهُ وَمَا أَخْرَجَ وَرَقُهُ مِنَ الثَّمَرِ»⁽³⁾ ثم أعقب ذلك بمزدوجات من شعره .

5 - الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي

قال الصفدي: إنه اجتمع بالنميري وأنشده من لفظه بنفسه بعض شعره⁽⁴⁾، وعنه أخذ يوسف بن تغرى بردى⁽⁵⁾ .

(1) نثر الفرائد : 314-318 .

(2) انظر: المختارات (ط . الدار العربية) 26، 28، 54 56 .

(3) مسالك الأبصار : 215\11 .

(4) الوافي : 40\6 .

(5) المنهل الصافي : 86\1 .

6 - تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، لخالد بن عيسى البلوي

حلّى البلويّ شاعرنا بأوصاف سامية تشيد بأدبه وفضائله⁽¹⁾، ولكنه لم يورد من شعره غير بيتين وردا عند غيره⁽²⁾. وهو صديقه الذي رحل بصحبته إلى المشرق.

7 - الإفادات والإنشادات، للشاطبي (ت. 790هـ)

أبو إسحاق الشاطبي معاصر للشاعر، ولكن النص الوحيد الذي احتفظ له به كان رواية عن ابن حذلم⁽³⁾.

ثالثاً: المصادر التالية لعصره:

1 - جذوة الاقتباس، لأحمد بن القاضي

نقل ابن القاضي معظم مادته عن ابن الخطيب، لكنه انفرد برائية طويلة في المدح، وترك جزءاً منها لفراط طولها⁽⁴⁾. وبذلك يحسب في المصادر الأولية لشعر ابن الحاج.

2 - نفح الطيب، للمقري التلمساني

احتوت هذه الموسوعة الأدبية الأندلسية على نصوص شعرية وأخبار عن ابن الحاج النميري، لم تجتمع في غيرها من المصادر التالية لعصر الشاعر⁽⁵⁾.

(1) تاج المفرق : 115\2.

(2) نفسه : 201\1.

(3) الإفادات : 147.

(4) جذوة الاقتباس : 93\1.

(5) النفح : 121-108\7 و 535\2.

منهج العمل

دعنتني صعوبات النسخة الوحيدة، التي تكاد تسم معظم النصوص الباقية من شعر النميري، إلى الاستئناس بالجهود السابقة في تحقيق بعض قصائده. وفي طليعة التحقيقات الجيدة، كانت جهود محققي «نثر فرائد الجمان» و«نفاضة الجراب» و«فيض العباب» و«المذكرات»، وقد اعتمدت هذه التحقيقات بمثابة النسخ الثانية، أقرنها مع النص الأصلي في حالتي الصواب والخطأ، دون قصد المساس بجهود أصحابها المشكورة، فهم قد عايشوا النص وتمرسوا عليه، ولا يمكن إهمال قراءاتهم، أو تجاهل تصويباتهم في حالات الإشكال.

ولن أقف عند خطوات التحقيق التي صارت معروفة من خلال كتب مناهج التحقيق، ويمكن للقارئ أن يتلمس المختار منها في ثنايا المتن، لكنني أشير إلى أن كثرة الأخطاء الإملائية والتصحيفات أعطتني الجرأة على تغيير كلمات في النص إلى ما رأيته صواباً، ثم إن الأمانة العلمية اقتضت أن أضع مثل هذا التحوير بين معكوفين، وأن أثبت ما كانت عليه اللفظة في الحاشية حتى أترك للقارئ فرصة المقارنة والاستنتاج.

وقد رأيت عدم إثقال النص بالحواشي والهوامش، ولكن ذلك لم يصرفني عن إثبات اختلاف الروايات والإضاءات الضرورية بقدر الحاجة إليها.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الديوان

الهمزة

1

«بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله»⁽¹⁾ [طويل].

أَكُلْ مَدِيحٍ بِالتَّغْزُلِ يُبْدَأُ
كَأَنَّ الْهَوَىٰ قَرَضَ عَلَىٰ كُلِّ مَا دَحٍ
وَعُذْرِي مِنْهَا سُئَةُ شَاعِرِيَّةٍ
وَلَيْسَ الْمَدِيحُ الْحَقُّ إِلَّا الَّذِي لَهُ
وَمَا كَانَ لِلرَّاجِي النَّوَالِ تَهْجُمٍ
وَكَمْ مِنْ مَدِيحٍ عَادَ بِالسُّؤْلِ وَالْمُنَى
كَمِثْلِ مَدِيحِ ابْنِ الْخَلِيفَةِ يُوسُفٍ⁽²⁾
إِمَامُ الْهُدَى الْمُسْدِي عَلَى الْخَلْقِ أَنْعَمًا
مُحَمَّدُ الْمَحْمُودُ ذُو الشَّرَفِ الَّذِي
سُلَالَةُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ الَّذِي⁽³⁾ لَهُ
أَجَلٌ مُلُوكِ الْأَرْضِ ذَاتًا وَمَنْصِبًا

أَلَا إِنَّ مِثْلِي إِنْ تَغَزَّلَ مُخْطِئُ
فَتَارِكُهُ عَمْدًا يُذَمُّ وَيُشْنَأُ
بِهَا الْهَزْلُ، يَا لِلَّهِ بِالْجِدِّ يَهْزَأُ
بِغَيْرِ أَضَالِيلِ التَّغْزُلِ مَبْدَأُ
عَلَيْهِ وَلِلْقَضِ الْمُرَادِ تَهْيُؤُ
فَأَضَحَتْ بِهِ نَارُ الصَّبَابَةِ تُطْفَأُ
إِذَا مَا عَدَا يَقْرِي الضُّيُوفَ وَيَقْرَأُ
عَلَى وَرْدِهَا ظِلُّ الْمُنَى مُتَفِيًّا
بِأَفْقِ الْعُلَا أَنْوَارُهُ تَتَلَأَلُ
مَدَائِحُ عَنْهَا أُعْجَزَ الْمُتَنَبِّئُ⁽⁴⁾
وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ لَهُ الْخَلْقُ تَلْجَأُ

(1) هذه بداية (مزاين القصر) والهمزية أول قصائده.

(2) يعني محمد الغني بالله ابن يوسف بن الأحمر، الذي تولى الحكم في غرناطة خلال فترتين، ابتداء من 755 وحتى 793 هـ. خلع بينهما فابتعد عن غرناطة ما بين 760 و763 هـ. (انظر: اللوحة البدرية: 22 و107، والعبر: 306\7، والإحاطة: 38\1).

(1) يشير إلى نسبة بني نصر إلى الأنصار، وقد مدحوا بذلك كثيراً من قبل شعراء عصرهم. (انظر: ديوان الخطيب: 419\1، وديوان ابن الجياب: 156، والأزهار: 154\2).

(2) المتنبي: هو أبو الطيب أحمد بن الحسين: الشاعر المشهور، وكان للأندلسيين عناية بشعره، رواية وتمثلاً (انظر: أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، للدكتور محمد بنشريف، ط. دار الغرب الإسلامي).

وَحَيْرُ السَّلَاطِينِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا الطَّغْنُ عَنْ وِزْدِ الْحَيَاةِ مُحَلَّى⁽¹⁾
أَقَاصِدُهُ بُشْرَاكَ وَانْزِلْ بِسَرْجِهِ⁽²⁾ بِهِ السَّعْدُ يَرْقَى وَالْمَدَامُحُ تُرْقَأُ⁽³⁾
وَأَلْقِ عَصَا التَّسْيَارِ فِي خَيْرِ مَرْبَعٍ⁽⁴⁾ بِأَرْجَائِهِ كَأْسُ الْمَبَاهِجِ تُمْلَأُ
وَلَدَ مِنْهُ فِي النَّادِي بِأَرْوَغٍ وَصَفُهُ تُقْصَرُ عَنْهُ عَبْدُ قَيْسٍ وَطِيئُ⁽⁵⁾
وَدُوْنِكَ فَاسْبَحْ فِي نَدَاهُ بِأَبْحَرِ مَدِيحِي يَأْقُوتُ بِهِنَّ وَلَوْلُو
وَإِنْ جِئْتَهُ فِي الْعَالَمِينَ مُهْنًا فَكُلْ مُلُوكِ الْعَالَمِينَ تُهْنِي⁽⁶⁾

2

وقال^(*): [طويل]

لِي الْمَدْحُ يُرَوَى مُنْذُ كُنْتُ كَأَنَّمَا تُصَوِّرْتُ مَدْحًا لِلْوَرَى وَثَنَاءَ
وَمَا لِي هَجَاءٌ فَاعْجَبَنَّ لِشَاعِرٍ وَكَاتِبٍ سِرًّا لَا يُقِيمُ هَجَاءَ⁽⁶⁾

-
- (1) خلأه بالسيف: ضربه.
(2) السرح: فناء الدار.
(3) رقا الدمع: جف وسكن.
(4) المربع: الموضع يُقام فيه وقت الربيع.
(5) طييء: اسم لقبيلة يمنية تنسب إلى طييء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن حمير، ومنها حاتم الطائي. (اللسان: طواء).
(*) الكتيبة: 266، والإحاطة: 1\347، وجذوة الاقتباس: 1\92، ونشير الجمان: 318، والنفع: 7\112.
(6) إشارة إلى توليته الكتابة ببجاية وفاس. (انظر مستودع 69، ونشير الفرائد: 313، والإحاطة: 1\343).
(*) مزاين القصر: 2 أ.

الباء

3

وله أيضاً(*) : [طويل]

هُوَ الْبَذْرُ تَحْمِيهِ نُجُومٌ ثَوَاقِبُ وَيَغْشَاهُ غَيْثٌ حَيْثُ حَلٌّ وَإِنَّهُ
وَجَلْنَا خَفَى فِيهِ الْبُرُوقُ وَإِنَّمَا حَذَارٍ حَذَارٍ إِنْ بَدَتْ كُثْبُ الْحِمَى
وَإِيَّاكَ وَالتَّغْرِيرَ بِالنَّفْسِ إِنْ رَمَتْ وَمَا الصَّبْرُ بَعْدَ الْبَيْنِ إِلَّا تَعَلَّةٌ
لِيَّ إِلَهٍ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ وَمَنْزِلٌ وَرَبٌّ شُمُوسٍ فِي الْفَلَاةِ مَطَالِعٌ
وَعِيدٌ يُعَادِرُنَ الْقُلُوبَ ذَوَائِبُ لَوَاعِبُ مَا بَيْنَ الْخِيَامِ يَحْفُهَا
عَلَيْهِنَّ بَاتَ الْبَرْقُ يَخْفِقُ قَلْبُهُ وَيَا بِأَبِي مِنْهُنَّ حَسَنَاءُ لَخِظْهَا
مُؤْجَّجَةٌ نَارَيْنِ: نَارَ صَبَابَةٍ حُقُوقٌ كَقُرْطِئِهَا اللَّوَاءُ أَمَامَهَا
يَسَاجِلُ جَزْسُ الطَّعْنِ جَزْسٌ حُلِيِّهَا وَمَا هِيَ إِلَّا الْمُرْهَفَاتُ الْقَوَاضِبُ
لَنْفَعِ أَثَارَتُهُ الْعِتَاقُ الشَّوَارِبُ⁽¹⁾ خَفَى فِيهِ سُمُرٌ أَشْرَعَتْهَا الْكَتَائِبُ
فَمَرَّتْ صَبَاحاً بِالْقَبَابِ النَّجَائِبُ بِأَسْهُمٍ مَكْحُولِ اللَّحَاطِ الْكَوَاعِبُ
وَأَتَى وَقَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ بِهِ وَقَفْتُ يَوْمَ الْوَدَاعِ الرِّكَائِبُ
لَهُنَّ وَلَكِنْ فِي الْحُدُوجِ⁽²⁾ مَغَارِبُ إِذَا جُرَّرْتَ زَهْواً لَهُنَّ ذَوَائِبُ
كُمَاةً بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ لَوَاعِبُ وَجَفْنُ الْحَيَا فِي وَجْنَةِ الْأَفُقِ سَاكِبُ
لَهُ جَانِبٌ يُخْشَى وَلِلْسَيْفِ جَانِبُ وَنَارَ قِرَى تَنْجَابُ عَنْهَا الْغِيَاهِبُ
إِذَا مَا مَشَتْ وَالْدَّارِعُونَ رَوَاكِبُ فَتَزْتَاعُ مِنْ هَذَا وَذَاكَ الثَّرَائِبُ

(1) العتاق: الخيول الكريمة. والشواريب: الضوامر.

(2) الحدودج: جمع جدج: من مراكب النساء، كالمحفة أو الهودج.

وَلَوْلَا شَدَّاهَا مَا غَدَا الرُّوضُ عَاطِراً
 مُمْنَعَةً حَتَّى مِنَ الطَّنِيفِ فِي الْكَرَى
 حَنَائِكَ يَا بِنْتَ الْقَوَارِسِ أَقْسَمْتُ
 وَلَبَّيْكَ أَلْفَا إِنَّ دَعْوَتِي إِلَى الْوَعَى
 وَأُقْسِمُ مَالِي فِي الْغَرَامِ مُسَاجِلٌ
 كَرِيمٌ لَهُ فِي سِرِّي يَغْرُبُ مَفْخَرٌ
 مِنَ الْقَوْمِ سَعْدُ الْخَزَرَجِ ابْنُ عِبَادَةٍ⁽⁴⁾
 مُنِيفٌ⁽⁵⁾ بِإِسْمَاعِيلَ⁽⁶⁾ مَجْدًا وَيُوسُفَ
 عَظِيمَ عَظِيمِ الْمُلْكِ لَا مُلْكَ مِثْلُهُ
 وَأَعْلَمُ عِلْمًا خَالَطَ الْقَلْبَ، إِنَّهُ
 وَمَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِثْلِي عَالِمًا
 وَمَنْ نَالَ مُلْكَاً لَا بِبَاسٍ وَلَا نَدَى
 وَمَنْ كَأَبِي عَبْدِ إِلَهِ مُحَمَّدٍ
 بِهِ دَفَعَ إِلَهُ الْخُطُوبِ عَنِ الْوَرَى
 وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الْمُثَقَّفَ طَاعِنٌ

وَمَا عَبَقْتُ فِيهِ الصَّبَا وَالْجَنَائِبُ⁽¹⁾
 فَلَا جَفْنَ إِلَّا وَهُوَ لِلشَّهْدِ صَاحِبٌ
 سُيُوفُهُمْ أَلَا تُزَارَ الْحَبَائِبُ
 وَطَعْنٍ كَمَا (تَرْعَى)⁽²⁾ الْفُحُولُ الضَّوَارِبُ
 وَلَا لَإِنْ نَصِرَ⁽³⁾ فِي الْخُرُوبِ مُعَالِبُ
 وَيَبْتُ عَلَا حَجَّتْ إِلَيْهِ الْمَنَاقِبُ
 أَبُوهُمْ، وَحَسْبُ الْقَوْمِ تِلْكَ الْمَنَاسِبُ
 وَيَا لَكَ مَنْ مَجْدٍ لَهُ الْمَجْدُ هَائِبُ
 وَكُلُّ عَظِيمٍ لِلْعَظِيمِ مُنَاسِبُ
 لِأَكْرَمُ مَنْ تُرْجَى لَدَيْهِ الْمَوَاهِبُ
 وَلَكِنْ أَفَادَتْهُ الْعُلُومَ التَّجَارِبُ
 فَذَاكَ أَمْرٌ لِلْمُلْكِ لَا شَكَّ غَاصِبُ
 إِذَا زَحَفَتْ يَوْمَ النُّزَالِ الْمَقَانِبُ⁽⁷⁾
 وَلِلَّهِ فِي دَفْعِ الْخُطُوبِ عَجَائِبُ
 وَمَا كُلُّ مَنْ سَلَ الْمُهَنْدَ ضَارِبُ

(1) الجنائب: جمع جنبه وهي الناحية.

(2) ترعى: كذا، ولعلها: ترغو.

(3) يعني الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن الأحمر: ثامن خلفاء بني نصر وخامس محمديةم.

(4) هو سعد بن عبادة: سيد الأنصار الذي ينتهي إليه نسب بني الأحمر. (انظر: اللوحة البدرية: 33، والأحاطة: 13\2).

(5) منيف: عال مشرف.

(6) إسماعيل ويوسف هما: جدُّ الغني بالله، وأبوه كما تقدم.

(7) المقانب: من الخيل، بين الثلاثين والأربعين، ويطلق على جماعات الناس والذئاب الضارية.

وَحَصَّصَهُ الْأَمْلَاكُ بِالْبِرِّ وَخَدَهُ
وَمَا يَرْغَبُ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلُ فِي امْرِئٍ
مُكْمَلٍ رَأَى الْيَوْمَ تَكْمِيلَ حَازِمٍ
وَتَأْخِيرُ⁽¹⁾ مَلِكٍ رَأَى يَوْمٍ إِلَى عَدِ
مُجَانِبِ أَهْلِ اللُّؤْمِ لَا يَعْرِفُونَهُ
وَمَنْ وَضَعَ التَّقْرِيبَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
وَلَوْ كَانَ يُعْطَى قَدَرٌ عَلَيْهِ خِدْمَةٌ
حَلِيمٌ وَلَكِنْ حِلْمُهُ بَعْدَ قُدْرَةٍ
عَلِيمٌ يُزَكِّي عِلْمَهُ عَمَلٌ بِهِ
مُفِيدٌ مُصِيبٌ آخِرِينَ وَإِنَّمَا
وَأَيُّ مُلَاقٍ وَالْخُيُولُ طَوَالِغُ
أَمْوَلَايَ بُشْرَى بِالْفُتُوحِ وَأَنْعَمُ
وَيَهْنِيكَ عِيدُ الْفِطْرِ أَسْعَدُ قَادِمٍ
وَلَا زِلْتَ مَسْرُورًا بِأَشْرَفِ دَوْلَةٍ

وَتَخْصِيصُ رَبِّ الْفَضْلِ بِالْبِرِّ وَاجِبٌ
عَدَا وَهُوَ فِي الْمَالِ الْمُجْمَعِ رَاغِبٌ
يَهُونُ عَلَيْهِ أَنْ تَتُوبَ النَّوَائِبُ
خَبَالٌ بِهِ، إِنْ دَامَ، فَالْمُلْكُ ذَاهِبٌ
وَكُلُّ كَرِيمٍ لِللَّئِيمِ مُجَانِبٌ
فَذَاكَ امْرُؤٌ مَسْعَاهُ وَالْقَضْدُ خَائِبٌ
لَقَلَّ لَهُ فِي الْخَادِمِينَ الْكَوَاكِبُ
أَتِيحَتْ لَهُ وَالسَّيْفُ بِالدِّمِّ خَاضِبٌ
كَمَا جَادَتْ الرُّوضُ النَّضِيرَ السَّحَائِبُ
«فَوَائِدُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ مَصَائِبُ»⁽²⁾
كَمَا أَمَّتِ⁽³⁾ الْوَرْدَ النَّعَامُ الْخَوَاضِبُ
مَشَارِبُهَا لِلْوَفْدِ نِعَمَ الْمَشَارِبُ
عَلَيْكَ تُرَاعِي حَقَّهُ وَتُرَاقِبُ
بِهَا حَسَنَتِ دُنْيَا وَأُخْرَى الْعَوَاقِبُ

4

[تهنئة بشفاء السلطان أبي عنان المريني^(*)]: [طويل]

مَطَالِبُ إِلَّا أَنْهَنْ مَوَاهِبُ
شِفَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّهُ
قَضَى اللَّهُ أَنْ تُقْضَى فَنِعْمَ، الْمَطَالِبُ
لَأَكْرَمُ مَنْ تُخْدَى إِلَيْهِ الرِّكَائِبُ

(1) في الأصل: وتأخير.

(2) تضمين فيه تقديم وتأخير، روعيت فيه القافية، وأصله: «مصائب قوم عند قوم فوائد».

(3) أمت: قصدت.

(*) النفع: 119\7، وورد جزء منها في: فيض العباب: 4,3 من النص المحقق.

وَكَمْ قُلْتُ غَابَ الْبَذْرُ وَالشَّمْسُ ضَلَّةٌ⁽¹⁾
وَلَمْ يَغِبَا لَكِنْ شَكَا الضَّرَّ فَارِسَ
لَكَ اللَّهُ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ وَخَيْرَ مَنْ
وَقُلْ لِمَنْ وَافَى بِشِيرَاءِ نَفْسُنَا
أَقُولُ⁽²⁾ لِحُزْدِ الْخَيْلِ قُبَاً⁽³⁾ بَطُونُهَا
طَوَالِعَ مَنْ تَحْتَ الْعَجَاجِ كَأَنَّهَا
مُحَجَّلَةٌ غُرّاً كَأَنَّ رِعَالَهَا
مِنَ الْأَعْوَجِيَّاتِ الصَّوَاغِينَ⁽⁶⁾ تَرْتَمِي
هَنِيئاً فَقَدْ صَحَّ الْإِمَامُ الَّذِي بِهِ
وَمُسْتَأْصِلُ الْفَلِ⁽⁷⁾ الْمَغْدُ جِيَادُهُ
وَمَنْ حَطَّمَ السُّمَرَ الطَّوَالَ كُعُوبُهَا
وَكَرَّ عَلَى أَرْضِ الْعِدَى بِفَوَارِسِ
كَأَنَّ ظَبَاهُمْ فِي الْهَيْجِ أَكْفُهُمْ
كَأَنَّ رِمَاحَ الْخَطِّ أَحْسَابُهُمْ، وَمَا

وَرَأَيْتُ عَلَى قَلْبِي الْهُمُومُ النَّوَاصِبُ
وَأَوْحَشَ مِنْهُ مَجْلِسُ الْمُلْكِ غَائِبُ
تَجِنُّ لَهُ حَتَّى الْعِتَاقُ الشَّوَارِبُ
فَمَا هِيَ إِلَّا بَغْضُ مَا أَنْتَ وَاهِبُ
مُعَقَّدَةٌ مِنْهَا لِحَرْبٍ: سَبَاسِبُ⁽⁴⁾
نَعَامَ بِكُثْبَانِ الصَّرِيمِ خَوَاضِبُ
بِحَارٍ جَرَتْ فِيهَا الصَّبَا وَالْجَنَائِبُ⁽⁵⁾
إِذَا رَجَفَتْ يَوْمَ الْقِرَاعِ مَقَانِبُ
تُفَلُّ السُّيُوفُ الْمُرْهَفَاتِ الْقَوَاضِبُ
لِضَرْبٍ كَمَا تَرْغُو الْفُحُولُ الضَّوَارِبُ
بِطَغْنٍ كَمَا امْتَنَحَ الرِّكِيَّةُ⁽⁸⁾ شَارِبُ
كَأَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ أُسْدٌ غَوَالِبُ
تَجُودُ وَأَزْوَاحُ الْعُدَاةِ مَوَاهِبُ
حَوَتْ مِنْ نَفُوسِ الْمُعْتَدِينَ مَنَاقِبُ

(1) الضلة: الضلال. وأصله الغيوبة. (اللسان: ضلل).

(2) فيض العباب: أقود.

(3) الأقب: الضامر، ومنه قول الشاعر في وصف فرس:

اليد سابحة والرجل طامحة والعين قاذحة والبطن مقبوب

(4) السباسب: شجر يتخذ منه السهام، وهي هنا خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هي» يعود على الخيل.

(5) الرعال: القطعة من الخيل ليست بالكثيرة (اللسان: رعل) والجنائب هنا: النوق ليس من يفتقدها.

(6) فيض العباب: الصوافي.

(7) الفل: المنهزمون. وأغذ في السير: أسرع.

(8) الركية: البثر.

هُم مَّا هُمْ، حَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ أَوْ بَنِي
مِنَ الْبَيْتِ شَادَتْ قَيْسُ عَيْلَانَ⁽²⁾ فَخَرَهُ
وَأَحْيَا لَهُ مُلْكُ الْخَلِيفَةِ فَارِسٍ⁽³⁾
كَرِيمٍ فَلَا الْحَادِي النَّجَائِبَ مُخْفِقٌ
أَرَى بَذْلَهُ الثُّغْمَى فَفُضِّتْ مَكَاسِبُ
أَنَامِلُهُ يَزُورِي الْوَرَى صَوْبُ جُودِهَا
وَكَمْ خِلْتُ بَرْقًا فِي الدُّجَى نُورِ بَشْرِهِ
فَأَخْجَلَنِي أَنِّي أَرَى الْبَرْقَ خُلْبًا
أَعْرَزَنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِلَاغَةً
وَأَنْطَقَ لِسَانِي بِالْبَيَانِ مُعَلِّمًا
وَكَيْفَ تَرَى لِي بَعْدَ فِي الْجُودِ رَغْبَةً
وَقَدْ شَبَّتِ الْأَمَالُ إِذْ شَبَّتْ ثُمَّ إِذْ
بَلَغْتُ بِكَ الْأَمَالَ حَتَّى كَأَنَّهَا
عَجِبَتْ وَمَا ثُولِي، وَأَوْلَيْتَ مُعْجَبًا
وَحَسْبِي دُعَاءُ لَوْ سَكَتَ كُفَيْتُهُ
وَمَا أَنَا إِلَّا عَبْدُكَ الْمُخْلِصُ الَّذِي
فَخُذْهَا تَبْتُ الْعُذْرَ لَا الْمَدْحَ، إِنَّهُ
بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ مُلْكُكَ قَاهِرٌ

مَرِينٍ⁽¹⁾ فَتَنْهَجُ الْقَوْلُ أَبْلَجُ لِأَحِبِّ
فَطَالَتْ مَعَالِيهِ وَطَابَتْ مَنَاسِبُ
مَآثِرَ غَالَتِهَا أَلْيَالِي الذُّوَاهِبُ
لَدَيْهِ، وَلَا الْمُنْضِي الرِّكَائِبَ خَائِبُ
أَرَى بِأَسْهُ الْأَنْضَى فَفُضِّتْ كَتَائِبُ
فَلَوْلَا دَوَامُ الرَّيِّ⁽⁴⁾ قُلْتُ السَّحَائِبُ
تَشِيمُ سَنَاهُ النَّاجِيَّاتِ النَّجَائِبُ
فَلَا الصَّوْبُ هَامٍ لَا وَلَا الْجُودُ سَاكِبُ
فَإِنِّي عَنْ عَجَزٍ لِمَذْحِكَ هَائِبُ
فَإِنِّي فِي التَّعْلِيمِ لِلْجُودِ رَاغِبُ
وَجُودُكَ لِي فَوْقَ الَّذِي أَنَا طَالِبُ
تَفَقَّدْتُهَا لَمْ يَذَرْ مَا شَبَّ شَائِبُ
وَقَدْ صَدَقْتَ مَا شِئْتَ صِدْقًا كَوَازِبُ
فَلَا بَرَحْتَ تَنْمُو لَدَيْكَ الْعَجَائِبُ
كَمَا قِيلَ، لَكِنْ فِي الدُّعَاءِ مَذَاهِبُ
يُرَاقِبُ فِي إِخْلَاصِهِ مَا يُرَاقِبُ
هُوَ الْبَحْرُ، قُلْ هَلْ يَجْمَعُ الْبَحْرَ حَاسِبُ
وَسَيُبُكَ فَيَاضُ، وَسَيُفُكُ غَالِبُ

(1) بنو مرين: هم قوم الممدوح. (انظر الخبر عن أنسابهم وأخبارهم في العبر: 196\7).

(2) قيس عيلان: من اليمنية الذين ينسب إليهم زناة، ومنهم المرينيون. (العبر: 191,5\7).

(3) هو أبو عنان فارس بن أبي الحسن المريني: تولى حكم فاس ما بين 752 و759 هـ. (انظر العبر: 341\7، وأخبار الدولتين للزركشي: 93-99).

(4) في النفع: الرأي، والتصويب من الفيض.

وَعُوفِيَتْ مِنْ ضُرٍّ وَأُعْطِيَتْ أَجْرُهُ وَلَا رَوْعَتْ إِلَّا عِدَاكَ النَّوَائِبُ

5

«قال، وقد وقف حاجب السلطان على عين ماء ببعض الثغور، فشرب منها⁽¹⁾»: [متقارب]

تَعَجَّبْتُ مِنْ ثَغْرِ هَازِي الْبِلَادِ وَهَذَا أَنْتَ مِنْ عَيْنِهِ شَارِبُ
فَلَيْلِهِ ثَغْرٌ أَرَى شَارِباً وَعَيْنٌ بَدَا فَوْقَهَا حَاجِبُ

6

وقال في المحافظ الذهبي⁽²⁾: [بسيط]

رَحَلْتُ نَحْوَ دِمَشْقَ الشَّامِ مُبْتَغِياً رَوَايَةً عَنْ ذَوِي الْأَخْلَامِ وَالْأَدَبِ
فَقُفِرْتُ فِي كُتُبِ الْأَنَارِ حِينَ عَدْتُ تُزَوَّى بِسِلْسِلَةٍ عَظُمَى مِنَ الذَّهَبِ (ي)

7

وقال، حين بُدِوَرِهِ عَلَى الْأَمِيرِ الْمُحَدِّثِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ النُّورِيِّ، صَاحِبِ الْمُوَصِّلِ لِيُرَوِيَ عَنْهُ⁽³⁾: [طويل]

إِلَى قَضْدِ قُطْبِ الدِّينِ وَافَيْتُ عِنْدَمَا أَقَمْتُ عَلَى التَّرْحَالِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ
وَأَصْبَحْتُ كَالْأَفْلَاكِ فِي السَّيْرِ وَالسَّرَى فَهَذَا أَنَا فِي مِصْرٍ أَدُورُ عَلَى الْقُطْبِ

8

قال: «وَمِمَّا كُنْتُ نَظَّمْتُهُ فِي الرَّثَاءِ⁽⁴⁾»: [سريع]

أَيْنَ اسْتَقْلَّ أَحَبُّهُ الْقَلْبُ وَتُجُومُ أَفْقِ مَحَامِلِ الرِّكْبِ

(1) جذوة الاقتباس: 1\92، والنفع: 7\115، والإحاطة: 1\348.

(2) نفع الطيب: 7\110.

(3) المصدر السابق: 7\111.

(4) مذكرات ابن الحاج النميري، بتحقيق برميير: 126.

لَعِبَتْ بِهِمْ أَيْدِي التَّوَى سَحَرًا لَعَبَ الشُّجُونِ بِمَذْمَعِي السَّكْبِ
وَسَقَّتْهُمْ كَأْسَ الرَّدَى جُرْعًا مَا سَاغَ بَعْدَ مَذَاقِهَا شُرْبِي
أَلَيْتُ لَا أَنْسَى تَذَكُّرَهُمْ أُنَى وَلَسْتُ بِزَائِلِ الْحُبِّ
كَانُوا الْحَيَاةَ فَمُذْ فَقَدْتُهُمْ لَمْ أَخْشَ بَعْدَ مَوَارِدِ الْخَطْبِ
وَهَوَى الْأَحْبَةَ وَهُوَ لِي قَسَمٌ لَا زِلْتُ بَعْدَهُمْ أَخَا كَرْبِ
وَلَقَدْ حَنِقْتُ عَلَى الْمَضَاجِعِ مُذْ سَكَنْتُوا الْعُدَاةَ مَضَاجِعَ الثُّرْبِ

9

في التورية⁽¹⁾ : [وافر]

وَرَوْضٍ مُنْجِلٍ جَذِبَ الْمَرَاعِي سَرِيعَ الْقَيْظِ وَقْدًا وَالْتِهَابَا
حَكَى ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ لَا شُجُونًا وَلَكِنْ كَوْنُهُ يَهْوَى الرَّبَابَا

10

وقال⁽²⁾ : [بسيط]

اِثْنَانِ عَزَا فَلَمْ يَظْفَرْ بِنَيْلِهِمَا وَأَعْوَزَا مَنْ هُمَا فِي الدَّهْرِ مَطْلَبُهُ
أَخْ مَوَدَّتُهُ فِي اللَّهِ صَادِقَةٌ وَدِرْهَمٌ مِنْ حَلَالٍ طَابَ مَكْسَبُهُ

11

«وقال، مخاطباً شيخه صاحب ديوان الإنشاء، الإمام جمال الدين إبراهيم ابن شهاب الدين الحلبي، وقد تقرب إليه قصد الرواية عنه⁽³⁾ : [طويل]

إِلَى ابْنِ شِهَابِ الدِّينِ طَالَ تَعَرُّبِي فَلَمَّا سَرَتْ عَيْسِي لَهُ وَرِكَابِي
رَوَيْتُ حَدِيثَ الْفَضْلِ عَنْهُ فَصَحَّ لِي كَمَا شِئْتُ مَرْوِيًّا عَنِ ابْنِ شِهَابِ

(1) جذوة الاقتباس : 96\1، والنفح : 113\7 .

(2) النفح : 116\7 .

(3) المصدر نفسه : 115\7 .

وقال(*) : [متقارب]

لَعَمْرُكَ مَا تَغْرُهُ بِاسِمٍ وَلَكِنَّهُ حَبَبٌ لَاعِبُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ رِيْقُهُ مُسْكِرًا لَمَا دَارَ مِنْ حَوْلِهِ الشَّارِبُ

وقال(**) : [طويل]

وَلِي فَرَسٌ مِنْ عَلَيْهِ الشُّهْبِ سَابِقُ أَصْرَفُهُ يَوْمَ الْوَعَى كَيْفَ أَطْلُبُ
عَدَوْتُ لَهُ فِي حَلْبَةِ الْقَوْمِ مَالِكًا فَتَابَعَنِي مِنْهُ كَمَا شَاءَ أَشْهَبُ

(*) النفع : 115\7 .

(**) الكتيبة : 266 ، والإحاطة : 348\1 .

وله أيضاً^(*): [كامل]

ذَا الْمَدْحُ⁽¹⁾ يَأْتِي مِنْ أَرِيحِ ثَنَائِهِ
وَكَأَنَّ مَنْ وَافَقَهُ مِنْهُ كَسُوءَ
وَالْمَادِحُونَ لَهُ وَإِنْ أَغْبَوْا كَمَنْ
نَذَبَ، حَلِيمٌ، مُشْفِقٌ، مُتَعَطِفٌ
وَأَتَى بِمِثْلِ حِجَارَةٍ مِنْ بَأْسِهِ
مُفْنِي جُيُوشِ الرُّومِ وَهِيَ نَوَاهِدُ
نُوبٍ تَجَمَّعَ بِالْعَشِيِّ ضِيُوفُهُ
يَثْنِي الْعِدَى صَرَغَى كَشْرِبٍ أَخْلَدَتْ
دُو الْفَضْلِ بَادٍ عَفْوُهُ عَنْ زَلَّةِ
الصَّادِعِ الْآتِي لِعُورٍ مَنَاقِبِ
وَالْمَجْدُ يَخْطُبُ كُلَّ نَفْسٍ حُرَّةٍ

بِصَحَائِفِ مَسْطُورَةٍ مَقْرُوءَةٍ
مَلِكٌ، دِمَشْقُ أَتَتْ بِهِ لِلْكُسُوءِ
قَدْ قَابَلَ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ بِحُسُوءٍ⁽²⁾
وَرَدَى الْوَرَى مِنْ عَفْوِهِ فِي عَفْوَةٍ⁽³⁾
فَرَمَتْ أَعَادِيَهُ الْكِلَابُ وَأَشَوَتْ
فِيهَا مِنَ الْكُفَّارِ أَخْبَثُ حُسُوءِ
وَيُفَرِّقُ الْغَارَاتِ عِنْدَ الضُّحَاةِ⁽⁴⁾
بِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ⁽⁵⁾ ارْتِضَاعَةً قَهْوَةً
دُو الْحِلْمِ مُغْضٍ مَجْدُهُ عَنْ هَفْوَةٍ
بِأَجَلِ أَسْمَاءِ الْعُلَا مَدْعُوءَةٍ
بِمَتَاعِ يَوْمِ الْوَعَى مَمْنُوءَةٍ

(*) المزاین: 4 ب.

(1) الأصل: وذا المدح، والاختيار ممكن ما بين «الواو» و«ذا» دون أن يختل الوزن ولكن لا يمكن الجمع بينهما كما في المخطوطة.

(2) أغبوا: جاؤوا يوماً وتركوا يوماً. والحسوة: ملء الفم مما يحسى.

(3) في الأصل: في عفو. والغفوة - بالغين -: النومة الخفيفة. أما العفو فلها معان أخرى لا تناسب هذا المقام.

(4) النوب: من التناوب وهو التداول، فحياته متداولة بين الندى والبأس.

(5) في الأصل: أرض.

وَالْفَرْعُ لِلْأَصْلِ الْمُسْتَرْفِ تَابِعٌ
لَمْ تُلْهِهِ الدُّنْيَا وَلَا شَهَوَاتُهَا
قَدْ «حِيلَ بَيْنَ الْعِيرِ وَالنِّزْوَانِ» عَنْ
تَزْهُو بِهِ الدُّنْيَا وَيَزْهَى مِثْلُهَا
ذُو الْمَالِ مَا إِنْ زَالَ وَهُوَ مُفَوِّتٌ
ذُو الرُّمَحِ يَغْدُو وَالْجَأَ فِي ثَغْرِهِ
وَلَسَوْفَ يَمْلِكُ رُومَةً وَجَمِيعَ مَا
ذُو هِمَّةٍ أَعَزَّزَ بِهَا مِنْ هِمَّةٍ
وَالصَّبْرُ مُرٌّ فِي الْمَذَاقَةِ أَوَّلًا
وَالْبُخْلُ شَيْنٌ لِلْفَتَى كَالْوَجْهِ إِنْ
أَسْيَافُهُ سُلَّتْ فَأَسْقَطَتِ الطُّلَى
بَادِي الْجَلَالَةِ وَالْوَقَارِ إِذَا اخْتَبَى
وَكَمِ امْرِئٌ لَمْ يَفْتَكِرْ لَمَّا يَغِي⁽⁷⁾
تَزْهَى بِهِ أَبْنَاءُ نَضَرٍ مِثْلَ مَا

طَيْبُ الْحَرِيرِ بِطَيْبِ أَصْلِ التُّوتَةِ⁽¹⁾
أَرَأَيْتَ ذَا عَقْلٍ يَلْدُ بِشَهْوَةٍ؟
قَهْرٍ فَلَا طَمَعَ لَهُ فِي نِزْوَةٍ⁽²⁾
مَرْقَى الْعُلَا وَالْمَجْدِ أَعْظَمَ زَهْوَةٍ
وَتَنَاوُهُ⁽³⁾ وَالْمَدْحُ غَيْرُ مُفَوِّتٍ
كَشْعَاعِ شَمْسٍ وَالْجِ فِي كُوءٍ
مَلَكِ الْعَدَى مِنْ بُرْتُغَالٍ لِحَنُوءَةٍ⁽⁴⁾
لِكَمَالِهَا وَجَلَالِهَا مَعَزُوءَةٍ
لَكِنْ يَتَوَلَّى إِلَى عَوَاقِبِ حُلُوءَةٍ
شَانَتْهُ أَعْرَاضُ لَهُ بِاللُّقُوءَةِ⁽⁵⁾
وَسِهَامُهُ رَمَتِ الْعُدَاةَ فَأَشْوَتِ⁽⁶⁾
أَبْصَرَتْ هَضْبًا عَاقِدًا لِلْحَبُوءَةِ
وَالْغَيُّ يُوقِعُ أَهْلَهُ فِي هُوءَةٍ
يَزْهَى شُرَيْخٌ فِي بَنِيهِ بِحَيُوءَةٍ⁽⁸⁾

(1) التوتة: واحدة شجر التوت يُرَبَّى على أوراقها دود القز، وهو مصدر الحرير الطبيعي.

(2) في الأصل: «حِيلَ بَيْنَ الْعِزِّ وَالنِّزْوَانِ»، وهو تصحيف لمثل عربي قديم.

(3) في الأصل: ثناء.

(4) رومة: البرتغال. جنوة: حواضر أوروبية تحظى بشهرة أكثر من غيرها في القرن الثامن الهجري (14م) في مجالي السياسة والتجارة.

(5) اللقوة: داء يصيب الوجه فيشوه الشدق.

(6) في الأصل: فأشوة.

(7) افتكر: تذكر. يغى: يفعل الغي، وهو الإمعان في الضلال.

(8) يعني حيوة بن شريح بن صفوان بن مالك التجيبي الكندي المحدث شيخ الديار المصرية. (ترجمته في: تذكرة الحفاظ: 174\1، وتهذيب التهذيب: 69\3، والتاج: 10\104، وأعلام الزركلي).

يُبْدِي عَدَاةَ الْجُودِ مُعْجَبَ لِسِنِهِ
 كَمْ ⁽¹⁾ يَهْوِي ⁽²⁾ رَأْسُ عَدُوِّهِ عَنْ رُمَحِهِ
 مِنْ بَاذِلٍ يُعْطِي الْجَزِيلَ وَيَأْسُهُ
 مِنْ أَسْرَةٍ، أَعْرَاضُهُمْ مَمْدُوحَةٌ
 حَلَّوْا بِأَنْدِيَةِ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا
 النَّاهِدُونَ إِلَى الْعِدَى بِكَتَائِبِ
 وَالْحَزْبُ تَكْشِفُ عَنْ مُحْيَا نَصْرِهِمْ
 مِنْ آلٍ يَغْرُبُ فِي الصَّمِيمِ جَحَاجِحُ
 الضَّارِبُونَ الْهَامَ هَامَ عَدَاتِهِمْ
 وَالطَّاعِنُونَ ⁽⁷⁾ بِسُمْرِهِمْ تُغَرُّ الْعِدَى

وَلَهُ عَدَاةُ الْحَزْبِ أَغْظَمُ قَسْوَةٍ
 فَكَأَنَّهُ حَزْبٌ بِمِخْلَبٍ لِقْوَةٍ ⁽³⁾
 كَمْ مِنْ عَدُوٍّ خَافَهُ وَعَدُوَّةٌ
 أَبْدَأَ فَمَا يُوصَفْنَ ⁽⁴⁾ بِالْمَهْجُوءَةِ
 كَقُرَيْشٍ إِذْ حَلَّوْا بِدَارِ النَّدْوَةِ ⁽⁵⁾
 كَالسَّيْلِ فَاضَ عُبَابُهُ فِي فَجْوَةٍ
 [كَالْبَحْرِ] ⁽⁶⁾ يَكْشِفُ شَطْهُ عَنْ قُوَّةِ
 بِهِمُ الْمَعَالِي أَصْبَحَتْ فِي نَخْوَةٍ
 بِصَوَارِمٍ لَا تَخْتَشِي مِنْ نَبْوَةٍ
 وَالنَّقْعُ يَكْشِفُ فِي الْوَعَى عَنْ هُبْوَةٍ ⁽⁸⁾

(1) كم: [كذا] ولعله أراد «لم» النافية بدليل أنه جزم الفعل بعدها.

(2) في الأصل: يهو (انظر التعليق السابق).

(3) اللقوة: العقاب الخفيفة السريعة الاختطاف.

(4) يوصفن: لعلها توصفن.

(5) قريش: قبيلة الرسول (ص) سكان مكة، أبوهم النضر بن كنانة، واسمهم مشتق من قريش البحر التي تخافها أحياءه لأنها تفترسها، وقيل غير ذلك. ودار الندوة: هي نادي مكة الذي بناه قصي، سُميت بذلك لاجتماعهم فيها، إذ لا يعد النادي نادياً إلا إذا اجتمع فيه القوم. (اللسان: ندى)

(6) كالبحر: في الأصل كالليل، وقد تبين أنه أراد البحر من مجموعة أدلة منها كلمة «الشط» وكلمة «الفوة» التي هي عشبة تنبت بشواطئ البحر المتوسط، تستعمل في صبغ الحرير. (وسيط: فوه). كما أن الناسخ قد كتب البيت بصيغة أخرى ثم ألغاه وفيها كلمة البحر، ولكن بغير موضعها الصحيح، وهي:

والبحر تكشف عن محيا نصرهم كالليل يكشف شطه عن فوه

مما يدل على انشغال فكره في أثناء نسخ هذه الأبيات.

(7) في الأصل: والطاعنين.

(8) الهبوة: الغبرة.

كَالْأَسَدِ أَمَّنْهَا الشَّرَى مِنْ كِبْوَةٍ⁽¹⁾
فَأَمُنْ وَخُذْهَا كَيْفَ شِئْتَ بِقُوَّةٍ
تُجْلَى عَلَيْكَ الدَّهْرَ أَحْسَنَ جُلُوءٍ
مِنْهَا فَأَوْجِبْ قَبْلُ شُكْرَ أُبُوَّةٍ
وَقَدْ الْهُدَى بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَةِ

وَالطَّاعِنُونَ مِنَ الثَّنَايَا بِالرَّدَى
مَوْلَايَ قَدْ خَلَدْتُ فِيكَ مَدَائِحًا
وَأَقْبَلْ عَرُوسًا مِنْ بَنَاتِ قَصَائِدِي
وَإِذَا رَأَيْتَ بُنُوَّةً مَشْكُورَةً
لَا زِلْتَ فِي السَّعْدِ الْمُجَدِّدِ مَا سَعَا

15

وقال أيضاً^(*): [متقارب]

تَحْتُ عَلَى الْعُودِ فِي كُلِّ بَيْتٍ
إِلَى الْأُنْسِ حِبٌّ⁽²⁾ يَحْتُ الْكُمَيْتِ

وَحَمْرَاءَ فِي الْكَأْسِ مَشْمُولَةٍ
فَلَا عَزَوْ أَنْ جَاءَنِي سَابِقًا

16

وقال^(**):

لَمَّا حَلَلْتَ بِحُسْنِ دَاتِكَ دَاتِي
فَجَمَعْتَ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ فِعَالِكَ فِي الْهَوَى
وَنَفَيْتَ نَوْمِي ثُمَّ أَثْبَتَ الْأَسَى

(1) الشرى: موضع كثير الأسد. والكبوة: السقوط على الوجه.

(*) الكتيبة: 266، والإحاطة: 348\1، والنفع: 116\7.

(2) في النفع والإحاطة: خل.

(**) النفع: 116\7.

وقال غفر الله له^(*): [طويل]

عَنِ الْجَزَعِ أَوْ عَنْ سَاكِنِ الْجَزَعِ حَدَّثِ
وَسَائِلُ عَنِ الْحَيِّ الْحَلَالِ بِرَامَةٍ⁽²⁾
وَسَلَّمَ عَلَى الرَّكْبِ الْمِلْمِ بِحَاجِرٍ⁽³⁾
وَسَقُّ الْحِمَى آهًا وَآهًا عَلَى الْحِمَى
وَعَارِضُ بِأَكْنَافِ الْعَقِيقِ ضَعَائِنًا⁽⁴⁾
وَزِدْنِي بِأَصْوَاتِ الْخُدَاةِ صَبَابَةً
وُبُخْ بِأَحَادِيثِ الْهَوَى لِأَحِبَّةٍ
وَلَا تَحِثِّ⁽⁵⁾ الْكَأْسَ الدِّهَاقَ بِخَمْرَةٍ
وَإِنْ شِئْتَ إِخْيَاءَ النُّفُوسِ فَحَيِّهَا

وَبِالْأَجْرَعِ الْفَرْدِ الرِّكَابِ لَبِثٌ⁽¹⁾
وَإِنْ كَانَ يُجْدِي عَنْهُمْ الْبَحْثُ فَاْبَحْثِ
وَمَهْمَا أَبَاكَ الْمُكْتَحَدِيهِ فَامْكُثِ
بِصُوبِ حَيًّا مِنْ دَمْعِي الْمُتَبَعِّثِ
عَزَزْتُ قَدِيمَ الْحُبِّ فِيهَا بِمُخَدَّثِ
وَدَعَّ عَنْكَ لِحْنِي كُلَّ مَثْنَى وَمَثْلَثِ
نَأْوًا وَأَحَادِيثُ الْجَوَى كُلُّهَا ابْثُثِ
وَكَأْسًا دِهَاقًا بِالْهَوَى الْمُسْكِرِ اخْثُثِ
بِعَزْفِ صَبَا نَجْدٍ وَأَرَاكِهَا ابْعَثِ⁽⁶⁾

(*) المزايين: 4 ب.

(1) في الأصل: ليث، وهو تصحيف، إذ المراد تليث الركائب بتلك المواضع الحجازية، أي طلب وقوفها عليها.

(2) رامة: اسم موضع بالبادية. (اللسان: روم).

(3) حاجر: منزل من منازل الحاج في البادية، كثر ترداده في أشعار المغاربة والأندلسيين. (اللسان: حاجر).

(4) العقيق: اسم وإد بظاهر المدينة المشرفة، كثر ذكره في الحجازيات (انظر: طراز الحلة: 214).

(5) لا تحث: لا تعجل أو لا تسرع.

(6) نجد: منطقة بين الحجاز والعراق عرفت بطيب هوائها وترتيبها وحسن نباتها فأكثر الشعراء من القول فيها، وهي من أبرز المعالم الحجازية التي يتردد ذكرها في المدائح والمولديات والحجازيات بعامية. (انظر اللسان والوسيط: نجد).

وَدَعَّ عَنْكَ تَأْرِيشاً لِنَارِ خِيَامِهِمْ
وَيَا بِأَبِي مِنْ آلِ كَعْبٍ كَوَاعِبٌ
ظَبَاءٌ⁽²⁾ حَمَثُهُنَّ السُّيُوفُ عَوَابِثاً
وَإِنَّ لِإِخْدَاهُنَّ عِنْدِي فِي الْهَوَى
وَأُقْسِمُ مَا أَبْقَيْتُ فِي الْحُبِّ غَايَةً
وَصَبٌّ رَمَتْ مِنْهُ الْمُدَامُ⁽³⁾ بِوَالِهِ
يُحَدِّثُ نَفْساً بِالتَّلَاقِي وَإِنَّمَا
وَدُونَ الْجِمَى حَرْبٌ بِسَيْفٍ مُذَكِّرٍ
وَتَغْرُوهُ⁽⁴⁾ بِالْبَرْقِ الْيَمَانِيِّ لَوْعَةً
وَيَا رَبَّ دَارٍ أَقْفَرَتْ بَعْدَ جِيرَةٍ
أَرَاهُمْ بِعَيْنِ الْفِكْرِ وَالْجِسْمِ نَارِخٍ
وَقَدْ نَكْثُوا عَهْدِي بِنَجْدٍ وَأَخْفَرُوا
كَمَا أَخْفَرَتْ عَهْدَ الدَّرُوعِ قَوَاضِبُ
إِمَامِ الْهُدَى الْمَشْهُورُ بِالْبَاسِ وَالنَّدَا
وَحَامِي جِمَى الْإِسْلَامِ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِي
وَسُمْرٍ طَوَالٍ رُغْفٍ عَنْ دَمِ الْعِدَى
هُمَامٌ لَهُ رَثَقٌ لِمَا فَتَقَ الرَّدَى

وَنَارِ الْأَسَى فِي أَضْلَعِ الْحُبِّ أَرِثُ⁽¹⁾
مَتَى شِئْنٌ إِحْدَاثاً لَوَجْدِي يَحْدُثُ
وَمَا هِيَ مِنْ أَلْحَاطِهِنَّ بِأَغْبَثُ
مَرَايَا مَتَى تَسْتَلِبُ الْوَجْدَ يَلْبَثُ
فَهَلْ بَيْنَ أَهْلِ الْحُبِّ لِي مِنْ مُحَنٍّ
سَكُوبٍ عَزُوبٍ الدَّمْعِ أَغْبَرَ أَشْعَثُ
يَسُومُ عَنَاءَ نَفْسِهِ بِالتَّحَدُّثِ
وَأُخْرَى هِيَ الْأَذْهَى بِلَخْظِ مُؤَنَّثٍ
لَهَا مَبْعَثٌ مِنْ جَوْلَةٍ بَعْدَ مَبْعَثٍ
لَهُمْ مَلَبَثٌ بِالْمُنْحَنِ أَيُّ مَلَبَثٍ
وَلِلْقَلْبِ مِنْ بَلَوَاهُ أَيُّ تَبْعَثٍ
فَيَا صَبْرُ أَخْفِرْ بَعْدَ عَهْدِكَ وَانْكُثْ
بِيْمْنَى ابْنِ نَضْرٍ فَوْقَ كُلِّ مُثْلَثٍ
وَأَكْرَمُ مُؤْوٍ لِلطَّرِيدِ الْمُعَوَّثِ⁽⁵⁾
بِمُخْتَلَيَاتِ الْجَمَاجِمِ فُرَّتْ
عَوَابِثُ فِي أَهْلِ الضَّلَالَةِ عُيِّثُ
وَنَذْبٌ لَهُ لَمْ لِأَيِّ تَشْعُثُ

(1) أرث: أجمع النار وأشعلها وأوقدها.

(2) في الأصل: ضباء.

(3) في الأصل: المدامى أو الموامي، وقد كتبها الناسخ في النص والحاشية على ذلك النحو.

(4) في الأصل: تعزوه.

(5) المعوث: المتحير.

وَمَا غَائِصٌ فِي الْبَحْرِ يَطْلُبُ دُرَّهُ
لَأَمْوَالِهِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ مُفَرَّقٍ
وَقَدْ سَحَرَتْ أَقْلَامُهُ فِعْلَ خُرْدٍ
مَنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِمَا لَهُ
وَقَدْ قَدَحَتْ أَسْيَافُهُ نَارَ فَتْكَةٍ
مَنْ الضَّارِبِينَ الْهَامَ تَحْتَ عَجَاجِهِ
تَطُولُ سُيُوفُ الْهِنْدِ مَهْمَا خَطُّوا⁽³⁾ بِهَا
فَوَارِسُ مَنْ أَبْنَاءُ سَامٍ تَطَارَحُوا
وَيَا لَهُمْ بُدْرُ⁽⁴⁾ الْوَرَى مِنْ مَلَاوِثٍ
يُبَاهِي بَنُو عَدْنَانَ⁽⁶⁾ مِنْهُ بِسَيْدٍ
وَيَفْخَرُ مِنْهُ آلُ سَعْدٍ بِمِذْرَةٍ
مَنْ الْخَزَرَجِيِّينَ الَّذِينَ سَيُوفُهُمْ

بِأَطْلَبَ مِنْهُ لِلْعُلُومِ وَأُبْحَثِ
وَلِلْمَجْدِ وَالْعَلْيَاءِ خَيْرٌ مُؤْتَتْ
بِبَابِلَ⁽¹⁾ لِي فِي عُقْدَةِ السُّحْرِ نُفْتُ
عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى أَجَلَ تَحَثُّثِ
لَهَا بِالضَّرَابِ الْهَبْدِ⁽²⁾ أَيُّ تَأْرُثِ
لَهَا بِذُيُولِ الشَّهْبِ أَيُّ تَشْبُثِ
إِلَى كُلِّ قَزْنٍ فِي الْوَعَى مُتَمَكِّثِ
بِأَبْنَاءِ حَامٍ فِي الْحُرُوبِ وَيَافِثِ
بِرُخْبِ⁽⁵⁾ الثَّوَادِي لِلْعَمَائِمِ لُوثِ
طَوِيلِ نِجَادِ السَّيْفِ أَبْلَجَ أَدْمَثِ
كَرِيمِ الثَّنَا سَامِي الدُّؤَابَةِ مِلُوثِ⁽⁷⁾
تُدَافِعُ عَنْ دِينَ الْهُدَى كُلَّ مُكْرِثِ

(1) بابل: بلد قديم في العراق اشتهر بكثرة السحر، وفيه الملكان هاروت وماروت اللذان يعلمان السحر. (البقرة: 102). وقال في معجم البلدان 2/309: بابل: اسم ناحية منها الكوفة والحلة، ينسب إليها السحر والخمر وكان ينزلها الكلدانيون، ويقال: إن أول من سكنها نوح عليه السلام عقب الطوفان، وهو أول من عمرها.

(2) الهبد: الكسر.

(3) خطوا بها: في الأصل خطوبها. وقرن: في الأصل «قرق».

(4) الأصل: بدر في الوري.

(5) الأصل: بزحث. والملاوِث: السادة، ولات العمامة: لفها.

(6) عدنان: أحد من تقف عندهم أنساب العرب، وإليه ينتسب الحجازيون ويصلون نسبهم بإسماعيل عليه السلام. (تاريخ الطبري: 2/191، وجمهرة أنساب العرب: 8، وأعلام الزركلي). وعدم مناسبتة هذا البيت لما قبله تدل على انقطاع في النص، فتأمل.

(7) والمدرة: زعيم القوم. والملوث: السيد الشريف. (اللسان: دره، لوث).

هُم مَّا هُمْ أَنْصَارُ خَيْرِ الْوَرَى الَّذِي
وَكَا الْمُرْتَضَى الْفَارُوقِ⁽²⁾ كُلُّ مُحَدِّثٍ
وَإِنَّ ابْنَ نَصْرِ ذَا الْفَخَارِ مُحَمَّداً
لَهُ أُسْرَةٌ أَكْرَمَ بِهَا خَيْرُ أُسْرَةٍ
مَّا خَذَهُمْ فِي الْحَرْبِ ذَاتُ تَصَعُّبٍ
أَمْوَلَايَ خُذَهَا بِنْتُ فِكْرِ بَيَانِهَا
فَرُدَّ لَهَا وَجْهَ الْقَبُولِ تَفْضُلاً

لَهُ بِحِرَاءِ⁽¹⁾ دَامَ أَيُّ تَحَثُّثٍ
يَرَى الْمُرْتَضَى الْفَارُوقَ خَيْرَ مُحَدِّثٍ
لَأَكْرَمُ سَاطِ بِالْعِدَى مُتَعَبِّثٍ
لِغُرِّ الْمَعَالِي وَالْمَفَاخِرِ وَرَثٍ
وَأَخْلَاقُهُمْ فِي السَّلَامِ ذَاتُ تَدَمُّثٍ
تَرَامَى بِبَشَارِ الْبَيَانِ الْمُرْعَثِ⁽³⁾
وَكُنْ مُضْغِيّاً عَنْهَا لِكُلِّ مُحَدِّثٍ

(1) حراء: غار تعبد فيه الرسول(ص) قبل البعثة، وفيه نزلت أول آيات من القرآن الكريم.

(2) الفاروق: هو عمر بن الخطاب والخليفة الثاني للرسول(ص).

(3) بشار: هو الشاعر العباسي الأعمى بشار بن برد، وكان يلقب بالمرعث لرعاته كانت له في صغره في أذنه. والرعات هي الأقراط. (ترجمته في: الأغاني 3\135 والفهرست 59 وتاريخ بغداد 112\7-118 ووفيات الأعيان 156-158 وبروكلمان 1\72 ومقدمة «شعر بشار» للخالدين).

وقال سامحه الله^(*): [كامل]

بُشِّرَى كَمَا طَلَعَ الصَّبَاحُ الْأَبْلَجُ
وَصَّاحَةٌ يَلْتَاخُ مِنْ مِشْكَاتِهَا
مَقْبُوسَةٌ مِنْ نَارِ حَيِّ الْأَنْسِ لَا
نَزَلَتْ بِهَا الْأَفْرَاحُ فِي نَادِي الْمُنَى⁽¹⁾
وَبَصْرَحَةِ الْأَمَالِ حَطَّتْ رَحْلَهَا
جَرَّازَةٌ ذَيْلَ السُّرُورِ بِأَبْطَحِ
شَفَافَةٍ كَأَسَاطِهَا عَنْ خَمْرَةٍ
وَلَقَدْ يَحِقُّ لَهَا الْفَخَارُ بِمَوْلِدِ
نَجْمٍ تَزِينُ⁽²⁾ فِي سَمَاءِ الْمُلْكِ بَلْ
سَارِ بِلَيْلٍ مِنْ عَجَاجٍ فِيهِ مِنْ
فَرْعٍ تَزِيدُ فِي أَرْوَمَةٍ مَفْخَرِ
شَبْلٍ يُحَاكِي مِنْ أَبِيهِ فِي الْوَعَى
وَاعْجَبَ لَهُ بَيْدُ الْعُلَا يَأْقُوتَةُ
وَالآنَ⁽³⁾ قَدْ وَعَدْتُ مَخَايِلُهُ الْوَرَى
وَأَتَى الْبِطَاحَ نَسِيمُهَا الْمُتَارِجُ
نُورٌ لِأَنْوَارِ الْمَشَاكِي مُبْهِجُ
مِنْ نَارِ عُرْبٍ بِالْخِيَامِ تُوجَّجُ
وَتُوتُ فَمَا عَنْهُ لَهْنٌ مُعْرَجُ
فَبَدَا الطَّرِيقُ لَنَا وَبَانَ الْمَنْهَجُ
لِحُلُولِهِ رَكْبُ التَّهَانِي مُزَعَجُ
بِلَطَائِفِ الْأَسْرَارِ أَضَحَتْ تُمَزَّجُ
سُرَّتْ بِطَالِعِهِ السَّعِيدِ الْخَزْرَجُ
بَذَرٌ تَنْقُلُ وَالْكَتَائِبُ أَبْرُجُ
غُرَرِ الْجِيَادِ كَوَاكِبُ تَتَبَلَّجُ
طَفِيقَتْ بِرُؤْيَيْهَا الدَّرَارِي تَلْهَجُ
أَسَدًا بِقَرَعِ الْمُرْهَفَاتِ يُهَيِّجُ
لِعَقِيْقَةِ بَغْدِ الْوِلَادَةِ تُخَوِّجُ
بِفَضَائِلِ أَثْوَابِهَا لَا تَنْهَجُ⁽⁴⁾

(*) المزاين: 5 ب.

(1) الأصل: المنا، ومد الألف المقصورة كثير في «المزاين» ولكنه غير مطرد.

(2) الأصل: يشبه رسمها كلمة «تزيل» باللام. ومعنى تزيل: تفرق.

(3) الأصل: ولان.

(4) لا تنهج: لا تبلى..

وَمَكَارِمَ مَا إِنْ تَزَالَ حَدِيثُهَا
وَأِمَارَةً تُضْفِي عَلَيْهِ حُلَّةً
وَوِثَاقَةً لِحُلَاقَةٍ نَضْرِيَّةٍ
وَلِيَهِنَّ أَنْدَلَسًا سُعُودٌ لَمْ يَكُنْ
وَلِيَهِنَّ جُرْدَ الْخَيْلِ مَوْلِدُ زَاحِفٍ
وَلِيَهِنَّ بِيضُ الْهَيْدِ مَقْدَمٌ مُقْدِمٍ
وَلِيَهِنَّ سُمْرُ الْخَطِّ هَبَّةٌ طَاعِنٍ
وَلِيَهِنَّ مُحَمَّرُ الْبُنُودِ كَأَنَّهَا
أَبْنَى السُّيُوفِ الْمَشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا
قُولُوا لِمَنْ رَبُّوهُ قَوْلًا لَيْنًا
لَا تَكْحَلُوهُ فَلَيْسَ يَكْحَلُ عَيْنُهُ
وَتَبَاعَدُوا بِالطَّيْبِ عَنْهُ فَطِيبُهُ
وَضَعُوا قِمَاطًا عَنْهُ إِنْ قِمَاطُهُ
وَمُهِودُهُ صَهَوَاتُ خَيْلٍ تَحْتَهُ
وَرُقَاهُ صَوْتُ صَهِيلِهِنَّ بِمَا زِقِ
وَلَهُ التَّقْلُدُ بِالسُّيُوفِ تَمَائِمٍ
وَعَلَى أَبِيهِ وَذَلِكَ حَقٌّ وَاجِبٌ
مَلِكُ الْمُلُوكِ مُحَمَّدٌ وَأَجَلُ مَنْ

يُرْوَى وَفِي كُتُبِ الصَّحِيحِ يُخْرَجُ
بِيَدِ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ تُدَبِّجُ
بِنَفَائِسِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ تَتَوَجُّ
إِلَّا بِهَا الْكَرْبُ الشَّدَادُ تُفَرِّجُ
بِالْخَيْلِ يَنْهَجُ بِالنِّزَالِ فَيُنْهَجُ
بِسُيُوفِهِ أَسَدُ الْحُرُوبِ تَهْجَهُجُ⁽¹⁾
طَغْنًا كَمَا خَرَقَ الدِّيَاجِي مُدْلِجُ
بِدَمِ الْأَعَادِي فِي الْحُرُوبِ تُضَرِّجُ
وَالْخَيْلِ فِي بَحْرِ النَّجِيعِ تَلْجَجُ
وَالْحَقُّ أَبْلَجُ وَالْمُنَا فِي لَجْلَجِ⁽²⁾
إِلَّا عَجَاجٌ مِنْ حُرُوبٍ مُفْرِجُ
صَدَأُ الْحَدِيدِ بِعَرْفِهِ يَتَأَرَّجُ
دِرْعُ خُطُوطِ الطَّغْنِ فِيهَا تُذْمَجُ
أَغْيَالُ أَسَادِ الشَّرَى تَتَوَلَّجُ
نِيرَانُهُ بِيَدِ الرَّدَى تَتَأَجَّجُ
أَبْدًا لَهَا عَيْنُ الْحَسُودِ تُحَوِّجُ⁽³⁾
شُكْرُ عَمِيمٍ لِلنُّفُوسِ مُبْهَجُ
رُفَعَتْ لَهُ فَوْقَ الْمَطَايَا أَخْدُجُ⁽⁴⁾

(1) تهجهج: تزجر لتكف.

(2) اللجلج: التردد في الكلام.

(3) تحوج: تطلب الحاجة بعد الحاجة.

(4) محمد: هو الغني بالله، والقصيدة بمناسبة ولادة أحد أنجاله. والأحجج: جمع حدج وهو الحمل ومركب النساء كالهودج.

وَالْمَالِيءُ الْأَرْضَ الْفَضَاءَ كَتَائِباً
 مِنْ آلِ نَضْرٍ نَاصِرِي الدِّينِ الْأَلَى
 ضِيَابَةً بِالشُّهْبِ تُلْجَمُ خَيْلُهُمْ
 أَحْيَا مَنَاقِبَهُمْ وَزَادَ مَنَاقِباً
 فَيَاضُ سُحْبِ الْجُودِ مَلِكُ عَدْلُهُ
 تَأْتِي عَطَايَاهُ وَمِنْهَا خَيْرُ مَا
 وَأَجَلُ مَا يَغْزُو الْجَدِيلُ وَشَدَقَمُ
 وَمُمَيْلُ الْأَعْطَافِ أَلْعَسُ أَشْنَبُ
 وَالْوَشْيُ مِمَّا كَانَ فِي صَنْعَاءَ لَدَى
 وَأَخُو الْعَلَاءِ لَمَّا لَهُ دُو حَاجَةٍ
 وَالْوَفَرُ يَخْسُنُ عِنْدَهُ إِلَّا إِذَا
 خُذَهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً قَدْ أُوْدِعَتْ

كَالْبَحْرِ يَظْمُو وَالْمَغَافِرُ⁽¹⁾ أَمْوُجُ
 مَا مِنْهُمْ إِلَّا الْأَعْرُ الْأَبْلَجُ
 أَوْ خِلْتُ ذَاكَ وَبِالْأَهْلَةِ تُسْرِجُ
 لِسَمَائِهَا زُهْرُ الْكَوَكِبِ تَغْرُجُ
 ظِلٌّ عَلَى كُلِّ الرَّعَايَا سَجَسَجُ
 تَرَكَتْ مِنَ الْبَيْضِ الصَّوَارِمِ مُذْحَجُ⁽²⁾
 وَأَعَزُّ مَا يَنْمِي الْوَجِيهَ وَأَعْوَجُ⁽³⁾
 وَمُحَيَّرُ الْأَلْحَاطِ أَوْطَفُ أَدْعَجُ
 أَقْيَالِ⁽⁴⁾ أَوْ أَبْنَاءِ تُبْعَ يُنْسَجُ
 لِكِنَّهُ لِمَنَالِ شُكْرِ أَخْوَجُ
 سَيْلَ النَّوَالِ فَلِئْهُ قَدْ يَسْمُجُ
 مَدْحاً بِقَلْبِي قَبْلَ كَثْبِي يُدْرَجُ

(1) المغافر: الزرود.

(2) مذحج: هو أبو قبيلة من اليمن من نسل كهلان بن سبأ، وقيل مذحج: مالك وطيء. سميا بذلك لأن أمهما لم تتزوج بعد أبيهما أدد. يقال: أذحجت المرأة أي أقامت على ولدها ولم تتزوج بعد موت أبيه. وإلى مذحج ينتمي الأنصار، وإلى الأنصار ينتمي بنو نصر الغرناطيون آل الممدوح. (انظر اللسان: (ذحج)، واللمحة البدرية: 33، والإحاطة 13\2).

(3) الجدِيلُ وشَدَقَمُ: فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر. والوجيه وأعوج: من الفحول التي تنسب إليها كرام الخيول العربية وفيها يقول الشاعر:

بِنَاتِ الْغُرَابِ وَالْوَجِيهَ وَلاحقٍ وَأَعْوَجُ تَنْمِي نِسْبَةَ الْمُتَنَسِّبِ

(اللسان: وجه).

(4) الأقيال: هم سلاطين اليمن. وورد في حاشية المخطوط: «هم السلاطين: بإطلاق. وأبناء تبع: ملوك اليمن. قيل سموا بذلك لأن بعضهم يتبع بعضاً كلما هلك واحد قام آخر له على مثل سيرته. (اللسان: تبع).

وَوَدِدْتُ لَوْ أَنِّي أَجَدْتُ مَعَاقِيَا⁽¹⁾
لَكِنْ بَدَأَ عَجَزِي فَقُلْتُ مُضْمَنًا
(يَهْنِيكَ بِالْوَلَدِ التَّقِيِّ وَلَيْسَ فِي
إِنَّ الْمُقَدَّمَتَيْنِ مَهْمَا كَانَتَا
مِنْ بَحْرِ فِكْرِي دُرُّهَا مُسْتَخْرَجُ
بَيْتَيْنِ، لِلتَّضْمِينِ كُلِّ مُخَوِّجِ
شَبِّهِ التَّقِيِّ لِوَالِدِيهِ تَحْرُجُ
صِدْقًا فَمِثْلُهُمَا النَّتِيجَةُ تَخْرُجُ)

19

«وقال أيضاً^(*): [طويل]

وَقَالُوا عَلَا لِلْخَمْرِ فِي الْكَأْسِ إِذْ بَدَتْ
فَقُلْتُ لَهُمْ: لَا بَلْ هُوَ الشَّيْبُ قَدْ عَلَا
بَيَاضُ حُبَابٍ صَيْغَ ذُرًّا لِتَاجِهَا
عَجُوزًا لَدَيْنَا اشْتَدَّ بَرْدُ مِرَاجِهَا»

20

«ثم أنشد بعد ذلك^(**): [كامل]

وَأَفْتِكَ بِالْخَيْرِ الْمُطِيبِ الْمُبْهِجِ
رَدَّتْ بِهَا الدُّنْيَا نَضَارَةَ حُسْنِهَا
اللَّهُ أَكْبَرُ هَذِهِ الْبُشْرَى الَّتِي
خَابَ الْبُعَاةُ الْغَادِرُونَ وَقَدْ أَتَى
وَأَتَتْ رُؤُوسُ الْقَائِمِينَ بِأَمْرِهِ
فَقَدَّتْ قَوِيمَ جُسُومِهَا ثُمَّ انْتَثَتْ
بُشْرَى كَلِيقَالِ الصَّبَاحِ الْأَبْلَجِ
وَعَدَّتْ تُفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُزْتَجِ
أَهْدَتْكَ كُلَّ مُفَرِّجٍ وَمُفَرِّجِ
رَأْسِ الشَّقِيِّ الْخَائِنِ الْمُسْتَدْرِجِ
تَشْكُو لِحَرِّ الشَّمْسِ أَيَّ تَوْهَجِ
وَجُسُومِهَا مِنْ كُلِّ رُمَحٍ أَغْوَجِ

(1) معاقياً: المنقى في كلامه استوفاه ولم يقصد، وكذا الأخذ في شعب الكلام. (اللسان: عقا).

(*) الكتيبة الكامنة: 267.

(**) نفاضة الجراب (مخطوطة خ. ع، ص. 83-88، والنص المحقق: 128\3) وهي من القصائد التي قيلت بمناسبة عودة الغني بالله إلى غرناطة بعد خلع واستقراره في المغرب حيناً، وفيها إشارة إلى خصوم ابن الأحمر، الذين لجؤوا إلى ملك النصارى فغدر بهم وأرسل رؤوسهم إلى غرناطة. (أنظر: النفاضة: 3\115-125، والعبر: 7\363).

حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ إِلَى السُّورِ الَّذِي
نُصِبَتْ بِهِ مَسْوَدَّةٌ عَبْرًا لِمَنْ
وَكَاثَهَا قِطْعٌ مِنَ اللَّيْلِ الَّذِي
مَا تَمَّ إِلَّا اللَّهُ قَاهِرٌ مَنْ بَغَى
هَٰذَا عَنَّا يَا رَبَّنَا بِمَعَاشِيرِ
خَرَجُوا عَنِ الْأَوْطَانِ قَبْلُ وَحُبُّهُمْ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ وَمَا رَأَيْتُ كَخَابِطِ
مُتَطَّلِعٍ مِنْ كُلِّ نَجْدٍ قَازِفٍ
أَدَّى الْبِشَارَةَ وَهِيَ خَيْرُ بَشَارَةٍ
قَدِيمِ الْجَمِيعِ وَكَانَ يَوْمٌ قُدُومِهِمْ
فَالزَّهْرُ بَيْنَ مُفَضَّضٍ وَمُذْهَبٍ
وَالْقُضْبُ تَرْقُصُ وَالْغَدِيرُ مُصَفَّقٌ
وَالرَّيْحُ قَدْ فَهِمَتْ حَدِيثَ قُدُومِهِمْ
وَالْأَرْضُ هَٰذَا الْأَرْضُ تَبْسُطُ خَدَّهَا
أَهْلًا بِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ سَادَةٍ
يَغْفُونَ إِنْ قَدَرُوا وَيُولُونَ الرُّضَى
فَهُمُ الْغُيُوثُ إِذَا الْمُحُولُ تَوَاتَرَتْ

طَلَعَتْ بِهِ فِي جُنْحٍ لَيْلٍ مُدْجٍ
قَدْ جَاءَ مُغْتَبِرًا هُنَاكَ وَمَنْ يَجِي
عَدَرُوا بِهِ الْحَمْرَاءَ بَعْدَ تَلْجُلُجٍ
وَمُفَرَّجِ الْكُرْبَاتِ لِلْقَلْبِ الشَّجِيِّ
أَفْضَالُهُمْ لِسُؤَالِهِمْ لَمْ تُحَوِّجِ
عَنْ كُلِّ قَلْبٍ عِنْدَهَا لَمْ يَخْرُجِ
فِي الْبَيْدِ يَطْوِيهَا كَطَيِّ الْمَدْرَجِ
تُرَبِّ الْعِرَاقِ عَلَى أَبَاطِحِ مَنبِجٍ⁽¹⁾
أَلَتْ شَدَائِدُ دَهْرِهِمْ لَتَفَرُّجِ
لَا يَزْتَجِيهِ كَمَا رَأَاهُ الْمُزْتَجِي
وَالرَّوْضُ بَيْنَ مُوشِحٍ وَمَدْبَجٍ
وَالْوُرُقُ قَدْ عَنَّتْ وَلَمْ تَتَلْجُلْجِ⁽²⁾
فَحَبَّتْ بِكُلِّ مُعْطَرٍ وَمُؤَرِّجِ
لِلضَّارِبِينَ قَبَابَهُمْ بِالْمَدْرَجِ
بِسِوَاهُمْ صَدْرُ الْعُلَى لَمْ يُثْلَجِ
وَيَقِلُّ عِنْدَهُمُ الْكَثِيرُ لِمُلْتَجِ
وَهُمُ اللَّيُوثُ عَدَاةُ يَوْمٍ تَوَلَّجِ

(1) منبج: موضع، ذكر بعضهم أنها بلد أول من بناها كسرى عندما غلب على الشام (معجم البلدان 205\5).

(2) أخذ الكثير من صور وعبارات الطبيعة من لامية ابن خاتمة (ديوانه ص. 22)، ومن ذلك قوله:
الأرض بين مدبج ومجلل
والرّوض بين متوج ومكلل
فالتّطير تشدو والغدير مصفق
والقضب ترقص والأزهار تنجلي

أَلْمُوقِدُونَ النَّارَ فَوْقَ شَوَاهِقِ
(وَالضَّارِبُونَ) طَوَلَ الْكُمَاةَ بِمَازِقٍ⁽¹⁾
(وَالطَّاعِنُونَ) كُلَّ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى
مَرَجَتْ عُهْدُ الدُّزْعِ يَوْمَ ضِرَابِهِمْ
مِنْ ضِئْضِئِ الْمَجْدِ [الذي]⁽²⁾ طُلَّابُهُ
فِي سِرٍّ قَحْطَانٍ⁽³⁾ قَدْ اتَّسَقَتْ لَهُمْ
شَرَفٌ إِذَا كَأْسُ الْمَعَارِفِ شَغَشَعَتْ
مِنْ عِلْيَةِ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي
وَتَلَاةٌ قَيْسٌ وَهُوَ أَكْبَرُ مَا جِدِ
قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ذُو الْجَلَالَةِ وَالْعُلَى
وَلَقَدْ نَمَى نَضْرًا مُحْيَا كَاسِمِهِ
وَأَتَى الْأَيْمَةَ بَعْدُ⁽⁴⁾ مِنْ أَبْنَائِهِ
خُلَفَاءُ أُمَّةٍ أَحْمَدٍ وَغِيَاثُهُمْ
هُمْ كَالنُّجُومِ⁽⁵⁾ بَدَتْ لَنَا وَمُحَمَّدٌ
مَلِكُ الْمُلُوكِ وَخَيْرُ مَنْ قَهَرَ الْعِدَى

كَادَتْ تَذُوبُ بِجَاحِمٍ مُتَأَجِّجٍ
إِنْ يُدْعَ لِلْمَوْتِ الزُّوَامِ يُعْرَجُ
بِشَبِيهِ أَرْشِيَةِ يَلُوحُ بِمُذَلِّجٍ
وَعُهُودُ فَتْكَ سُيُوفِهِمْ لَمْ تَمْرَجِ
دَرَجُوا، وَطَيْبُ ثَنَائِهِمْ لَمْ يُدْرَجِ
سَرَوَاتُ أَزْحَامِ كِرَامٍ وَشَجِ
فَبَغِيرِ طَيْبِ حَدِيثِهِمْ لَمْ تُمْرَجِ
قَدْ شَادَهُ سَعْدٌ كَبِيرُ الْخَزَرْجِ
نَذِبِ بَغِيرِ قَضَائِلٍ لَمْ يَلْهَجِ
وَالْحَمْدُ بِاسْمِ بِالشَّدَا الْمَتَّارِجِ
فَالْحَقُّ لَوْلَا نَضْرُهُ لَمْ يَغْرَجِ
كُلُّ لَهُ شَرَفٌ كَرِيمُ الْمُنْتَجِ
إِذْ لَا مُغِيثَ غَدَاةٍ خَطْبٍ قَدْ يَجِي
شَمْسٌ بِأَفْقِ عِلَاهُمْ الْمُتَبَرِّجِ
مِنْهُمْ وَأَكْرَمُ مُلْجِمٍ أَوْ مُسْرِجِ

(1) في النص المحقق: بمارق.

(2) في الأصل: «الذين»، وفي هذا النص، برغم وضوحه، أخطاء جرأتي على هذا التغيير كإثبات النون في «الضاربون» و«الطاعنون» في البيتين قبله.

(3) قحطان: هو أبو العرب اليمانية التي تنتمي إليها أسرة بني نصر الغرناطيين، ولذلك يُكثر الشعراء من ذكره في مدائحهم، وسنرى أن الشاعر يركز على نسبتهم إلى قيس بن سعد بن عبادة، الذي ألقت تصانيف في عود نسبتهم إليه. (اللمحة البدرية: 33).

(4) سقت «بعد» من النفاضة المحققة.

(5) في النفاضة: كالنجوم.

يَا رَاكِباً يَطْوِي الْفَلَاةَ بِجَسْرَةٍ
 مِنْ نَسْلِ شَذْقَمَ لَا تَمَلُّ مِنَ الشَّرَى
 تَشْدُوا إِذَا جَنَّ الدُّجَى بِقَصَائِدِ
 أَفْصَدَ بَأْنَدَلَسٍ أَعَزَّ خَلِيفَةٍ
 وَأَخْضَضَ بِمَا نَظَّمْتُ مَوْلَى مُنْعِمًا
 أَضَحَّتْ مَدَائِحُنَا خَدَاجاً كُلَّهَا
 مَا الْأَرْضُ فِي الزَّمَنِ الْجَدِيدِ إِلَى الْحَيَا
 يَأْمَنُ يُفَاخِرُهُ وَرَاءَكَ لَيْسَ ذَا
 مَلِكٌ لَهُ خَضَعَتْ تَبَابِعُ حَمِيرٍ
 لَوْ كَانَ عِنْدَ الْبَذْرِ بَعْضُ جَمَالِهِ
 أَوْ جَازَتْ الظُّلُمَاءُ نُورَ جَبِينِهِ
 أَغْنَاهُ شُرْبُ دَمِ الْعِدَى، وَلِوَاؤُهُ
 إِلَيْهِ فِي يَوْمِ الْحُرُوبِ مُحَمَّدٌ
 وَالْخَيْلُ تَزْحَفُ بِالْكُمَاةِ كَأَنَّهَا
 مِنْ أَشْهَبِ كَالطُّرْسِ لَاحَ الطَّغْنُ فِي
 أَوْ أَشْقَرِ كَالْبَرْقِ أَوْمَضَ فِي دُجَى

كَالْقَذْحِ تُبْصِرُهُ بِكَفٍّ مُغَوِّجٍ
 أَوْ تَضْدَعُ الْبَيْدَاءَ صَدْعَ الدُّمْلَجِ
 [الْأَدَبِ الَّتِي]⁽¹⁾ فِي حِفْظِهَا لَمْ تُخَوِّجِ
 فِي عَضْرِهِ وَأَجَلَ مَلِكٍ قَدْ رُجِيَ
 لِسَوَى عُلَاهُ النَّظْمِ لَمْ يُتَحَوِّجِ
 فَإِذَا خَصَصْنَاهَا بِهِ لَمْ تُخْدَجِ
 مِنَّا إِلَى جَدْوَى يَدَيْهِ بِأَخْوَجِ⁽²⁾
 يَوْمًا بِعُشْكِ فِي الْمَفَاخِرِ فَادْرُجِي
 وَبَنُو الْأَعَاظِمِ مِنْ قَبَائِلِ مَذْجِ
 عِنْدَ اشْتِدَادِ الرِّيحِ لَمْ يَتَمَوِّجِ⁽³⁾
 لَمْ تَبْنِ صَدْعَ صَبَاحِهَا الْمُتَبَلِّجِ
 عَنْ مَوْرِدِ عَذْبٍ وَظِلُّ سَجَسَجِ⁽⁴⁾
 وَالْأَرْضُ تُشْرِقُ بِالْقَنَا الْمُتَوَشِّجِ
 بَخْرٌ وَبَيْضُ الْهِنْدِ طَامِي الْأَمْوَجِ⁽⁵⁾
 لَبَّاتِهِ كَسُطُورِ خَطِّ مُذْمَجِ
 نَقَعَ بِكَرَّاتِ الْخَيُْولِ مُهَيِّجِ

(1) في المخطوطة والنص المحقق: الأداة، وفي التصويب تجن على الأصل ولكن فيه سلامة الوزن وعدم زيادة المعنى.

(2) مثل تقدمت الإشارة إلى مصدره.

(3) البيت في مختارات ابن عزم: 28، مع تغيير طفيف.

(4) البيت في مختارات ابن عزم: 28، وفيه: «ذوب» موضع «شرب».

(5) هذا البيت والخمسة بعده في: مختارات ابن عزم: 56.

أَوْ أَحْمَرٍ عَرِقَتْ نَوَاصِعُ نَخْرِهِ
 أَوْ أَصْفَرٍ لَيْسَ الْأَصِيلُ وَعَرْفُهُ
 أَوْ أَذْهِمٍ كَسَوَادٍ عَيْنٍ فُتِّحَتْ
 أَوْ أَشْعَلٍ كَضِرَامٍ نَارٍ إِنْ يَطُلُ
 مِنْ خَيْرٍ إِنْتَاجِ الْوَجِيهِ وَلَا حَقِ
 تَنْقَضُ عُقْبَانَا وَفَوْقَ ظُهُورِهَا
 أَقْسَمْتُ مَا حَسَنَاءُ طُرَّةٌ دُمِيَّةٌ
 مِنْ عَفْرِ آرَامِ الْكِئَاسِ بِوَجْرَةٍ
 مَضْعُوفَةٍ مَجْرَى الْوِشَاحِ تَخَالِهَا
 مَعْشُوقَةُ اللَّحْظَاتِ طَيِّبَةُ الشَّدَا
 كَأَقَاحَةِ سُقَيْثٍ بِمَاءٍ غَمَامَةٍ
 يَوْمًا بِأَشْهَى عِنْدَهُ مِنْ مَشْهَدٍ
 وَلَقَدْ حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْأُلَى
 مَا الزَّهْرُ مُمْتَسِكًا بِأَذْيَالِ الصَّبَا
 أَوْفَى لَدَيْهِ مَحَاسِنًا مِنْ رَايَةٍ
 شَهْمٌ أَخُو حَزْمٍ سَلِيمٌ رَأْيُهُ
 لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُهُ أَمَامَ بِلَادِهِ
 وَإِذْ⁽⁴⁾ الْمَنَايَا تَلْتَظِي بِجِهَاتِهَا

فَعَدَّتْ كَمِثْلِ الْخَمْرِ مَهْمًا تُمَزَجُ
 كَاللَّيْلِ فَاضَ عَلَى الْأَصِيلِ الْمُبْهَجُ
 وَحُجُولُهُ كَبَيَاضِهَا الْمُتَمَزَجِ⁽¹⁾
 فِي الْحَرْبِ هَائِلُ نَفْخِهِ يَتَأَجَّجُ
 قُبُ الْأَيَاطِلِ، مِثْلُهَا لَمْ يُنْتَجِ
 أَسَدٌ مَتَى دُعِيَتْ نَزَالِ تَهَيَّجِ
 تَرْنُو إِلَيْكَ بِطَرْفِ أَحْوَرٍ أَدْعَجِ
 مُنِيَتْ بِأَيِّ مُجَلِّي وَمُهْجِهَجِ⁽²⁾
 بَذَرًا عَلَى غُضَنِ بَدِغَصٍ رَجَرَجِ⁽³⁾
 تَفْتَرُّ عَنِ أَلْمَى أَعْرَ مُفْلَجِ
 فِي رَوْضَةٍ بِالزُّهْرِ ذَاتِ تَأَرْجِ
 بِسَوَى الْحُسَامِ بِكَفِّهِ لَمْ يُفْرَجِ
 بِسَوَى مَوَاقِفِ قَوْمِهِمْ لَمْ يَخْجِجِ
 فِي إِثْرِ وَبَلٍ لِلْبِطَاحِ مُدَبَّجِ
 مِنْ فَوْقِ رُمُحٍ بِالْدُمَاءِ مُضْرَجِ
 لَمْ تَزِمِ كَفُّ النِّقْدِ مِنْهُ بِبَهْرَجِ
 أَيَّامَ لَمْ تَمْنَحْهُ وَشَكَ تَوَلَّجِ
 كَالنَّارِ تُشْعَلُ فِي الْغَضَا وَالْعَرْفَجِ

(1) في المختارات: المتموج.

(2) هجيج الفحل: شدد هديره. ويقال: ظليم هجاهج وهجاهج.

(3) الدعص: قطعة من الرمل مستديرة، والرجرج: المهتز المضطرب.

(4) في الأصل: وإذا، والعرفج في قافية البيت هو: شجر سهلي سريع الانقياد، طيب الريح وله زهرة صفراء، وليس له حب ولا شوك له ثمرة صفراء وتأكله الأنعام رطباً ويابساً. (انظر

لَرَأَيْتَ لَيْثًا وَالْفَوَارِسُ دُونَهُ
 حَتَّى إِذَا ظَفِرَتْ يَدَاهُ بِفَتْحِهَا
 وَأَذَلَّ صَائِلَ فِتْنَةٍ خَبَطَتْ إِلَى
 وَأَتَى إِلَى غَرْزَاطَةٍ فِي طَالِعِ
 قِيدَتْ لَهُ مِثْلَ الْعُرُوسِ وَإِنَّهَا
 أَضْفَى عَلَى أَغْطَافِهَا حُلَّ الرُّضَى
 وَحَوَى بِهَا الْمُلْكَ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ
 وَتَزَيَّنَتْ مِنْ وَجْهِهِ آفَاقُهَا
 فَاسْمَعُ مُحَمَّدٌ حَمْدَهَا فَقِيَّاسُهُ
 وَإِلَيْكَهَا مِثِّي مَدَائِحُ أَنَّهُجَتْ
 وَلَوْ أَنَّنِي أُعْطِيتُ كُلَّ بَلِيغَةٍ
 لَأَتَيْتُ بِالتَّقْصِيرِ مُغْتَرِفًا وَلَمْ
 فَاشْرُفْ وَسُدَّ وَاسْعَدَ وَعَزَّ وَجُدَّ وَصَلَّ
 وَاللَّهُ يَمْنَحُكَ الْأَمَانِي كُلَّهَا

21

وله مضمناً، وقد تذكر حمراء غرناطة، وبابها الأحفل، المعروف بباب
 الفرج (*) : [مقارب]

أَقُولُ وَحُمَرَاءُ غَرْزَاطَةٍ
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي وَطُولَ السُّرَى
 تَشْوِقُ الثُّفُوسَ وَتُسْبِي الْمُهْجِ
 أَرَزْنَا الْوَجَى وَاشْتَكَّتْ فِي الْعَرَجِ

الإفصاح، في فقه اللغة، لحسن الصعيدي 2/1116 دار الفكر العربي، القاهرة: (1967).

(1) النفاضة: واهج، وهو من التصحيف.

(*) جذوة الاقتباس: 1/92، والإحاطة: 1/348.

وَمَا لِي فِي عَرَجٍ رَغْبَةً وَلَكِنْ لَأُقْرِعَ بَابَ الْفَرْجِ

22

ومن بديع نظم أبي إسحاق ابن الحاج النميري المذكور قوله (*) : [كامل]

يَا رَبِّ كَأْسٍ لَمْ تُشَجِّ شُمُولُهَا فَأَعْجَبَ لَهَا جِسْماً بِغَيْرِ مِزَاجِ
لَمَّا رَأَيْنَا السُّخْرَ مِنْ أَشْكَالِهَا جُمَلاً نَسَبْنَاهُ إِلَى الزَّجَاجِ

23

وقال أيضاً (**): [خفيف]

وَمَهَاءُ تَقُولُ إِنَّ هِيَ كَلْتُ وَدَعَا لِلْمِزَاجِ يَوْماً مُمَازِجِ
دَاوِ ذَا الرُّذْفِ إِنَّ فِي الْأَزْرِ مِنْهُ كُثْبَ يَبْرِينَ، يَا طَبِيبُ وَعَالِجِ

24

وقال أيضاً (***) : [خفيف]

قِيلَ إِنَّ الْكَمَامَ يَنْفُخُ مِسْكَاً قُلْتُ: لَا تَعْجَبَنَّ وَزِدْ فِي الْمَنَاهِجِ
بَعَثَ الْغَيْثُ لِلنَّوَافِحِ مِنْهَا نُقْطَةً آخِراً فَعَادَتْ نَوَافِحِ

(*) النفح : 535\2، ومسالك الأبصار (مخطوطة باريس : 215\17). والإشارة إلى كتاب «الجمال» في النحو للزجاج.

(**) الكتيبة الكامنة : 267.

(***) المصدر نفسه.

وقال أيضاً^(*): [طويل]

وَصَاحَبَكَ الْيُمْنُ الْمُوَاصِلُ وَالتُّجَحُّ
عَلَى أَثَرِ الْفَجْرِ الَّذِي صَدَقَ الصُّبْحُ
فَعَزَّ مِثَالُ الْوَصْفِ وَامْتَنَعَ الشَّرْحُ
لِزُنْدِ الْمَنَايَا كُلَّمَا زَحَفَتْ قَدْحُ
هِيَ السُّفْنُ فِي بَحْرِ الْعَجَاجِ لَهَا سَبْحُ
عَلَى بَأْسٍ لَيْثِ الْغَابِ ضَمَّ لَهُ كَشْحُ
إِذَا لَمَحْنَهُ الشَّمْسُ أَغْجَزَهَا اللَّمَحُ
وَسُحِبُ الدَّمِ الْمَوَارِ⁽³⁾ فِيهَا لَهَا سَبْحُ
فَثَلَّتْ عُرُوشُ الْكُفْرِ وَاسْتَنْزَلَ الصَّرْحُ
لِللَّيْلِ عَجَاجِ الْخَيْلِ مِنْ فَوْقِهَا جُنْحُ
بِهَا لَمْ يُرَجَّ لَأْ صَلاَحٌ وَلَا ضَلْحُ
لِنَارِ الْمَنَايَا فِي الْوُجُوهِ بِهَا نَفْحُ
وَضَرْباً بِهِ قَدْ جَرَّحَ الدَّارِعَ الْجُرْحُ

هَنِيئاً يَنْصُرِ اللَّهَ قَدْ جَاءَ وَالْفَتْحُ
وَوَافَتْكَ بُشْرَى إِثْرَ بُشْرَى كَمَا أَتَى
وَأَبْدَى لَكَ الصُّنْعُ الْجَمِيلُ عَجَائِباً
وَلَمْ أَنَسْ لَا أَنَسَ السُّرَى وَكَتَائِباً
لَوَاحِقَ مِنْ نَسْلِ الْوَجِيهِ وَلَا حِقِ⁽¹⁾
عَلَيْهَا مِنَ الْأَبْطَالِ كُلِّ مُبَاسِلِ⁽²⁾
وَذِي لَجَبٍ جَمِّ الصَّوَاهِلِ أَرْعَنِ
مِنَ التَّارِكِينَ الْأَرْضَ تُشْرِقُ بِالْقَنَا
رَمَيْتَ بِهِمْ إِشْبِيلِيَّةَ وَحُصُونَهَا
وَجَاؤُوا بِهَا مِلءَ الْفَضَاءِ مَعَانِمَا
وَصَبَّحْتَ مِنْ إِطْرِيرَةِ⁽⁴⁾ ذَاتِ مَنَعَةٍ
وَدَارَتْ بِهَا دَوْرَ الْوِشَاحِ جَحَافِلُ
مَعْوَدَةِ طَعْنِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى

(*) المزاين: 7 أ.

(1) الوجه ولاحق: من كرام الخيول العربية. تقدمت الإشارة إليهما.

(2) مباسل: باسله أي صاوله في الحرب، فهو مباسل ومصاول.

(3) المور: الاضطراب.

(4) إطريره: مدينة أندلسية غزاها الغني بالله في شعبان سنة 768 هـ (1367م). (راجع الظاهرة التوثيقية).

وَحَادَثَتْ بِالْحَزْبِ الزُّبُونِ مَعَاقِلًا
فَسُرْعَانَ⁽¹⁾ مَا جَرَّتْ عَلَى الْأَهْلِ أَهْلَهَا
وَمُلْكٌ مِنْ أَسْوَارِهَا كُلُّ شَاهِقٍ
وَجَاسَتْ عَلَى جُرْدٍ خِلَالِ دِيَارِهَا⁽²⁾
وَأَمْسَتْ كَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ وَاعْتَدَتْ⁽³⁾
وَحَاقَ مُسِيءُ الْمَكْرِ فِيهِ بِأَهْلِهِ⁽⁴⁾
وَفِي يَوْمِكَ الثَّانِي زَحَفَتْ لِمَعْقِلٍ
تَحَصَّنَتْ الْكُفَّارُ فِيهِ وَمَا دَرَوْا
وَرَامُوا نَجَاةً مِنْكَ فِيهِ، وَإِنَّمَا
فَذَاقُوا وَبَالَ الْأَمْرِ وَاسْتَشْعَرُوا الَّتِي
وَدَارَتْ عَلَيْهِمْ أَكْثُوسُ الْحَتَفِ مَرَّةً
وُئِبْتُ أَنْ الرُّومَ جَاءَتْ جِيُوشُهَا
فَافْتَزَتْ مَخْضَ الْحَزْمِ بِالْعَزْمِ صَادِقًا
وَوَافَيْتْ مُرْتَادًا مُعْسَكَرَكَ الَّذِي
وَبَوَّاتٍ فِيهِ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدًا

بِأَوُجِهَا بِالتَّيْلِ مُذْ حُودِثَتْ نَضْحُ
هَزَائِمَ مَسْرُورٍ بِهَا السَّيْفُ وَالرُّمْحُ
لِمَالِكِهِ حُسْنٌ بَدَا وَلَهَا قُبْحُ
كُمَاةً لَهُمْ سَعْيٌ زَكَا وَلَهُمْ كَذْحُ
فَلَا رُبْعُهَا رُبْعٌ وَلَا سَرْخُهَا سَرْخُ
فَحَظُّهُمْ الْخُسْرَانُ بِالْمَكْرِ لَا الرُّبْحُ
إِلَى التُّطْحِ يَسْمُو أَوْ يُتَاحُ لَهُ نَطْحُ
بِفَتْحٍ لِأَبْوَابِ السُّعُودِ بِهِ فَتْحُ
يُتِيحُ نَجَاةً الْمَرْءِ حِلْمُكَ وَالصَّفْحُ
تُعَادِرُ⁽⁵⁾ صَرْعَى فِي الْبَطَاحِ⁽⁶⁾ لَهُمْ بَطْحُ
فَمِنْ سُكْرِهَا الصَّاحُونَ فِي الْحَزْبِ لَا تَضْحُ
إِلَيْكَ ضَحَى وَالْعَادِيَاتُ لَهَا صَبْحُ⁽⁷⁾
وَأَمْرُكَ جِدٌّ حَيْثُ لَا يُحْمَدُ الْمَرْحُ
لِوُزْقِ التَّهَانِي فَوْقَ أَعْلَامِهِ صَرْخُ
لَايٍ قِتَالِ آيَةِ الصُّدْقِ لَا يَمْحُ

(1) في الأصل: فسريحان، وهو تصحيف من الناسخ.

(2) اقتباس من الآية الكريمة: ﴿فَجَاسُوا خِلَالِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾. (الإسراء: 5).

(3) اقتباس من قوله تعالى: ﴿... كَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ﴾. (يونس: 24).

(4) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: 43). ونجد في النص أمثلة أخرى تدل على كثرة اقتباساته القرآنية.

(5) في الأصل: تغارد.

(6) في الأصل: النطاح.

(7) في الأصل: والغاديات لها صفح، والاقتباس من سورة العاديات واضح.

وَكُنْتَ لَعَمْرِي لِلْأَهَمِّ مُقَدِّمًا
إِلَى أَنْ كَفَى اللَّهُ الْقِتَالَ وَأُخِمِدَتْ
فَعُدَّتْ إِلَى حَزْبِ الَّذِينَ تَمَنُّوْا⁽¹⁾
فَأَنْزَلْتَهُمْ أَسْرَى عَلَى حُكْمِكَ الَّذِي
وَسِيقُوا أُلُوفًا يَذْكُرُ الْحَشْرُ عَرْضَهُمْ
وَكَفَّتْ أَكْفُ السَّبْيِ مِنْهُمْ عَقَائِلًا
وَأَذْرَكْتَ ثَارَ الدِّينِ فِي الْقَوْمِ مَسَّهُمْ
وَوَافَتْكَ أَرْسَالُ النَّصَارَى خَوَاضِعًا
بِكُلِّ كِتَابٍ كُلَّمَا خُطَّ صَفْحُهُ
وَأَبْدُوا لَكَ الْإِخْلَاصَ سَمْعًا وَطَاعَةً
وَجِئْتَ بِأَسْرَى ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَنْهُمْ
وَأَظْهَرْتَ عِزَّ الدِّينِ لَمَّا أَجَزْتَهُمْ
وَدَوَّخْتَ أَرْضَ الرُّومِ مُحْتَمِلًا لَهُمْ
وَلَوْلَاكَ مَا رِيَعَتْ وَذَلَّتْ جُمُوعُهُمْ
صَنَائِعُ لَمْ تَحْكِ التَّوَارِيخُ مِثْلَهَا
وَلِلَّهِ يَا إِلَهَ مَقْدَمِكَ الَّذِي
وَمَا كُنْتَ إِلَّا الشَّمْسَ وَالطَّرْفُ أَفْقُهَا
وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْكَ خَلِيفَةٌ

فَلَا طَغَنَ فِي الطَّغْنِ الْمُعَدَّ وَلَا قَذُحُ
عَوَاقِبُ لَمْ يَغْفُلْ مُرَاعَاتَهَا النُّضْحُ
وَلِلْسُوقِ وَالْأَغْنَاكِ مَا بَيْنَهُمْ مَسْحُ
بِهِ لِلرَّدَى مَنَعُ وَفِي طَيْهِ مَنَحُ
عَلَى نَارِ حُزْنٍ لَا يَغِبُّ لَهَا لَفْحُ
حَسَانًا عَلَيْهِنَّ الْقَلَائِدُ وَالْوُشْحُ
كَمَا مَسَّ أَسْرَانَا بِعَذْرِ الْعِدَى قَرْحُ
بِرُوعِهِمْ يَنْحُو الْأَسَى آيَةً تَنْحُو
تَهْلَلُ لِلسَّيْفِ الْيَمَانِي بِهِ صَفْحُ
وَذَاكَ كَمَالُ الْفَتْحِ لَا عُدَمَ الْفَتْحُ
فَمَا نَهَضَ الْوَادِي بِهِمْ لَا وَلَا السَّفْحُ
عَلَى طُرُقٍ رِيَعَتْ بِهَا الرِّيحُ وَالضُّحُ⁽²⁾
عَلَيْهَا وَلِلْحَزْبِ الْعَوَانِ بِهِمْ لَقْحُ
وَلَا مُلِئَتْ رُغْبًا بِلَادَهُمْ الْفُسْحُ
وَلَا حَدَّثَتْ عَنْ شِبْهَهَا الْأَلْسُنُ الْفُضْحُ
لَهُ الطَّائِرُ الْمَيْمُونُ وَالسَّنْحُ لَا الْبَرْحُ⁽³⁾
وَنَفْعُكَ سُحْبٌ بِالدَّمَاءِ لَهَا سَفْحُ
رَفِيعُ عِمَادِ الْفَخْرِ لِلْمُجْتَدِي سَمْحُ

(1) في الأصل: تمتعوا.

(2) الضح: الشمس. ويقال: جاء بالضح والريح أي بما طلعت عليه الشمس وجرت عليه الريح.
والمراد: جاء بالشيء الكثير. (وسيط: ضح).

(3) السنح: الطائر يعرض من مياسرك إلى ميامنك فيوليك ميامنه، والعرب يتيمينون به، ويصفونه
بالسانح، وعكسه مرور الطائر البارج، وهم يتشاءمون به، ويصفونه بالبارح.

بِعَظْفِ الْعُلَى مِنْ جُودِ مُخْرِزِهِ رَشْحُ
حَيَاءٍ مِنَ الْجَارَاتِ مَرْضَى وَقَدْ صَحُّوا
بُنُودُهُمْ لَا الْبَانَ كَلَاءً وَلَا الطَّلْحُ⁽¹⁾
فَلَا الْبُخْلُ مِمَّا يَعْرِفُونَ وَلَا الشُّحُ
أَلَا إِنَّ مَدَحَ اللَّهِ، جَلَّ، هُوَ الْمَدْحُ
بِغُرِّ قُتُوحٍ لَا يَغِيبُ لَهَا قَذْحُ
لِعَرَفِ الصَّبَا بِالزَّهْرِ غَبَّ الْحَيَا نَفْحُ

مُحَمَّدَ الْمَحْمُودُ ذُو الشَّرَفِ الَّذِي
مِنَ الْقَوْمِ مَا بَيْنَ الْخِيَامِ تَخَالَهُمْ
مِنَ الْعَرَبِ الْغُرُّ الْوُجُوهُ تُظَلُّهُمْ
أُولَئِكَ أَنْصَارُ النَّبِيِّ تَزَامَرُوا
وَجَاءَ مِنَ اللَّهِ الْكِتَابُ بِمَدْحِهِمْ
بَقِيَتْ، أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ، مُهْتَأً
وَدَامَتْ لَكَ الْبُشْرَى وَأُيُذِتَ مَا ذَكََا

26

وقلت من قصيدة في الرثاء^(*): [كامل]

بِاللَّهِ مَا حُزِنِي عَلَيْكَ بِنَازِحِ
تَهْفُو لِرَنَّةٍ نَادِبٍ أَوْ نَائِحِ
مَهْمَا⁽²⁾ شَبَبَتِ النَّارَ بَيْنَ⁽³⁾ جَوَانِحِي
رُزْءِ الْعُيُونِ سَنَا الصَّبَاحِ الْوَاضِحِ

يَا نَازِحاً عَبَثْتُ بِهِ أَيْدِي الْبِلَى
فِي ذِمَّةِ الْبُرَحَاءِ بَعْدَكَ مُهْجَةً
وَتَكَادُ تَذْهَبُ فِي مُرَاقٍ مَدَامِعِي
أَسْفَاً عَلَى ذَاكَ الْجَمَالِ رُزِيئُهُ

27

وقال ملغزا في القلم^(*): [طويل]

وَيَهْوَى الْعَرِيبُ النَّازِحُ الدَّارَ إِفْصَاحَهُ

أَحَاجِيكَ مَا وَاشٍ يُرَادُ حَدِيثُهُ

(1) البان: شجر لين سبط القوام يشبه به الحسان في الطول واللين. والطلع: شجرة من شجر العضاة ترعاه الإبل، ويكثر ذكره في الشعر المحافظ على الاتجاه القديم لأنه من نبات البادية.

(*) مذكرات ابن الحاج النيمري بتحقيق برميير: 124-125 و(مخطوطة الاسكوريال: 29 ب).

(2) في الأصل والتحقيق: مهمى.

(3) برميير: في. والتصحيح عن الأصل.

(*) الكتيبة: 267، والإحاطة: 1\356، وجذوة الاقتباس: 1\93، والنفع: 7\115.

إِهْ مَعَ الْأَخْيَانِ أَضْفَرَ نَاجِلًا كَمِثْلِ مَرِيضٍ⁽¹⁾ وَهُوَ قَدْ لَازَمَ الرَّاحَةَ

28

وقال في ضاربِ جناح من آلات الطَّرب^(*): [وافر]

مَا مَنْ رَامَ أَخَذَ الْقَلْبَ مِنِّي بِأَوْتَارِ الْجَنَاحِ بِلَا جَنَاحِ
مَنَانِي حُسْنُ وَجْهِكَ إِنَّ قَلْبِي يَطِيرُ بِهِ إِلَيْكَ بِلَا جَنَاحِ

29

ولابن الحاج المذكور من قصيدة طويلة^(**): [كامل]

لِمَنِ الْخِيَامُ سَطَّتْ بِبَيْضِ صَفَاحِ وَارَتْ سَوَادًا غَالًا كُلَّ صَبَاحِ
إِنْ مُزَّقَتْ رُقِعَتْ بِبَيْضِ كَتَائِبِ أَوْ قُوِّضَتْ عُمِدَتْ بِسُمْرِ رِمَاحِ

30

ومن شعره قوله^(***): [كامل]

يَا مَالِكِي بِصَبِيحِ وَجْهِ حُسْنُهُ أَزْبَى عَلَى فَلَقِ الصَّبَاحِ الْأَوْضَحِ
مَا شَكَّ قَلْبِي فِيكَ أَنَّكَ مَالِكُ لَمَّا عَرِفْتُ وَسَامَةَ بِالْأَضْبَحِ

(1) في النسخ: عليل.

(*) الكتيبة: 267-268.

(**) النسخ: 118\7.

(***) مسالك الأبصار. نسخة باريس: 215\17.

وله أيضاً(*) : [طويل]

مَحَلُّكَ فِي أَفْقِ الْخِلَافَةِ شَامِخُ
 وَعَنْكَ رَوَى الْمَجْدُ الْمُؤْتَلُ وَالْعُلَا
 وَمِنْ جُودِكَ الْفَيَاضِ عَمَّتْ سَحَائِبُ
 وَأَنْتَ الَّذِي أَحْرَزْتَ عِزَّ مَنَاقِبِ
 وَأَنْتَ الَّذِي حُزَّتْ الْفَضَائِلُ كُلُّهَا
 وَمَا سَاخَ، حَاشَى أَنْ يَسِيخَ، وَإِنَّمَا
 وَسَيْفُ ابْنِ نَصْرِ ذِي الْفَخَارِ مُحَمَّدٍ
 وَمَا نَمَّ أَمْرُ لِالأَعَادِي لِأَنَّهُ
 وَأَيُّ حُسَامٍ طَوَّعَ يُمْنَاكَ مُضَلَّتْ
 حُسَامٌ لِعَهْدِ الدُّرْعِ فِيهِمْ مُحْفَرُ

وَفَضْلُكَ فِي طَبَقِ الْإِنَافَةِ بَاذِخُ
 أَحَادِيثَ لَمْ تَقْبَلْ سِوَاهَا الْمَشَايِخُ⁽¹⁾
 نَوَاضِخُ فِي عَرْضِ الْبِلَادِ نَوَاضِخُ
 بِأَبْطَحِهَا الْمَدْحُ الْمُرَدَّدُ نَائِخُ⁽²⁾
 فَمُلْكُكَ فِي كَسْبِ الْفَضَائِلِ رَاسِخُ
 عَدُوُّكَ مَبْنَى عِزِّهِ هُوَ سَائِخُ⁽³⁾
 لِأَرْؤُسِ عُبَادِ الطَّوَاعِيَةِ شَادِخُ⁽⁴⁾
 لِأَمْرِ الأَعَادِي بِالتَّغْلِبِ مَاسِخُ⁽⁵⁾
 بِهِ كُلُّ حُرٍّ⁽⁶⁾ فِي الْمَآزِقِ بَائِخُ
 وَلِلْعَقْدِ عَقْدِ الدُّرْعِ فِي الْحَرْبِ فَاسِخُ

(*) مزاين القصر: 8 أ - 9 أ.

(1) الأصل: أحداث.

(2) نائخ: مقيم.

(3) ساخ: غاص في الأرض.

(4) محمد بن نصر، هو الغني بالله. وشادخ: أي كاسر ومهشم، فالشدخ هو كسر الشيء الأجوف كالرأس ونحو (اللسان: شدخ). وفي الأصل: شادخ - بالذال المعجمة - وهو تصحيف.

(5) في الأصل: ماشخ، وأحسبه من التصحيف لعدم وجود هذه المادة في «لسان العرب». أما المسخ فهو تحويل صورة إلى صورة أقبح منها. فهو يحول أمرهم بالهزيمة إلى مثل تلك الحالة.

(6) في الأصل: كلمة غير واضحة رسمت على هيئة (حمى). وبالرجوع إلى معاني «بائخ» التي جاءت بعدها وجدت أنها تعني سكون الفورة والغضب، وتستخدم مع الحرب والحمى والنار وكلها مؤنثة، كما تستخدم مع الرجل والحر، وأنسبها للرسم كلمة «الحر» أو «الحي».

هُوَ النَّاصِرُ الْمَنْصُورُ أَكْرَمُ مُضْرِحٍ
وَمُخْرِزُ حَمْدٍ تَمْتَمْتُهُ يَدُ الْعَلَا
مِنَ الْعَرَبِ الْعُرِّ الَّذِينَ خِيَامُهُمْ
أَصِيلُ الْعَلَا مِنْ عُرِّ قَحْطَانَ فِي الذُّرَى
وَشَافِي سُمُومِ الْخَطْبِ وَافٍ كَأَنَّهُ
لَهُ شَدٌّ زَرَأَ فِي الْخِلَافَةِ آزَرُ
مِنَ الْخَزَرَجِيِّينَ الَّذِينَ بُيُوتُهُمْ
نَمَتْهُ إِلَى سَعْدِ الْعَلَا ابْنِ عُبَادَةَ
وَأُورَثَهُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ مَفَاخِرًا
وَإِنَّ بَنِي نَضْرٍ لَأَكْرَمُ أَسْرَةٍ
جُدُودُهُمُ الْأَنْصَارُ أَنْصَارُ دِينِنَا
هُمُ سَعِدُوا دُنْيَا وَآخِرَى وَلَمْ تَزَلْ
وَإِنَّ ابْنَهُمْ مُفْنِي الْأَعَادِي ابْنُ يَوْسُفَ
إِذَا لَمْ يَمَسَّ الطَّيِّبَ قَامَتْ مَقَامُهُ
بِأَيِّ جِلَادٍ أَوْ جِدَالٍ ثَنَى الْعِدَى
إِذَا طَلَبَ الْأَعْدَاءَ أَذْرَكَهُمْ [وَإِنَّ] (3)
وَأَمْضَى عَلَى الْحُسَادِ إِضْرَارَ كَابِتٍ (4)

إِذَا مَا أَتَاهُ يَنْتَغِي النَّضْرَ صَارِخُ
كَمَا تَمْتَمَتْ بِيضَ الطُّرُوسِ النَّوَاسِخُ
بِنَارٍ قَرَاهَا عَمٌّ بِالرُّفْدِ طَابِخُ
يَذِلُّ لَهُ حَتَّى الْمُلُوكُ الْأَبَاذِخُ
لَدَوُغٌ مِنَ الْحَيَّاتِ أَسْوَدُ سَالِخُ
وَأُورَثَهُ الْمَجْدَ الْمُوْطَدَ شَالِخُ
بِأَعْلَى مَرَاقِي الْمَغْلُوتِ شَوَامِخُ
وَحَسْبُكَ أَغْرَاقُ كِرَامٍ بَوَاذِخُ
لَهَا أَيُّ حُكْمٍ مَا لَهُ الدَّهْرُ نَاسِخُ
مَعَالِمُهُمْ هُنَّ الرِّوَاسِي الرِّوَاسِخُ
وَمَنْ بِهِمْ كَانَ النَّبِيُّ يُبَاذِخُ (1)
تَوَلَّاهُمْ [الرُّحْمَى] (2) بِرُحْمَى بَرَاذِخُ
لَأَكْرَمُ مَلِكٍ شَبَّ وَالْدَّهْرُ شَايِخُ
لَهُ الدَّهْرُ مِنْ طَيِّبِ الثَّنَاءِ لَخَالِخُ
وَمَا إِنَّ لَهُ مِنْهُمْ بِحَالٍ مَفَاسِخُ
تَنَاءَتْ بِهِمْ أَمْيَالُهُمْ وَالْقَرَّاسِخُ
كَمَا قَدْ أَضْرَّتْ بِالْمَرِيضِ الْكُوَامِخُ (5)

(1) يباذخ: يفاخر.

(2) زيادة عن الأصل يقتضيها الوزن، وكان يمكن أن نضع كلمة «الأخرى» ولكن الملاحظ أن بعض النساخ يهملون الكلمات المتشابهة ظناً منهم أنها مكررة.

(3) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.

(4) في الأصل: كاتب. ولا معنى له في السياق.

(5) الكوامخ: جمع كامخ، وهو ما يستعمل بين يدي الطعام من ليم وزيتون وجزر وغيره لتفتيق الشهية. (مفردات ابن الخطيب: 70)، و(اللسان: كمخ).

وَمَا لَيْسَ الْحُسَّادُ ثَوْبًا يَسُرُّهُمْ
وَلِلَّهِ مِنْهُ فِي الْحُرُوبِ مُجَدَّلٌ
رَمَى بِالْعِدَى لِلْأَرْضِ قَائِمٌ سَيْفِهِ
أَدَامُ⁽¹⁾ لَهُ حُكْمُ الْخِلَافَةِ فِي الْوَرَى
وَلَمْ أَتَكَلَّفْ فِيهِ مَذْحًا، وَإِنَّمَا

وَكَيْفَ يَسُرُّ الثُّوبُ وَالثُّوبُ وَاسِخُ
بِذَوْبِ دَمِ الْأَقْرَانِ لِلثُّزْبِ لَاطِخُ
كَمَا قَدْ رَمَى لِلْأَرْضِ بِالْجِلْدِ سَالِخُ
إِلَى أَنْ يُبِيحَ النَّفْخُ فِي الصُّورِ نَافِخُ
أَنَا لِلَّذِي يُغْلِي مَعَالِيهِ نَاسِخُ

(1) أدام: كذا، ولعلها: أديم - بالبناء للمجهول، والجملة دعائية.

وأنشد يومئذ القاضي الكاتب الشهير أبو إسحاق ابن الحاج المتقدم الذكر قوله (*) : [طويل]

أَلَا اذْتَقَبُوا هَذَا الْهَلَالَ الَّذِي بَدَا
وَبُشْرَاكُمْ بِالْعِيدِ⁽¹⁾ عِيدِ مَسْرَةٍ
وَلِلَّهِ شِبْلٌ قَدْ دَعَوُهُ بِيُوسُفٍ
وَبَخَرَ أَتَاهُ النَّهْرُ لَكِنَّ ذَا أَبٍ
وَفَزَعٌ أَتَى أَضْلًا يُسَمَّى بِوَالِدٍ
وَقَرَّةٌ عَيْنٍ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَهُ
إِلَى أَنْ أَتَانَا اللَّهُ بِالْفَرْجِ الَّذِي
فَعَادَ إِلَى غُضَنِ الْخِلَاقَةِ زَهْرُهُ
وَعَاوَدَ جِيدَ الْمُلْكِ أَكْرَمَ زِينَةٍ
وَقَدْ عَضَدَ السَّيْفَ الْمُحَلَّى بِمِثْلِهِ
وَقَالُوا وَلِيَّ الْعَهْدِ يَفْقَدُ عَاجِلًا
وَمَا هُوَ إِلَّا الْغَيْثُ سَوْفَ يَجُودُنَا

مِنَ الْعَرَبِ مَرْفُوعًا عَلَى أَفْقِ الْهَدَى
بِمَقْدَمِهِ⁽²⁾ السَّعْدُ الْمُقِيمُ تَجَدَّدَا
شَبِيهَ بَلَيْنِثٍ قَدْ دَعَوُهُ مُحَمَّدَا
وَذَاكَ لَهُ ابْنُ رَاحٍ فِي الْبَرِّ وَاعْتَدَى
شَبِيهَ بِذَاكَ الْأَضْلِ فِي الْبَاسِ وَالْتَدَى
وَبَيْنَ الَّذِي أَبْكَى الْعُيُونَ وَسَهَّدَا
أَفَاضَ عَلَى الدُّنْيَا جَمَالًا وَأَسْعَدَا
لِيَجْمَعَ مِنْ أُنْدَائِهِ مَا تَبَدَّدَا
بِأَكْرَمِ سِلْكِ بَعْدَ حِينٍ تَقَلَّدَا
مِنَ الْعَرَبِ سَيْفٌ لَمْ يَزَلْ يُزْهِبُ الْعِدَى
فَقُلْتُ: نَعَمْ، يَهْنَأُ أَبُوهُ الْمُؤَيَّدَا
بِأَكْرَمِ مِنْ غَيْثِ السَّمَاءِ وَأَجُودَا

(*) نفاضة الجراب (مخطوطة خ. ع: 107-109، والنص المحقق: 152/3-154)، ومختارات ابن عزم: 27. وقيلت هذه القصيدة بمناسبة عودة الأمير أبي الحجاج يوسف بن محمد الغني بالله من المغرب إلى غرناطة يوم السبت الموفى عشرين من شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمئة. (انظر: النفاضة: 3/145-152).

(1) ابن عزم: فالعيد.

(2) ابن عزم: بمقدمها.

أَمِيرٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ وَالْبَدْرَ كَامِلًا
وَمَا ظَلَمَ ابْنُ مُشْبِهٍ خَيْرَ وَالِدٍ
لِيَهْنِيءَ حِيَادَ الْخَيْلِ أَنَّ رُكُوبَهُ
وَيَهْنِيءَ سُيُوفَ الْهِنْدِ أَنَّ ضِرَابَهُ
وَيَهْنِيءَ رِمَاحَ الْخَطِّ أَنَّ طِعَانَهُ
وَقُلَّ لِلرُّبُوعِ الْإِهْلَاتِ بِسَبْتَةٍ
وَيَا بَخْرَهَا رِفْقًا بِبَخْرِ حَمَلَتِهِ
وَأِنْ كُنْتَ حَقًّا قَدْ جُنِنْتَ بِحُبِّهِ
فَمَا وَاجِبُ الْإِنْصَافِ ذَاكَ وَإِنَّمَا
وَكُنْ بِأَسْطَأَ خَدًّا لَهُ فِي طَرِيقِهِ
وَدُونِكَ فَالْتِمِ كُلَّ جَفْنٍ أَتَى بِهِ
وَيَا نَسَمَاتِ الرِّيحِ هُبِّي وَحِيَهُ
وَرِفْقًا بِأَسْطُولٍ يَلْدُ لَهُ السُّرَى
وَلَا تَبْرَحِي تُهْدِي لَهُ عَاطِرَ الشُّذَا
وَحِفْظًا لَهَا حِفْظًا لَهَا مِنْ وَدِيعَةٍ
كَأَنِّي وَقَدْ وَافَى الْأَمِيرُ وَأَقْبَلْتُ
كَبَدْرِ الدُّجَى حَقَّتْ بِهِ الشُّهْبُ وَانْبَرَتْ

هُمَا وَالِدَاهُ⁽¹⁾ بِالْمَحَاسِنِ مُفْرَدًا
عَدَا لِمُلُوكِ الْأَرْضِ أَجْمَعَ سَيِّدًا
لِيُكْسِبَهَا الْمَجْدَ الرَّفِيعَ الْمُخْلَدًا
لِيُبْقِيَ لَهَا الْفَخْرَ الصَّرِيحَ الْمُؤَكَّدًا
لِيُورِثَهَا الْعِزَّ الْمُشِيدَ الْمُشِيدًا
حَوَيْتِ أَجَلَ النَّاسِ قَدْرًا وَمَحْتِدًا
وَلَكِنَّهُ يَا بَخْرُ يَعْذُبُ مَوْرِدًا⁽²⁾
فَأُضْبَحَتْ مُزْتَجَّ الْجَوَانِبِ مُزِيدًا
سُكُونُكَ أَوْلَى إِنْ أَرَدْتَ تَوَدُّدًا
وَأَفْسِمِ عَلَى الْأَمْوَاجِ تَلْقَاءُ سُجْدًا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَلْتِمِ لَهُ الرَّجُلَ وَالْيَدَا
بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ عَدَا حَلِيَهُ النَّدَى
بِأَمْضَى بَنِي الْأَمْلَاكِ سَيْفًا وَأَحْمَدًا
وَتَرْوِي حَدِيثَ [...] ⁽³⁾ النَّورِ مُسْنَدًا
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَعَزَّ وَيَسْعَدًا⁽⁴⁾
عَسَاكِرُهُ مَشْنَى، تَرْوُقُ، وَمَوْجِدًا
لِتَخْرِقَ فِي الْأَفَاقِ مَنْ جَارَ وَاعْتَدَى

(1) في النفاضة: ولده.

(2) هذه رواية مختارات ابن عزم للبيت، أما في النفاضة فهو:

وما بحرهما بشري بريع حملته ولكنه بالملح يعذب موردا

(3) كذا في الأصل، وفي النص المحقق: «وترى له حديث والنور مسندا» وواضح أن في الشطر

كلمة محذوفة في وزن ومعنى: «الروض و».

(4) ابن عزم: «أبى الله إلا أن تعز وتسعدا».

خُذِ الرُّوحَ مِنِّي يَا بَشِيرُ بِشَارَةٍ
وَعِنْدِي هَنَاءٌ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
خَلِيفَةِ رَبِّ الْعَرْشِ وَالْمَلِكِ الَّذِي
كَرِيمٌ لَهُ فِي آلِ نَضْرٍ فَضَائِلُ
أَجَلُ مُلُوكِ الْأَرْضِ ذَاتَا وَمَنْصِبَا
وَأَكْرَمُ مَنْ قَادَ الْجَوَادَ إِلَى الْوَعَى
أَمْوَلَايَ حَالِي مَا عَلِمْتَ وَإِنِّي
فَكُنْ مُظْهِراً لِلْعَبْدِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
وَعُدْ لِلَّذِي عَوَّذْتَ يَا خَيْرَ مُنْعِمٍ
بَقِيَتْ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي عِزِّ دَوْلَةٍ

33

وقال في مدح الخليفة أبي عنان فراس المريني (*): [طويل]

سَرَى وَعُيُونُ الشُّهْبِ تَشْكُو التَّسَهُّدَا
وَمَا رَاعَهُ إِلَّا الصُّبَّاحُ كَأَنَّهُ
وَوُمُضَةٌ بَرَقَ أَلْبَسَ الْخَدَّ فِضَّةً
عَجِبْتُ لَهُ طَيْفَا أَلَمَ وَدُونَهُ
وَأَهْوَالُ حَرْبٍ يَمْنَعُ الْقُضْبَ ذِكْرَهَا
خَيَالٌ عَلَى الْأَكْوَارِ قَدْ زَارَ مُكَمَّدَا
حُسَامٍ بِغَمْدِ اللَّيْلِ قَدْ كَانَ مُغَمَّدَا
مِنَ الدَّمْعِ كَمَا أَلْبَسَ الْأَفْقَ عَسْجَدَا
مَهَامِهِ لَمْ تَعْرِفْ [بِهَا] ⁽¹⁾ الْعَيْسُ مَوْرَدَا
إِذَا هَبَّتِ التُّكْبَاءُ أَنْ تَتَأَوَّدَا

(*) فيض العباب، مخ مخ. ح: 3267، ص. 103، 104، والنص المحقق: 77-78. وأبو عنان هذا هو: فارس بن أبي الحسن علي بن عثمان المريني، ولد سنة 729هـ وتولى سنة 749هـ إثر غيبة أبيه. وكان ابن الحاج كاتبه وصاحب علامته كما كان لأبيه من قبله. وفي حركته إلى قسطنطينة والزاب ألف رحلته المسماة «بفيض العباب». وتوفي سنة 759هـ. (انظره في: العبر: 7/341-355، وأخبار الدولتين للزركشي).

(1) في الأصل: به، والضمير عائد على المهامه، فحقه التانيث.

أَلَا أَسَدَتِ الْأَخْلَامَ فِي سِنَةِ الْكَرَى
خَلَا أَتْنِي لَا الْوَجْدُ يَبْرَحُ لَا وَلَا
أَلَا آتَسَ اللَّهُ الْقَبَابَ وَفَثِيَّةَ
طَوَالِغِ أَنْجَادِ الْهَوَى حَالِفُوا الْهَوَى
أُنَادِيهِمْ لَا السَّمْعُ مَلَّ حَدِيثَهُمْ
وَمَا أَنَا وَالسُّلُوَانُ لَا دَرَّ دَرَّ مَنْ
أَقُولُ وَقَدْ هَبَّتْ لَنَا نَسَمَةُ الصَّبَا
وَقَدْ طَلَعَتْ خَوْصُ الرُّكَابِ كَأَنَّهَا
رُؤَيْدُكُمْ حَتَّى تَفِيضَ دُمُوعُنَا
وَحَتَّى نَسُومَ الرَّبْعَ نَارَ صَبَابَةٍ
وَمَا الْوَجْدُ إِلَّا أَنْ تُلُوحَ بِذِي الْعُضَا
مِنْ الْمُطْلِعَاتِ الْبَيْضِ تَلْتَاخُ كَالدُّمَى
بَعَثْنَ الْهَوَى نَحْوَ الْقُلُوبِ بِأَسْرِهَا
كَأَنَّ الْهَوَى جُودَ الْخَلِيفَةِ فَارِسِ
إِمَامِ الْهُدَى الْمَرْجُوءِ مَا فَخَرَ الْعُلَا
شَدِيدٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَا ابْنُ مُكَرَّمِ
وَمَا كُلُّ مَنْ حَثَّ الْخُيُولَ يَسْرُهَا
تَقِيَّ لَهُ الْعُقْبَى فَلَا السَّعْيُ حَائِبٌ
وَفِعْلُ الْفَتَى كُلُّ عَلَى الْمَجْدِ وَالْعُلَا
كَرِيمٍ بِشَمْلِ الْحَمْدِ ظِلُّ مُجْمَعَا
وَخَيْرٌ مِنَ الْمَالِ الْجَزِيلِ لِكَاسِبِ
وَمَا تُعْرِفُ الْأَوْصَافُ فِي شَرَفِ سَوَى

يَدَا مَدَّ شُكْرِي كُلُّ شُكْرِي لَهَا يَدَا
عَرَامِي إِذَا فَكَّرْتُ فِي فُرْقَةٍ عَدَا
إِذَا هَاجَ بَزْخُ الْحُبِّ أَغْطَوْهُ مِقْوَدَا
فَأَبْقُوا لَهُ عَهْدًا كَرِيمًا وَمَغْهَدَا
وَلَا الْعَيْنُ أَغْضَتْ أَوْ تَرَى الْحُسْنَ قَدْ بَدَا
تَقَلَّدَ فِي سُلُوَانِهِ مَا تَقَلَّدَا
فَأَلَقْتُ حَدِيثَ الشُّوقِ لِلرُّكْبِ مُسْنَدَا
سُيُوفُ تَقْدُ الْبَيْدِ مَثْنَى وَمَوْجِدَا
عَلَى السَّفْحِ سَفْحًا أَوْ يَرِقُّ لَنَا الصَّدَا
تَوَقَّدَ مِنْهَا بِالْأَسَى مَا تَوَقَّدَا
خِيَامَ عَلَى أَطْنَابِهَا الدُّرُ نُضْدَا
أَوَانِسُ تُضْمِينِ الْكَيْمِيِّ الْمُسَرَّدَا
فَأَسْبَابُهُ تَزْدَادُ غَيْبًا وَمَشْهَدَا
إِذَا قِيلَ عَمَّ الْخَلْقِ طُرًّا تَزِيدَا
بِأَسْعَدَ مِنْهُ فِي الزَّمَانِ وَأَضْعَدَا
بِأَشْجَعَ مِنْهُ فِي الْحُرُوبِ وَأَنْجَدَا
وَمَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى بِهَا بَلَغَ الْمَدَا
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تُنَالَ وَتُحْمَدَا
إِذَا كَانَ عَنْ تَقْوَى الْمُهَيِّمِينَ مُبْعَدَا
وَلِلشَّمْلِ شَمْلِ الْمَالِ ظِلُّ مُبَدَّدَا
ثَنَاءٌ عَلَيْهِ لَا يَزَالُ مُخَلَّدَا
إِذَا قُسِمَتْ بَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّدَا

وَحَيْرُ الَّذِي أَعْدَدْتَ حُسْنُ تَوَكُّلٍ
وَمِنْ بَيِّنَاتِ النَّصْرِ وَجْهَتُكَ الَّتِي
زَحَفْتَ إِلَى الْأَعْدَاءِ فِي عِزِّهِ فَيَلْقَى
وَقَدَّتْ لَهُمْ تَحْتَ الْعَجَاجِ كِتَابًا
وَوَجَّهْتَ جُنْدًا يَزْحَفُونَ إِلَى الْوَعَى
وَصُلْتَ بِسُلْطَانٍ تَذِلُّ لِعِزِّهِ
وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَغْرِفَ الَّذِي
هَذَاكَ لِأَخِذِ الْقَالِ، وَالْقَالَ مُنْجِبٌ
فَقَامَ خَطِيبُ الْكَوْنِ نَحْوَكُمْ سَاعِيًا
بِجُنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَيْلِهِ
لِيَهْنَأَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورُهُ
وَزَادَ بَيَانًا قَوْلُهُ فَاسْتَمِعْ لَهُ
أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُتَمِّمَ نُورَهُ
بَقِيَتْ وَنُورُ اللَّهِ يَهْدِيكَ لِلَّتِي

34

وقال (*): [طويل]

لِذَلِكَ وَجْهًا قُلْتُ: أَحْسِنْ بِهِ قَضْدًا!
فَلَا تُنْكِرُوا فِيهَا الْكُمَيْتَ وَلَا الْوَرْدَا⁽²⁾

(1) الأصل: أضيء، وهو تصحيف. والأصيد: المتكبر المزهو بنفسه، وكل ذي حول وطول من ذوي السلطان.

(*) الإحاطة: 349\1.

(2) الكميت من الخيل: ما كان لونه بين الأسود والأحمر. الورد: ما كان منها أحمر يضرب إلى صفرة.

وفي ليلة يوم الأحد الخامس عشر لجمادي الآخرة المذكور، رأيتُ في النَّوم [شطرًا]⁽¹⁾ بيتٌ هو^(*) : [كامل]

ذَهَبَ الْعَنَاءُ فَلَاتَ حِينَ عَنَاءٍ
فَخُيِّلَ لِي فِي النَّوْمِ أَنِّي قَدْ نَظَّمْتُ ذَلِكَ فِي الْيَقَظَةِ، فَقُلْتُ فِي النَّوْمِ هَذَا
البيت :

ذَهَبَ الْعَنَاءُ وَأَذْبَرَ الْإِبْعَادُ وَتَوَاتَرَ الْإِقْبَالُ وَالْإِسْعَادُ

وَلِلَّهِ دَرُهُ حَيْثُ يَقُول^(**) : [طويل]
هَجَرْتُ⁽²⁾ فَعِطْفُ الْغُضْنِ لَمْ يَتَأَوَّدِ بِنَجْدٍ وَخَدُّ الْوَزْدِ لَمْ يَتَوَوَّدِ
وَلَا التَّفَتُّ فِي الْأَرْضِ⁽³⁾ مُقْلَةٌ تَرْجِسُ وَلَا اكْتَحَلْتُ مِنْ فَيئْتَيْنِهِ⁽⁴⁾ بِأَثْمِدِ
وَلَا ابْتَسَمْتُ [لِلزَّهْرِ فِيهِ مَبَاسِمٌ]⁽⁵⁾ لَهَا شَنْبٌ مِنْ طَلُّهَا الْمُتَزَيِّدِ
وَلَا جَرَّ ذَيْلُ الْآسِ فِي مَلْعَبِ الصَّبَا عَلَى شِبْهِ دُرٍّ بَيْنَ شِبْهِ زَبَرْجَدِ
وَلَا زُرَّ جَيْبُ الْغَنِيمِ فَوْقَ حَدِيقَةٍ تَصُوعُ الشَّدَا النَّدِيِّ مِنْ تَرْبِهَا⁽⁶⁾ النَّدِيِّ

(1) زيادة يقتضيها المعنى.

(*) مذكرات ابن الحاج، بتحقيق برميير : 131.

(**) المزاين : 12 أ - 12 أ، والنفاضة : 126\3-128.

(2) النفاضة : نأيت.

(3) النفاضة : الروض.

(4) النفاضة : من عينه.

(5) في المزاين تقديم وتأخير صار معه الشطر على هذا النحو: «ولا ابتسمت فيه لزهري مباسم». والتصويب من النفاضة.

(6) النفاضة : «تصوع الندي من تربها العطر الندي».

تَمَوُّهُهَا كَفَّ الْأَصِيلِ بِعَسَجِدٍ
إِلَى الْجَزَعِ أَشْوَاقاً تَرُوحُ وَتَغْتَدِي
لَقَلْتُ وَمِیْضُ الْبَرْقِ لِلْمُتَوَقِّدِ⁽³⁾
بِطَائِرِ غُضَنِ لَاضْطِبَّاحِي مُعَرِّدٍ
كَمَا انْطَبَعَتْ شَمْسٌ بِحَدِّ مُهَنَّدٍ
تَصِيخُ أَمَامَ الْحَيِّ لِلْمُتَنَهِّدِ
تَظِلُّ مَنْ اللَّذَاتِ أَعَذَبَ مَوْرِدٍ
وَأَغْصِي عَذُولِي فِي الْهَوَى وَمُفْنَدِي
بِذُرَيْنِ مِنْ شَعْرِ وَثَغْرِ مُنْضَدٍ
بِنَارَيْنِ مِنْ شَمْعٍ وَمِنْ⁽⁵⁾ وَجِدٍ مُكَمَدٍ
بِمَا أَسْمَعَتْ مِنْ شَذَوِهَا كُلِّ مُنْشِدٍ
مُسَائِلَةً عَنْ خَمْرِهَا الْمُتَبَرِّدِ⁽⁶⁾
جَوَارِحُ ذِي هَزَلٍ، وَأَفْكَارُ ذِي جَدِّ⁽⁷⁾
سَقَى عَهْدَهَا مَا سَحَّتِ الشَّخْبُ مِنْ عَهْدٍ
بِمِسْكِ دُجَاهَا أَوْ بِمَا شَبَّ مِنْ نَدِّ
لَهُمْ مَا لَهُمْ مِنْ صِدْقٍ حُبِّي وَمِنْ وَدِّي

وَلَا انْفَضَّ مَجْرَى النَّهْرِ عَنْ ذَوْبِ فِضَّةٍ
عَسَى زُورَةٌ يَا سَاكِنَ⁽¹⁾ الْجَزَعِ إِنَّ لِي
وَلِي زَفَرَةً لَوْلَا دَوَامُ التِّظَائِهَا⁽²⁾
وَبَطَائِرُ قَلْبٍ [لَاضْطِبَّارِي]⁽⁴⁾ مُعَرَّبُ
وَلَفْحُ عَرَامٍ فِي صَفَاءِ مَدَامِيعِ
نَسِيْتُ وَلَا أَتَسَى الْعُذِيبَ وَنَاهِدَا
لِيَالِي جَاذِبْتُ الشَّبَابَ أَرَاكَةَ
وَإِذَا أَنَا فِي نِعْمٍ أُطِيلُ صَبَابَتِي
وَكَمْ لَيْلَةٍ حَلَيْتُ عَاطِلَ جِيدِهَا
وَفِي كَبِدِ الظُّلَمَاءِ قَدْخُ يَفُتُّهَا
إِلَى أَنْ شَدَتْ وَزُقَ الْحَمَامُ فَتَبَّهَتْ
وَمَالَتْ كُؤُوسُ الشُّهْبِ حَتَّى حَسِبْتُهَا
تَجُولُ بِهَا وَزُقَ الْحَمَامُ كَأَنَّهَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ لِيَالٍ بِحَاجِزِ
لِيَالٍ يَكَاذُ الْأَفْقُ يَزْعُفُ أَنْفُهُ
وَإِيهِ عَلَى الشُّمْلِ الْجَمِيعِ وَجِيرَةٍ

(1) النفاضة: ساكني.

(2) التظائها: التهاياها. وفي الأصل: التضائها. وفي النفاضة: انبساطها.

(3) النفاضة: البارق المتوقد، وأحسبه أقرب إلى الصواب.

(4) ما بين المعقوفين منقول من النفاضة. وفي الأصل: للاسطبار.

(5) النفاضة: ووجد مكمد.

(6) في الأصل: «من خمرها». وفي النفاضة: «عن خمرها المتبدد».

(7) هذا البيت وتسعة وخمسون بيتاً بعده ليس في النفاضة.

تَوَلَّوْا عِشَاءَ بِالْخِيَامِ وَخَلَّفُوا
وَقَالُوا: خِيَاماً مَا تَرَى؟ قُلْتُ: بَلْ أَرَى
وَلِلَّهِ سَيَرِي وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا
وَقَدْ سُلَّ سَيْفُ الْبَرْقِ فِي رَاحَةِ الدُّجَى
وَمَاسَتْ قُدُودُ الْقُضْبِ فِي حُلَلِ الصَّبَا
فَيَا قَلْبُ لَا تَذْهَبْ عَلَى الْقُرْبِ حَسْرَةً
وَيَا نَفْسُ لَا يَأْخُذْ بِكَ الْيَأْسُ فِي الْهَوَى
وَلَيْسَ يَفُوتُ الْعَبْدَ أَمْرٌ مَغَيِّبٌ
وَمَا تَمَّ إِلَّا اللَّهُ هَادٍ وَنَاصِرٌ
بِنَفْسِي رَكِبَ أَسْكَرْتَهُمْ يَدُ السُّرَى
صَوَادِعُ أَكْبَادِ الْفَلَاةِ بِأَيْتُنِي
وَلَأَنْتَ ظُهُوراً حِينَ مَدَّتْ رِقَابَهَا
وَلَمْ⁽³⁾ أَنْسَهُمْ لَمَّا تَهَاوَوْا وَعَرَّسُوا⁽⁴⁾
وَمَا جَدُّدُوا لِلْقَلْبِ شَوْقاً وَإِنَّمَا
وَمِمَّا شَجَانِي وَالشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا
وَأَرْقِنِي⁽⁵⁾ مِنْ جَانِبِ الرَّمْلِ سَاجِعُ
طَوَيْتُ لَهُ قَلْبِي عَلَى الشَّوْقِ ضَلَّةً

مَوَاقِدَهَا فِي الْقَلْبِ مِنْي وَالْكَبِدِ
كَمَائِمَ رَوْضٍ لَيْتَ أَزْهَارَهَا عِنْدِي
مَطَافِلُ⁽¹⁾ غِزْلَانٍ تَحُومُ عَلَى وَرْدٍ
فَلَمْ تَتَّخِذْ غَيْرَ الْعِمَامَةِ مِنْ غَمْدٍ
وَسَالَتْ دُمُوعُ الطَّلِّ فِي أَوْجِهِ الْوَرْدِ
فَأَحْسَنُ مِنْ قُرْبٍ وَفَاوُكٌ فِي بُغْدٍ
مَآخِذُهُ فَالْوَضْلُ فِي عَقِبِ الصَّدِّ
إِذَا كَانَ ذَاكَ الْأَمْرُ قُدَّرَ لِلْعَبْدِ
وَإِنْ تَكُ قَدْ أَخْبَبْتَ، إِنَّكَ لَا تَهْدِي
بِخَمْرَيْنِ مِنْ حُبِّ قَدِيمٍ وَمِنْ جَهْدٍ
تَرَاحَتْ بُرَاهَا بِالذَّمِيلِ وَبِالْوُخْدِ⁽²⁾
فَكَانَتْ حُرُوفَ اللَّيْلِ لَأَشَكَّ وَالْمَدُّ
كَسِرِبِ الْقَطَا حَامَتْ عَلَى مَوْرِدٍ ثَمْدٍ
أَكْبُوا يُطِيرُونَ الشَّرَارَ عَنِ الزُّنْدِ
نَسِيمٌ عَلِيلٌ كَادَ يَشْكُو مِنَ الْفَقْدِ
طُرُوبٌ إِذَا هَزَّتْ صَبَاً أَعْطَفَ الرُّنْدِ
وَمَا خِلْتُ أَنَّ الشَّوْقَ مِنْ قَبْلِهِ يُعْدِي

(1) المطافيل: جمع مطفل، الأثني ذات الطفل من الأنس والوحش.

(2) ناقة ذات بُراية: ذات شحم ولحم، أو ذات بقاء على السير. والذميل والوخد: ضربان من سير الإبل حال سرعتها.

(3) الأصل: وكم.

(4) تهاووا: ساروا سيراً شديداً. وعرَّسوا: نزلوا آخر الليل للراحة، والمورد الثمد: قليل الماء.

(5) الأصل: «والرقني» وهو تصحيف.

وَقَدْ كَانَ عُظْلًا جِيدُ كُلِّ غَرَارَةٍ
رَعَى اللَّهُ فِي أَكْنَافِ طَيْبَةِ رَوْضَةٍ
نَبِيٍّ قَوْوُلُ الصَّدَقِ يُرْشِدُ لِلْهُدَى
صَرِيحُ نَمَثِهِ الْغُرِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
وَقَدْ أَنْجَبَتْهُ أَزْهَرُ⁽²⁾ الْمَجْدِ أَزْهَرًا
لِمَوْلِدِهِ زَيْرَانُ فَارِسَ أَخْمَدَتْ
وَعَاظَتْ مِيَاهُ النَّهْرِ حَتَّى لَقَدْ شَكَا
وَأَيَّوَانُ كَسَرَى وَهُوَ ذَاكَ، وَمُلْكُهُ
وَلِلْجَنِّ طَرْدٌ عَنْ مَقَاعِدِ سَمْعِهَا
وَشَقَّ لَهُ الْبَذْرُ الَّذِي كَانَ قَدْ حَكَى
وَسَالَتْ بِعَذْبِ الْمَاءِ مِنْهُ أَصَابِعُ
وَعُكَّاشَةٌ⁽⁴⁾ أَعْطَاهُ عُضْنًا فَعَادَ إِذْ
وَأَضْفَتْ عَلَيْهِ الظِّلُّ كُلَّ غَمَامَةٍ
وَعَيْنُ أَبِي السُّبْطَيْنِ⁽⁵⁾ بِالتَّقْلِ قَدْ شَفَى
وَلَمَّا دَعَا بِالْغَيْثِ لَبَّاهُ مُتَحِفًا

فَلَمْ يَتَّخِذْ غَيْرَ الْمَدَامِيعِ مِنْ عِقْدِ
وَحْيًا بِذِيَاكَ الْجَمَى سَاكِنَ اللَّحْدِ
رَسُولُ صَدُوقِ الْقَوْلِ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ
وَأَحْمَدُهُ نَيْلَ الْعُلَا شَيْبَةً⁽¹⁾ الْحَمْدِ
كَرِيمًا كَرِيمَ الْخَالِ وَالْأَبِ وَالْجَدِّ
فَعُطِّلَ مِنْهَا كُلُّ أَفِيحٍ مُسْوَدٍّ⁽³⁾
بِحَرٍّ كَمَا تَشْكُو الْمَوَاقِدُ مِنْ بَزْدِ
كِلَا الشَّامِخَيْنِ اسْتَشْعَرَا الْإِذْنَ بِالْحَدِّ
بِكُلِّ شَهَابٍ لَا يَمَلُّ مِنَ الطَّرْدِ
سِوَارَ لُجَيْنٍ مُسْتَدِيرًا عَلَى زَنْدِ
تَكَادُ تُرَوِّي بَاطِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ
تَنَاوَلَهُ سَيْفًا صَقِيلًا مِنَ الْهِنْدِ
تُنِيرُ لِمُسْتَجَلٍ وَتَسْخُو لِمُسْتَجِدِّ
وَكَانَ لَهَا التَّبْرِيحُ فِي الْأَعْيُنِ الرُّمْدِ
بَنُورٍ وَنُورٍ، ذَاكَ يُهْدَى وَذَا يَهْدِي

(1) في الأصل: شينة، وهو تصحيف.

(2) في الأصل: زهر، ولا يستقيم بذلك الوزن.

(3) بداية للحديث عن معجزات الرسول (ص)، وفي كتب السيرة تفاصيلها، كما أن الميلاديات والمدائح النبوية تكررهما كثيراً (انظر المدائح النبوية في باب الظواهر من كتاب «القصيدة الأندلسية في القرن الثامن الهجري»).

(4) عكاشة: بتخفيف الكاف وتشديدها، هو الصحابي عكاشة بن محصن بن حريث الأسدي: من أمراء السرايا، معدود في أهل المدينة، حضر المشاهد كلها مع الرسول (ص) وقتل في حرب الردة. (ترجمته في: الإصابة، ترجمة: 5634، والروض الأنف: 73\2).

(5) أبو السبطين: هو علي بن أبي طالب (رض).

وَكَانَ لَهُ مِنْ مُعْجِزَاتِ سَوَاطِعِ
وَأَعْظَمُهَا الْقُرْآنُ لَا شَكَّ إِنَّهُ
تَحَدَّى بِهِ أَهْلَ الْفَصَاحَةِ مُعْجِزاً
رَسُولٌ أَتَى لِلْخَلْقِ أَجْمَعَ رَحْمَةً
وَأَدَمَ بَيْنَ الطِّينِ وَالْمَاءِ كَانَ قَدْ
وَأَيُّ شَفِيعٍ لِلْكُرُوبِ مُفْرَجٍ
وَلَنْ يَدْخُلَ النَّارَ امْرُؤٌ كَانَ بِاسْمِهِ
كَمِثْلِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدٍ
إِمَامٍ أَطَاعَ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ أَمْرَهُ
وَعَمَّ الْوَرَى دَفْعاً وَنَفْعاً كِلَيْهِمَا
وَمَهْمَا تَلَى أَوْ [يَتْلُوا]⁽²⁾ فِي الْحَزْبِ قِرْنُهُ
مُزِيرُ بَنِي الْهِنَجَاءِ كُلِّ كَتِيبَةٍ
وَأَزَعَنَ كَالْبَحْرِ الْخِضَمَّ تَخَوُّضُهُ
حَقِيقَةُ مَعْنَى الْقَتْلِ عَرَفَ سَيْفُهُ
وَلَمْ يُلْهِهِ نَهْدٌ عَلَى الصَّدْرِ عِنْدَمَا
لَهُ الْهَضْبَةُ الشَّمَاءُ فِي آلِ يَغْرُبٍ
مِنَ الْعَرَبِ الْغُرِّ الْبِهَالِيلِ أَخْفَرُوا

تَجِلُّ عَنِ الْحَضَرِ الْمُوَاصِلِ وَالْعَدِّ
لَبَاقٍ مُحِيلُ الشَّكِّ وَالْقَوْلِ بِالْجَحْدِ
فَمَا كَانَ جَهْلًا كُفِّرُهُمْ بَلْ عَلَى عَمْدٍ
وَأَنْجَحَ قَضَدَ الْمُبْتَغَى أَحْسَنَ الْقَضَدِ
أَقِيمَ نَبِيًّا جَلًّا فِي الْفَضْلِ عَنْ نِدِّ
إِذَا قِيلَ يَوْمَ الْحَشْرِ يَا أَرْمَهُ⁽¹⁾ اشْتَدَّى!
مُسْمَى وَلَكِنْ دَارُهُ جَنَّةُ الْخُلْدِ
أَجَلٌ بَنِي نَضْرٍ وَخَيْرِ بَنِي سَعْدِ
وَلَيْسَ لِأَمْرِ شَاءَهُ اللَّهُ مِنْ رَدِّ
قَلِيلُ الرَّدَى يُخْفِي وَضَبُحُ الْهَدَى يُبْدِي
فَآيَاتُهُ وَالْدُّرْعُ مُحْكَمَةُ السَّرْدِ
تُضَلِّلُ كَيْدَ الْقَادِرِينَ عَلَى حَزْدِ
سَفَائِنُ لَكِنْ مِنْ مُضْمَرَةِ جُزْدِ
وَلَا غَزُو لِلتَّعْرِيفِ إِنْ صَحَّ بِالْحَدِّ⁽³⁾
تَحْمَلُ مِنْهُ الطَّرْفُ صَدْرًا عَلَى نَهْدِ
وَبُخْبُوحَةُ الْمَجْدِ الْمُؤْتَلِّ فِي الْأَزْدِ⁽⁴⁾
بِأَسْيَافِهِمْ مَا كَانَ لِلْدُّرْعِ مَنْ عَهْدِ

(1) إشارة إلى الحديث النبوي: «اشتدي أزمة تنفرجي» وعليه قامت المنفرجة ومعارضاتها. (انظر فصل المجازاة من هذا البحث).

(2) في الأصل: أو تلى.

(3) إشارة للتعريف «بالحد» في علم المنطق.

(4) أزد: مجموع قبائل يمنية تنتمي إلى أزد بن الغوث، من نسل مهلان ابن سبأ.

كَرَامُ بَنِي زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ قَادَةٌ
عَدَتْ وَزْدَةٌ مِثْلَ الدَّهَانِ هِضَابُهُمْ
فَهُمْ مَا هُمْ وَالسُّمُرُ تُشْرَعُ فِي الْوَعَى
وَهُمْ مَا هُمْ وَالْمَحْلُ فِي الْأَفْقِ ضَارِبٌ
ذُؤَابَةُ مَجْدٍ مِنْ سُلَالَةٍ خَزَرْجٍ
لَهُمْ خَلْفُ الْقَوَّةِ فِي الْخُبْرِ⁽³⁾ مِثْلَهُمْ
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَخَيْرٌ⁽⁴⁾ مَنْ
وَأَزَعَفَ أَنْفَ الصُّبْحِ كَثْرَةُ شَمِهِ
وَقَدْ هَمَلْتُ وَطْفُ السَّحَابِ⁽⁶⁾ كَأَنَّهَا
سَمِيَّ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمَلِكِ⁽⁷⁾ الَّذِي
إِمَامُ الْهُدَى الْمَنْصُورُ وَالْبَطْلُ الَّذِي
سَلِيلُ أَبِي الْحَجَّاجِ أَكْرَمُ مُسْعِفٍ
مِنَ الرَّاكِضِينَ الْخَيْلُ تَزْحَفُ لِلْوَعَى
صَوَاهِلُ غُرًّا لَمْ تَزَلْ مُنْذُ مُجْدَتْ

طَوَالَعُ أَنْجَادِ الْأَصَالَةِ وَالْمَجْدِ
لِكَثْرَةِ شَبِّ النَّارِ بِالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ
صُدُورًا بِهَا مَا بِالصُّدُورِ مِنَ الْحَقْدِ
بِأَرْوَاقِهِ⁽¹⁾ فِي أَوْجِهِ الْبَرْقِ وَالرَّعْدِ
بَنُو الْحَسَبِ الْوَضَّاحِ وَالشَّرَفِ الْعَدَّ⁽²⁾
وَلَا عَزَوْ فَالْأَشْبَالُ فِي الْخُبْرِ كَالْأُسْدِ
يَدِينُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي الْحَلِّ وَالْعَقْدِ
لِمِسْكِ الدُّجَى حَتَّى رَمَى الْمِسْكَ مِنْ يَدِ⁽⁵⁾
مَدَامِعُ عَيْنِي أَوْ نَوَالِ مُحَمَّدٍ
لَهُ شَادَتِ الْأَنْصَارُ أَشْرَفَ مَحْتَدِ
بِهِ الْأُسْدُ أُسْدُ الْعَابِ فِي الْوَنْبِ تَقْتَدِي
بِأَكْرَمِ مَا يُرْجَى وَأَعْظَمَ مُسْعِدِ⁽⁸⁾
سِرَاعاً⁽⁹⁾ كَأَمْثَالِ النَّعَامِ الْمُشَرَّدِ
تُنْقَبُ عَنْ يَوْمٍ أَعْرَ مُمَجَّدِ

(1) الأصل: بأوراقه.

(2) العد: القديم. يقال حسب عد. (وسيط: عد).

(3) الأصل: الحبر.

(4) في الأصل: كخير.

(5) من هنا استأنف ابن الخطيب النقل من هذه القصيدة في النفاضة: 127/3.

(6) النفاضة: سحب السماء.

(7) النفاضة: الملك.

(8) هذا البيت ليس في «المزاین».

(9) في الأصل: سراع، والتصويب من النفاضة مراعاة للموقع الإعرابي.

ذُؤَابَةٌ مَجْدٍ فِي الصَّرِيحِ تَأْتَلُوا
 سَرَاهُ بَنِي كَهْلَانَ قَرَّتْ كُهُولُهُمْ
 هُمُ الْقَوْمُ أَمَّا مَنْ حَصُورًا فَهُوَ غَالِبٌ
 وَهُمْ مَا هُمْ وَالْخَيْلُ تَزْدَى كَأَنَّهَا
 أَمِيرٌ⁽³⁾ حَوَى الْمُلْكَ الرَّفِيعَ وَدُونَهُ
 فَبَاسٌ كَلْفَحِ الْبَرْقِ فِي قَلْبٍ مُعْتَصِ
 وَمَا كُلُّ مَنْ سَلَّ السَّيْفَ بِضَارِبٍ
 حَيَاةً لِمَظْلُومٍ وَمَوْتَ لِظَالِمٍ
 يَلْدُ نَدَاهُ بَعْدَ إِزْهَابِ بَأْسِهِ
 وَتَرْضَى رِمَاحُ الْخَطِّ حَظْمَ قُدُودِهَا
 وَيَحْسُنُ فِي سَمْعِ الْحُسَامِ ضِرَابُهُ
 نَمَاهُ لِنَصْرِ الدِّينِ نَصْرٌ وَقَدْ حَوَى
 لَكَ اللَّهُ مَا أَزْكَى مَنَاقِبِكَ الَّتِي
 وَمَا الْفَضْلُ إِلَّا مَا حَوَيْتَ وَإِنَّهُ

فُرُوعَ الْمَعَالِي بَيْنَ مَثْنَى وَمَوْحِدٍ⁽¹⁾
 وَشُبَّانُهُمْ وَالشَّيْبُ فِي خَيْرٍ مَضْعَدٍ
 عِدَاهُ، وَأَمَّا مَنْ هَدُوا فَهُوَ مُهْتَدِي⁽²⁾
 سَفَائِنُ فِي بَحْرِ مِنَ الثَّقَعِ مُزِيدٍ
 مَقَامٌ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ بِمَرْصِدٍ
 وَجُودٌ كَسَفَحِ الْغَيْثِ فِي كَفِّ مُجْتَدٍ⁽⁴⁾
 وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الرِّمَاحَ بِمُقْصِدٍ
 وَبُشْرَى لِمُعْتَدٍ وَوَيْلٌ لِمُعْتَدٍ
 كَمَا لَدَّ نَوْمٌ بَعْدَ طُولِ تَسْهَدٍ⁽⁵⁾
 إِذَا هَزَّهَا لِلطَّغْنِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
 كَمَا تَحْسُنُ الْأَمْدَاحَ فِي سَمْعِ سَيِّدٍ
 عَنِ الْجَدِّ⁽⁶⁾ سَعْدٍ، أَيْ سَعْدٍ مُجَدِّدٍ
 تَبَوَّاتٌ مِنْهَا فِي الْجَنَابِ الْمُمَهَّدِ
 لَعَنَ أَمَجْدٍ سَامِي الْعِلَاءِ فَأَمَجْدٍ

- (1) هذا البيت ليس في النفاضة، ويدل حذفه على حسن ذوق فقد اختلطت به صفات الممدوحين بصفات الخيل.
- (2) في النفاضة: «وأما من هدوه فمهتدي».
- (3) النفاضة: إمام.
- (4) النفاضة: فباس كسفع البرق في قلب مبغض وجود كسح الغيث في كف مجتد. ولفح البرق: إصابته وإحراقه بالصواعق.
- (5) في النفاضة: «ما لَدَّ جمع الشمل بعد تبدد». ومثل هذه التغييرات تبعث على التساؤل، إن كانت من صنع الشاعر أم من صنع ابن الخطيب مؤلف «النفاضة».
- (6) النفاضة: سعدا، وجرها في «المزاین» على البدلية من الجد، ونصبها في النفاضة على المفعولية لحوى.

صَدَعْتَ بِشَمْسِ الْعَدْلِ فِي مَشْرِقِ الْهُدَى
وَقُمْتَ بِأَمْرِ كَأَن فَرَضاً عَلَيْكَ أَنْ
وَأَذْهَبْتَ عَنَّا فِتْنَةً جَاهِلِيَّةً
[وَقَدْ كُنْتَ أَوْحَشْتَ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا
وَأَظْلَمْتَ الدُّنْيَا لِبُعْدِكَ وَاعْتَدْتَ
إِلَى أَنْ أَرَانَا اللَّهَ غُرَّتَكَ الَّتِي
وَكُنْتَ كَمِثْلِ الرُّوحِ عَادَ لِحِسْمِهِ
هَنِيئاً لِهَذَا الْقَطْرِ مَقْدَمِكَ الَّذِي
وَبُشْرَى الْوَرَى طُرّاً بِبَيْعَتِكَ الَّتِي
هَنِيئاً لِهَذَا الدِّينِ بِبَيْعَتِكَ الَّتِي
وَخَصَّصْتَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
وَقَدْ رُغْتَ دِينَ الْكُفْرِ مِنْكَ بِعَزْمَةٍ
وَجَدْتَ بِمَا جَمَعْتَ⁽³⁾ لَا الْجُودَ [مُوكِسَ]⁽⁴⁾
وَمَا أَصْلَحَ الْعَلِيَاءَ وَالْمَجْدَ مُصْلِحَ
أَقُولُ لِحَادِي الْعَيْسِ⁽⁵⁾ وَاللَّيْلُ ضَارِبٌ
وَقَدْ أَجْهَدْتَ عُوجَ الرُّكَّابِ لِبَانَةٍ⁽⁶⁾

وَأَزْشَدْتَ مِنَّا لِلتُّقَى كُلِّ مَرْشِدٍ
تَقُومَ بِهِ رُحْمَى لِكُلِّ مُوَحِّدٍ
لَهَا فِي حَشَى الْإِسْلَامِ أَيُّ تَوْقِدٍ
وَأَذْكَرْتَ حُسْنَ الْعَهْدِ فِي كُلِّ مَعْهَدٍ
مُرْدَدَّةً ذَكَرَ الْحَنِينِ الْمُرْدَدِّ
جَلْتَ كُلَّ بُشْرَى فِي مَطَالِعِ أَسْعَدِ⁽¹⁾
وَكَاثِلُومٍ وَافَى الْعَيْنِ بَعْدَ تَسْهَدٍ
بِهِ نِلْتُ آمَالِي وَبُلَّغْتُ مَقْصِدِي
عَدْتُ رِفْقَ مُوْلِ لِلْجَمِيلِ وَمُشْهَدِ⁽²⁾
جَلْتَ كُلَّ بُشْرَى فِي مَطَالِعِ أَسْعَدِ
فَمَا شِئْتُ مِنْ غَيْبِ كَرِيمٍ وَمُشْهَدٍ
سَتُودِعُ أَلْحَادَ الرَّدَى كُلَّ مُلْحِدٍ
وَمَا الثَّيْلُ بَعْدَ الْعَوْدِ يَوْماً بِمُبْعَدٍ
لَأَمْوَالِهِ يَوْمَ النَّدَى غَيْرُ مُفْسِدٍ
بِأَكْوَارِهَا فِي كُلِّ قَفْرِ وَقَدْفٍ
تَنْتَ كُلَّ صَبْرٍ دُونَهَا وَتَجَلْدُ

(1) سيتكرر هذا الشطر بعد ثلاثة أبيات نظراً لاختلاف المصدر .

(2) ما بين المعقوفين ستة أبيات منقولة عن النفاضة: 127/3، وبعض أعجازها مضمن في أبيات أخرى كالشطر الثاني من البيت التالي لها . الشطر الأخير في النفاضة: «مولى للجميل ومشهد» .

(3) النفاضة: عودت .

(4) في الأصل: موئس، والتصحيح عن النفاضة . والموكس: مخسر ومنقص .

(5) النفاضة: العير .

(6) في النفاضة «لبانها» . واللبانة: الحاجة من غير فاقة .

وَرَأَاكَ عَنْ كُلِّ الْمُلُوكِ وَغُجَّ بِهَا
وَأَمَّلَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّداً
أَمْوَلَايَ حُبِّي مَا عَلِمْتَ وَإِنَّهُ
وَأَمَّا مَدِيحِي فِي غُلَاكَ فَأَوْحَدٌ
[فَعُدْ لِي بِمَا عَوَّذْتَ قَبْلُ مُوَاصِلاً
وَدَعْ عَنْكَ مَا قَالَ الْعَدُوُّ فَإِنَّهُ
رَمَانِي بِدَاءٍ [وَأَ] هُوَ وَاللَّهِ دَاوُهُ
وَكُلُّ الَّذِي زَكَّاهُ فِي الْغَرْبِ حَاسِدٌ
وَإِنِّي لَرَاغٍ أَنْ يَخِيبَ احْتِيَالُهُمْ
وَمَا لِي فِي غَيْرِ الْعِبَادَةِ مَقْصِدٌ
وَقَدْ حَدَّثَنِي النَّفْسُ أَنَّكَ مُسْعِفِي
نَدِمْتُ وَعَادَ الْهَزْلُ جِداً وَإِنِّي
فَلَهْفِي عَلَى عُمْرٍ تَقْضَى سَفَاهَةً
وَتَضْيِيعِ أَوْقَاتٍ بِمَا لَا أَعُدُّهُ
ضَلِيلْتُ⁽⁴⁾ عَلَى عِلْمٍ وَلَوْ كُنْتُ جَاهِلاً
فَكُنْ لِي أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّقَى
وَجُدْ لِلَّتِي يُنَمَى لِمِثْلِكَ مِثْلُهَا
بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ فِي خَيْرِ دَوْلَةٍ

(1) النفاضة: في الخلوص.

(2) الأبيات الخمسة بين المعقوفين من زيادات «النفاضة». وفي المقابل، فإن كثيراً من أبيات هذه القصيدة موجودة في «المزاین» غير مثبتة في «النفاضة».

(3) كلمة غير واضحة في الأصل، وما أثبتناه أقرب كلمة لرسمها وسياقها.

(4) في الأصل: ظلت.

لأَحْمَدِ مَلِكِ سَاسِ أُمَّةٍ أَحْمَدِ
تَجِدُ خَيْرَ مَأْمُولٍ وَأَكْرَمَ مُنْجِدِ
لَأَكْرَمِ حُبِّ بِالْخُلُوصِ⁽¹⁾ مُؤَكَّدِ
يُقَدِّمُهُ صِدْقُ الرَّجَاءِ لِأَوْحَدِ
رِضَاكَ وَأَحْمَدُ سَعْيِ عَبْدِكَ تُحْمَدِ
بِفَاسٍ أَتَى بِالزُّورِ فَعَلَّ تَعَمُّدِ
وَإِنْ يُسْأَلِ الْحَقُّ الَّذِي بَانَ يَشْهَدِ
مَتَى نِلْتُ خَيْراً مِنْكَ، مَوْلَايَ، يَكْمَدِ
فَعَادَةُ رَبِّي أَنْ يُخَيِّبَ حُسْدي⁽²⁾
وَأَنْتَ أَيَا مَوْلَايَ تُنْجِجُ مَقْصِدِي
بِتَبْلِيغِ آمَالِي، وَأَنْتَ مُسْعِدِي
لَأَشْفِقُ مِنْ ذَنْبِي وَمَا كَسَبْتُ يَدِي
بِتَذْكَارِ عَهْدٍ لِلْحَبِيبِ وَمَغْهَدِ
لِيَوْمِ مَعَادِي وَالْمَقَالِ⁽³⁾ الْمُرْدَدِ
لَمَا قُلْتُ إِنِّي لَسْتُ كَالْمُتَعَمِّدِ
مُعِيناً وَأَحْمَدُ سَعْيِ عَبْدِكَ تُحْمَدِ
صَنِيعَةَ مَوْلَى لِلْجَمِيلِ مُعَوِّدِ
يُقْصِرُ عَنْهَا الْيَوْمُ فِي النَّصْرِ عَنْ غَدِ

وَلَا زِلْتَ فِي غَزْوٍ وَفَتْحٍ مُوَاصِلٍ وَسَعْدٍ وَإِسْعَادٍ وَمُلْكٍ مُشِيدٍ⁽¹⁾

37

وقال في فتح قسطنطينة^(*): [طويل]

سَلِ الْعِيسَ وَالْبَرْقَ الَّذِي لَاحَ مِنْ نَجْدٍ
وَهَلْ عِنْدَهَا عِلْمٌ بِأَغْلَامٍ حَاجِرٍ
وَهَلْ وَرَدَتْ مَاءَ الْأَثِيلِ وَدُونَهُ
مَعَاهِدُ خُلْفَنَ الْعِمَادِ بَوَاكِيا
أَلَا هَلْ أَرَاهَا وَالْحُمُولُ كَأَنَّهَا
وَهَلْ [أَرَيْنَ بَانَ]⁽²⁾ اللَّوَى وَمَنَازِلًا
وَكَانَ الْهَوَى هَزْلًا فَلَمَّا تَلَوْتُهُ
مِنَ الْجَاعِلَاتِ التَّفْعَ بَغْضَ سُتُورِهَا
عَقَائِلُ خَامِرَنَ الْعُقُولَ فَلَمْ يَبْنِ
فَقَدْتُ فُؤَادِي يَوْمَ عَارِضْتَنِي⁽³⁾ ضَحَى
وَلَمْ أَنْسَ لَا أَنْسَ الْخُدَاةَ وَأَيْتُنْقَا
إِذَا التَّفَتَّتْ نَحْوَ الْخُدُوجِ⁽⁵⁾ تَمَائِلَتْ

مَتَى عَهْدُهَا بِالْجَزَعِ وَالْعَلَمِ الْفَزْدِ
وَمَا هِجَنَ لِي مِنْ لَاعَجِ الشُّوقِ وَالْوَجْدِ
ظَبَاءَ سَطَّتْ أَلْحَاطُهَا التُّجُلُ بِالْأُسْدِ
فَمَحَّتْ مَغَانِيهَا كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ
سَمَاءَ حَدَا سَعْدٌ بِهَا أَنْجَمَ السَّعْدِ
أَضَعْتُ بِهَا قَلْبِي وَصُنْتُ بِهَا مَجْدِي
بِمَنْ فِي الْقِبَابِ الْحُمَرِ عَادَ إِلَى الْجَدِّ
فَمَا بُغْدُهَا يُسْلِي وَلَا قُرْبُهَا يُجْدِي
لَهَا الْغَيُّ فِي شَرْعِ الْغَرَامِ مِنَ الرُّشْدِ
وَسَلَّمَنَ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ وَالْوُدِّ
بُرَاهَا⁽⁴⁾ سُرَاهَا بِالذِّمِيلِ وَبِالْوَحْدِ
وَمَا دَمْعُهَا دَمْعِي وَلَا سُهْدُهَا سُهْدِي

(1) في النفاضة: مؤيد.

(*) فيض العباب (نسخة الخزائنة الحسنية: 177-179، والنص المحقق: 142-144)، وكان فتح قسطنطينة ضمن حركة أبي عنان فارس المبريني التي دونها ابن الحاج في رحلته «فيض العباب وإفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسطنطينة والزاب»، وذلك سنة 758 هـ. (انظر العبر: 351/7، وفيض العباب: 131).

(2) بياض في النص المحقق.

(3) فيض العباب: عارضتني.

(4) فيض العباب: يراها. والبرى: ما يوضع في أنوف الإبل لتذليلها.

(5) الخدوج: الحمول.

خَلِيلِي هَلْ مِنْ وَفَّةٍ دُونَ رَامَةٍ
وَيَا مُسْعِدِي مِنْ آلِ سَعْدٍ عَلَى هَوَى
وَرَاءَكَ إِلَّا عَنْ تَلْهَبٍ زُفَرْتِي
سَرَى طَيْفٍ سَلَمَى وَالتُّجُومُ كَأَنَّهَا
وَلَا حَتَّ سَيْوْفُ الْبَرْقِ فِي رَا حَةِ الدُّجَى
وَقَدْ مَاسَ قَدْ الْغُضَنِ فِي حُلَّةِ الصَّبَا
فَيَا قَلْبُ لَا تَذْهَبْ عَلَى الْقُرْبِ حَسْرَةً
وَيَا نَفْسُ لَا يَأْخُذْ بِكَ الْيَأْسُ فِي الْهَوَى
وَقَدْ يُدْرِكُ الْإِنْسَانُ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
كَمَا أَوْسَعَ الْقَوْمُ الَّذِينَ حَوَّثَهُمْ
أَتَابُوا لِمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ فَارِسَ
وَلَوْلَا⁽⁴⁾ ضِيَاءُ الشُّهْبِ وَالْبَدْرِ فِي الدُّجَى
وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْفُوزِ أَنْ يَنْظُرَ⁽⁵⁾ الْعِدَى
وَلِلَّهِ يَا لِلَّهِ فَارِسُ الَّذِي
وَتَأْبَى الْعُلَا إِلَّا السَّمَاحَةَ وَالنَّدَى
وَمَا يَوْمٌ كَالْيَوْمِ⁽⁶⁾ الَّذِي جَاءَ بِالَّتِي
عَرُوسٌ مِنَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ تَزَيَّنَتْ

فَأَشْكُو بِشُحِّ الشَّيْحِ وَالْبَانِ وَالرُّنْدِ
غَدَا عِنْدَهُ [مِنْ]⁽¹⁾ عِلْمٍ بَلَّوَاهُ مَا عِنْدِي
بِتِلْكَ الَّتِي تَزْدَادُ وَقْدًا عَلَى وَقْدٍ
مَطَافِلُ غِزْلَانٍ تَحُومُ عَلَى وَرْدٍ
فَمَا اتَّخَذَتْ غَيْرَ الْعِمَامَةِ مِنْ غَمْدٍ
وَسَالَتْ دُمُوعُ الطَّلِّ⁽²⁾ فِي وَجْهَةِ الْوَرْدِ⁽³⁾
فَأَحْسَنُ مِنْ قُرْبٍ وَقَاؤُكَ فِي بُعْدٍ
مَآخِذُهُ فَالْوَضْلُ فِي عَقَبِ الصَّدِّ
بِرَاجٍ وَيُعْطَى قَوْقُ مَا نَالَ مِنْ قَصْدٍ
فَسَنْطِينَةٌ جُودًا وَرِفْدًا عَلَى رِفْدٍ
فَفَازُوا بِتَيْلِ السَّعْدِ وَالْعَيْشَةِ الرَّغْدِ
لَمَّا سَارَ مَنْ يُهْدَى وَلَا كَانَ مَنْ يَهْدِي
لِمَا حَازَ مَنْ عَادُوهُ مِنْ شَرَفٍ عِدِّ
غَدَا كَاسِمِهِ وَالْخَيْلُ خَوْفَ الرَّدَى تُرْدِي
وَسِرُّ الثُّقَى إِلَّا الْبَقَاءَ عَلَى الْعَهْدِ
أَمَاطَتْ نِقَابَ النُّصْرِ فِي مَوْكِبِ الْعَضْدِ
فَقَامَتْ مِنَ الرُّمَحِ الْقَوِيمِ عَلَى قَدْ

(1) فيض العباب: ما.

(2) في النص المحقق: الظل.

(3) هذا البيت والبيتان بعده من المكررات في القصيدة التي مدح بها الغني بالله.

(4) في فيض العباب: «رأوا لا».

(5) فيض العباب: ينظروا.

(6) النص المحقق: وأنتم كالיום.

وَمَا أَضْحَكْتَ غَيْرَ الظُّبَا⁽¹⁾ مِنْ مَبَاسِمٍ
وَمَا نَشَرْتَ غَيْرَ الْعَجَاجِ ذَوَائِباً
وَمَا اتَّخَذْتَ غَيْرَ الْخُيُولِ مَجَالِساً
نَتِيجَةً عَزِمَ عَلَّمَ السُّمَرِ فِي الْوَعَى
وَأَثَارُ مَأْثُورِ الْحَفِيطَةِ لَمْ تَزَلْ
أَزَارَ الْعِدَى لَجْأً وَأَزَحَفَ بِالرَّدى
وَأَزَعَنَ كَالْبَحْرِ الْخِضَمَّ تَخُوضُهُ
وَحَفَّتْ بِهَا الْأَنْهَارُ لَكِنْ مِنَ الظُّبَا
وَمَا اتَّبَعْتَ يَوْماً قَسَنْطِينَةَ الْهَوَى
وَلَكِنْ لِتَحْظَى بِاقْتِرَابِ خَلِيفَةٍ
وَإِنَّ بِقَاعِ الْأَرْضِ كَالنَّاسِ بَغْضُهُمْ
فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى يَوْمَ فَتْحِهَا
أَتَتْهَا جُيُوشٌ زَاحِفَاتٌ كَأَنَّهَا
فَأَذَعْنَ أَهْلُوهَا وَجَاءَ أَمِيرُهُمْ⁽⁴⁾
فَأَعْطَيْتَهُ حَتَّى الْحَيَاةَ مَوَاهِباً
وَلَا فَرَقَ عِنْدَ الْحَاضِرِ الشَّهْمَ بَيْنَ مَنْ

وَلَا وَرَدَّتْ غَيْرَ الصَّوَارِمِ مِنْ خَدٍّ
وَمَا نَظَمْتَ غَيْرَ الْجَمَاجِمِ مِنْ عِقْدٍ
وَمَا افْتَرَشْتَ غَيْرَ الْمَازِقِ مِنْ مَهْدٍ
طِعَانَ الْعِدَى وَالْدِرْعُ مُحْكَمَةُ السَّرْدِ
أَفَاعِيلُهُ وَقَفَا عَلَى الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ
شَرُوباً دِمَاءَ الْمَارِقِينَ عَلَى حَزْدٍ⁽²⁾
سَفَائِنُ لَكِنْ مِنْ مُضْمَرَةٍ جُرْدٍ
فَصَيَّرَتِ الْأَعْدَاءَ لِلْجَزْرِ وَالْمَدِّ
هَوَاهَا وَلَا كَانَ التَّمْنَعُ عَنْ عَمْدٍ
يَدِينُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي الْحِلِّ وَالْعَقْدِ
عَدَا غَيْرَ مَجْدُودٍ وَآخِرُ ذَا جَدٍّ⁽³⁾
عَجَائِبَ قَدْ جَلَّتْ عَنِ الْحَضَرِ وَالْعَدِّ
مَعَ النَّصْرِ قَدْ كَانَتْ هُنَاكَ عَلَى وَغْدٍ
لَأَكْرَمِ مَوْلَى شَأْنُهُ الرَّفْقُ بِالْعَبْدِ
لِرَبِّكَ مِنْهَا مَا تُعِيدُ وَمَا تُبْذِرُ
عَدَا وَهُوَ مَحْضُورٌ وَمَنْ مَرَّ فِي لَحْدٍ

(1) النص المحقق: الضبا.

(2) تكررت الألفاظ الرئيسة في هذا البيت ضمن واحد من الأبيات التي مدح بها الغني بالله، وربما أعاد البيت أو الشطر حرفياً الأمر الذي يدل على وجود ظاهرة الاستعارة من الذات بصورة واضحة في شعر ابن الحاج كما هو في شعر ابن زمرك والملجأ في الشطر الأول: المعقل.

(3) الفيض: حد. والجدة: هنا الحظ، وقد قابله بغير مجدود.

(4) أميرهم: هو أبو العباس الحفصي، سلمه سكان قسنطينة إلى المرينيين فاعتقلوه بسبته، ودخل أبو عنان إلى قسنطينة فاتحاً. (العبر: 351/7).

وَمَنْ كَانَ جَيْشُ الرُّعْبِ يُفْنِي عِدَاتَهُ
مَتَتَتْ وَبَعْدَ الْمُلْكِ أَسْجَحَتْ مُنْعِمًا
وَيَا حُسْنَ فَتْحٍ عَمَّ تَضَحِيْفُهُ الْعِدَى
هُمْ الْعَرَبُ⁽²⁾ الْعَرَبَاءُ لَا دَرَّ دَرُّهُمْ
سَلَبَتْهُمْ بِالسَّيْفِ أَمْ قُرَاهُمْ
وَقَدْ أَشْبَهُوا الْخُنْسَاءَ⁽³⁾ حُزْنًا فَكُلُّهُمْ
أَتِيَحْتَ لَهُمْ فِيهَا الدَّوَاهِي دَوَاهِمَا
وَأَنْتَسَتْهُمْ نَهْدًا عَلَى الصَّدْرِ مُعْجِبًا
إِمَامٌ هُدَى قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الْوَعَى
فَمَرَّتْ رِيَّاحٌ كَالرِّيَّاحِ سَحَابُهَا
فَهَذِي رِمَاحُ [الْخَطُ]⁽⁴⁾ تُشْرِعُ نَحْوَهُمْ
وَهَذِي السُّيُوفُ الْبَيْضُ تَزْتَدُّ نَحْوَهُمْ
مِنَ الْبَاتِرَاتِ الْآكِلَاتِ غُمُودَهَا
تَجُودُ عَلَى نَارِ الْوَعَى بِنَفُوسِهَا
سَتَرُكُهُمْ فِي الْأَرْضِ لِلنَّاسِ عِبْرَةً

فَذَاكَ عَنِّي فِي الْحُرُوبِ عَنِ الْجُنْدِ
فَلِلَّهِ مَا أَسَدَيْتَ فَضْلًا وَمَا تُسَدِّي
وَمَقْلُوبُهُ وَاقِيَ لَهُمْ مُزْعَجَ الْوَفْدِ⁽¹⁾
وَلَا حَوِّمُوا بِالْعِيسِ إِلَّا عَلَى تَمْدٍ
فَمَا ظَفِرُوا مِنْهَا بِغُورٍ وَلَا نَجْدٍ
يُنُوحُ عَلَى صَخِرٍ وَيَشْكُو مِنَ الْفَقْدِ
فَأَعْطَتْهُمْ كُلَّ الْهُمُومِ وَلَمْ تَكْدِ
حُرُوبُ إِمَامٍ جَاءَ صَدْرًا عَلَى نَهْدِ
سِرَاعًا كَمَا طَارَ الشَّرَارُ مِنَ الزُّنْدِ
دُمُوعُهُمْ خَوْفَ الْمَذَلَّةِ وَالطَّرْدِ
صُدُورًا بِهَا مَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْحَقْدِ
[لِتَشْفِيَرِهَا]⁽⁵⁾ بِالْفَتْكِ مِنْ كُلِّ مُزْنَدٍ
فَوَاحِلَ لَا عَنَ فِكْرَةٍ لَا وَلَا [جَهْدِ]^(*)
كَأَنَّ سُيُوفَ الْهِنْدِ بَعْضُ بَنِي الْهِنْدِ
وَلَيْسَ لِأَمْرِ شَاءَهُ اللَّهُ مِنْ رَدٍّ

(1) يريد بتصحيفه ومقلوبه: الفتح، والحتف، وهما الشئ والهلاك.

(2) هم الأعراب حول قسطنطينة وبجاية وفيهم رياح وبنو سدويكش وغيرهم.

(3) الخنساء: هي تماضر بنت عمرو بن الحارث: شاعرة مخضرمة. (انظر: الشعر والشعراء: 123، وأعلام النساء: 1\305، وخزانة البغدادي: 1\208).

(4) في الفيض: الخد.

(5) شفر السيف: أصاب حده. وفي الفيض: (لتشفيها) ولا يستقيم الوزن بذلك وزناً ولا معنى.

(*) في النص المحقق: حبد.

فَسِرْ فِي ضَمَانِ اللَّهِ مُلْكُكَ فَوْقَ مَا تَسْنَى قَدِيمًا لِلرَّشِيدِ وَلِلْمَهْدِيِّ⁽¹⁾
وَلَا تُبْدِ شَمْسَ الشَّرْقِ فَالْعَرْبُ مُطْلِعُ شُمُوسَ هُدًى تُبْدِي لِذِي الرُّشْدِ مَا تُبْدِي
بَقِيَتْ سَعِيداً فِي الْمُلُوكِ مُخْلِداً وَلَا زِلْتَ تَهْدِينَا إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ
وَدُونِكَ مَذْحاً شَبَّهَ الْمِسْكَ عَرْفُهُ فَطَيْبُهُ يُنْسِي أَبَا الطَّيِّبِ الْكِنْدِيِّ⁽²⁾

38

«وقال أيضاً^(**): [طويل]

أَلَا رَبُّ شَادٍ قَامَ يَضْرِبُ عُودَهُ عَلَى حِينٍ لَمْ يُوفِ الْحَبِيبَ بِمَوْعِدِ
فَأُضْرَمَ نَارَ الشُّوقِ بَيْنَ جَوَانِحِي وَلَا عَجَبُ أَنْ تُضْرَمَ النَّارُ بِالْعُودِ

39

«وقال في قاضي القضاة العالم الشهير، صاحب التفسير، عماد الدين
الكندي، وهو ممن أخذ عنه بئغر الاسكندرية^(***): [متقارب]

وَلَمَّا اخْتَبَرْتُ ذَوَاتَ الْوَرَى تَعَجَّبْتُ مِنْ حُسْنِ ذَاتِ الْعِمَادِ
فَتِلْكَ الَّتِي لَمْ أَكُنْ مُبْصِراً مَدَى عُمْرِي مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ⁽³⁾

(1) هارون الرشيد والمهدي: من مشاهير خلفاء بني العباس.

(2) يقصد أبا الطيب المتنبي.

(**) الكتيبة: 269.

(***) النفح: 111\7.

(3) ورى بذات العماد المذكورة في القرآن الكريم (الفجر: 7) عن ذات عماد الكندي المذكور.

«وله أيضاً^(*): [كامل]

لِمَنِ الْكُمَاءُ تَقَلَّدُوا الْفُولاذَا
وَتَعَلَّمُوا لَعِبَ⁽²⁾ الْوَعَى فِي مَازِقِ
وَفَوَارِسِ وَافُوا زَرَافَاتٍ وَكَمْ
وَحَمَوْا ضَعَائِنَهُمْ بِسُمْرِ دَوَابِلِ
مِنْ كُلِّ رَكَابِ الْعِظَائِمِ ضَارِبِ
يَتَسَاءَلُ الْحُسَّادُ عَنْهُ كَأَنَّهُمْ
وَإِذَا رَأَوْهُ مِنَ الثَّنَائِيَا طَالِعَا
وَكَأَنَّمَا الْمِسْكُ الْفَتِيْقُ بِبُزْدِهِ
مَلِكٌ حَكِي كِسْرَى⁽⁵⁾ وَقَيْصَرَ إِذْ سَطَا
وَحَكِي بَنِي الْعَبَّاسِ فِي الْمُلْكِ الَّذِي
مِنْ آلِ خَزْرَجٍ فِي سَرَارَةٍ ضِئْضِيءٍ⁽⁶⁾

وَتَعَوَّدُوا الْإِزْقَالَ وَالْإِغْدَاذَا⁽¹⁾
عَنْهُ تَسَلَّلَتِ الْمُلُوكُ لِوَاذَا
قَدْ أَنْسَلُوا⁽³⁾ يَوْمَ الْوَعَى أَفْذَاذَا
قَدْ أَنْقَذَتْ تُغْرَ الْعِدَى إِنْقَاذَا
لِلْهَامِ ظِلٌّ لِأَهْلِهَا أَخَاذَا
لَمْ يَجْعَلُوهُ مَلْجَأً وَمَلَاذَا
قَالُوا، وَقَدْ عَرَفُوا: أَلَا مَنْ هَذَا
مَذْحُ ابْنِ نَضِرٍ⁽⁴⁾، ذَا لِيذَلِكَ حَاذَا
وَزَرَى بِهَامَانٍ وَفَاقَ قُبَاذَا
تَحْكِي بِهِ غَرْنَاطَةٌ بَغْدَاذَا
لَاذَتْ بِهِ الْغُرُّ الْكِرَامُ لِيَاذَا

(*) المزاين: 2 ب.

(1) الأرقال والأغذاذ: السرعة في السير.

(2) في الأصل: اللعب.

(3) أنسل في غدوه: أسرع.

(4) هو محمد الغني بالله الذي خصه بمدائح المزاين كلها.

(5) كسرى: ملك الفرس. قيصر: ملك الروم. هامان: وزير فرعون. وقباز من الأكاسرة، ورد ذكره

في بعض المدائح النبوية. (انظر: النفح: 501\7).

(6) سرارة الحسب: أوسطه وأفضله. والضئضىء: الأصل.

مِنْ آلِ نَضْرٍ وَالْأَحَامِرَةِ⁽¹⁾ الْأَلَى
وَالْمُغْتَلِي لِلرُّومِ فِي رَجْرَاجَةٍ
وَالْجَاعِلُ الْأَضْنَامَ تِلْكَ وَأَهْلَهَا
فِي الْعِلْمِ أُسْتَاذٌ إِذَا صُرِفَتْ لَهُ
وَعَلَى الْمَعَالِي لَمْ يَزَلْ مُسْتَحْوِذًا
وَتَلَا الْمُلُوكَ فَكَانَ أَفْضَلَ مِنْهُمْ
وَحَمَى بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ فَسَيَفُهُ
وَأَزَالَ عَنِ أَهْلِ الْبِلَادِ إِذَايَةً
وَمَعَ الْمُلُوكَ نَعْمَ جَرَى فِي حَلْبَةٍ
وَعَدَا يُسَاجِلُ⁽⁴⁾ جُودُهُ صَوْبَ الْحَيَا
وَعَدَا يُبَاهِي الْبَدْرَ نُورَ جَبِينِهِ
وَعَلَى ابْنِ يُوسُفِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ
مُسْتَنْقِذِ الْعَافِينَ مِنْ أَيْدِي الْأَلَى
وَمُطِيلِ رَكْضِ الْخَيْلِ حَتَّى أَضْبَحَتْ

كَانُوا لِأَكْبَادِ الْعُلَا أَفْلَادًا
عَادَتْ بِهَا غُرُّ الْفُتُوحِ عِيَادًا
بِالسَّمْهَرِيَّةِ⁽²⁾ وَالشُّيُوفِ جُدَادًا
هَمُّ الْمُلُوكِ، وَيَا لَهُ أُسْتَاذًا
وَعَلَى الْمَكَارِمِ كُلِّهَا اسْتَحْوَاذًا
كَالْوَيْلِ يَتَلَوُّ فِي الْبِطَاحِ رَدَادًا
سَيْفٌ غَدَا لِلْعَائِذِينَ مَعَادًا
لَهُمْ، قَبَاءٌ بِحَسْرَةٍ⁽³⁾ مَنْ آذَا
وَجَرُوا قَبَذٌ وَلَمْ يَزَلْ بَذَادًا
لَكِنْ بِهِ صَوْبُ الْحَيَا قَدْ عَادَا
فَكِلَاهُمَا قَدْ دَاوَمَ اسْتِلْدَادًا
أُنِّي، فَأُلْفِي لِلثَّنَاءِ نَفَادًا
قَدْ أَسْلَمُوهُمْ لِلرَّدَى اسْتِنْقَادًا
وَسُرُوجُهَا قَدْ مَلَّتِ الْأَفْحَادَا

(1) الأحامرة: جمع أحمر، يريد بها لقبهم القريب، وربما أراد انتسابهم إلى حمير.

(2) السمهرية: نسبة إلى «سمهر»، رجل كان يقوم الرِّمَاح، وقد صارت تطلق على الرماح الصليبية العود.

(3) في الأصل: بخسرة.

(4) في الأصل: «بساحل جوده»، والمعنى بهذه القراءة طريف، ولكن الاستدراك في الشطر الثاني يفيد المساجلة بين جوده وضوب الحيا.

«وله، يمدح الشفيح المشفع - صلى الله عليه وسلم - وفي آخرها يمدح أبا بكر السعيد أحد ملوك مدينة فاس (*)» : [مقارب]

سَقَى اللّهُ بِالْأَجْرِعِ الْفَرْدَ⁽¹⁾ دَارَا
وَقَفْتُ بِهَا مُرْسِلاً عِبْرَةً
وَلَمْ أَرْ مِنْ قَبْلِ ذَا الدَّمْعِ مَاءً
وَكَمْ ظَلْتُ فِيهَا أَنَا وَالتَّسِيمُ
كَأَنَّ اللُّوَاحِظَ أَغْدَيْنَنَا
وَكَمْ جِئْتُهَا خَلْفَ بَرْقٍ لُمُوعٍ
وَفَوْقَ الرُّوَاجِلِ أَخَوَى الْجُفُوفِ
حَكَى الظَّنِّي لَحْظاً وَجِيداً وَفَرَعاً
وَلَمْ أَنَسْ لَا أَنَسَ يَوْمَ التَّوَى
وَحُسْنَ الثُّغُورِ الَّتِي خِلْتُهَا
وَقَالُوا: هُوَ الدُّرُّ أَضْدَافُهُ
وَكَمْ بِالْحِمَى مِنْ غَزَالٍ رَعَى
لَأْمُرٍ بِهَا الشُّوقُ وَالْبَرْقُ نَارَا
تُطِيلُ السَّحَابُ مِنْهَا اغْتِبَارَا
يُؤَجِّجُ فِي الْقَلْبِ مِنِّي نَارَا
غَدَاةَ التَّفْرِقِ نَشْكُو ضِرَارَا
فَكُلَّ عَالِيلٍ يُدِيمُ اغْتِدَارَا
كِلَانَا، لَعَمْرِي، يَخْذُو الْقِطَارَا
بُبُغْدٍ وَإِنْ ظَلَّ يُذْنِي مَزَارَا
وَبِالرَّغْمِ مِنْهُ حَكَاهُ نَفَارَا
ذَوَائِبَ فِي لَيْلِهَا الصَّبُّ حَارَا
حُبَاباً عَلَى خَمْرَةِ الرِّيقِ دَارَا
قَبَابٌ فَأَجْرَيْتُ دَمْعِي بِحَارَا
بَنَجْدٍ فُؤَادِي وَخَلَّى الْعَرَارَا⁽²⁾

(*) جذوة الاقتباس 93\1. وأبو بكر السعيد تولى صبيّاً صغيراً بعد وفاة أبيه أبي عنان فارس، ودامت ولايته ما بين ذي الحجة 759هـ وشعبان 760هـ، حيث أغرقه وزيره حسن بن عمر الفودودي. وبذلك يتبين أن القصيدة كانت على الأرجح في شهر ربيع الأول من سنة 760هـ.

- (1) الأجرع: الأرض ذات الحزونة تشبه الرمل. والفرد: المنفرد المتوحد والمنقطع عن أشباهه.
- (2) العرار: نبات طيب الرائحة، ونلاحظ أنه مع نباتات بدوية أخرى كالشيخ، والأثل، والبان.. يرد كثيراً في المقدمات الحجازية والمولديات والمدائح.

وَشَمْسٍ تَوَارَتْ لَنَا بِالحِجَابِ
فَأَعْقَبَهَا اللَّيْلُ وَهُوَ الْقَتَامُ
وَيَا مَنْ رَأَيْتُ أَجْدُ اضْطَبَّاحاً
وَعَاطِلَةً الْجِيدِ حَلَيْئُهَا
وَجَاهَرْتُ بِالحُبِّ لَمَّا بَدَتْ
وَقَالُوا حَكَى اللَّحْظَ مِنْهَا فُؤَادِي
فَيَا مُبْلِياً عُمرَهُ فِي الطَّعَانِ
وَيَا كَاسِراً لِي جُفُونََ الظُّبَاءِ
وَمَا اشْتَعَلَ الرَّأْسُ مِنِّي شَيْباً
وَقَدْ نَبَتَتْ حَبَّةُ القَلْبِ فِي
لَعْمَرُ الهَوَى وَالْعُهُودِ الَّتِي
لَقَدْ فَرَّقَ البَيْنَ إِلَّا شُجُونِي
وَأَرَقْنِي، وَالْعُيُونُ هُجُوعُ
وَقَدْ هَجَّتْهُ مِثْلَ مَا هَاجَنِي
وَمِمَّا نَفَى النُّومَ عَنِّي بَرْقُ
وَقَدْ أَعْجَزَ الشُّحْبَ عَن بَذْلِهِ
لَحَا اللُّهُ قَلْبِي كَمْ ذَا الهَوَى
وَعَادَ نَصُولاً بِطُولِ الخِضَابِ
أَرَى الطُّبَّ عَارَا وَلَوْ قُلْتُ آهًا
رُبُوعٌ مَتَى تَرِبَتْ بِالحَجِيجِ

وَلَكِنْ حِجَابِ قُلُوبِ العِيَارَى
يُقِلُّ السَّحَابَ وَهِيَ المَهَارَى
بِكَاسِ الغَرَامِ وَأَبْلَى اضْطَبَّارَا
بِشِغْرِي نِظَاماً وَدَمْعِي نِشَارَا
فَلَمْ أَرْ بَذْراً يُحِبُّ السَّرَارَا
صَدَقْتُمْ وَلَكِنْ حَكَاهُ انْكِسَارَا
كَفَتْكَ الطَّعَانُ قُدُودُ العَذَارَى
كَفَى الحُبِّ كَسْرُ الجُفُونِ اخْوَرَارَا
فَأَوْدَعَ إِلَّا ضُلُوعِي السَّرَارَا
خَمِيلَ مُسِيلِ الدُّمُوعِ ادْكَارَا
بِذِكْرِي لَهَا سَاكِنُ العُورِ عَارَا
وَبَلَّتْ دُمُوعِي إِلَّا الْأَوَارَا⁽¹⁾
حَمَامٌ كَقَلْبِي بِذِي الاثْلِ طَارَا
فَأُبْكِي مِرَاراً وَيَبْكِي مِرَارَا
ظَنَّنَاهُ بَيْنَ الثَّنَائِيَا افْتِرَارَا
فَتَهْدِي لُجَيْنَا وَيُهْدِي نُضَارَا
وَقَدْ رَدَّ دَهْرِي شَبَابِي المَعَارَا
فَأَذْرَكَ فِي مُنْغِصِ الشَّيْبِ ثَارَا
عَلَى زَمَنِ الحَنِيفِ لَمْ يَكْ عَارَا
جَعَلْنَا الشُّعُورَ عَلَيْهَا شِعَارَا

(1) الأوار: حر النار والشمس، واستعير هنا لحر الجوى والشوق.

إِذَا مَا رَمَى الصَّبُّ فِيهَا الْجِمَارَا
فَرَأَتْ حُدُودَ الْبِطَاحِ احْمِرَارَا
لِشْمَلِ الْمُحِبِّينَ أُمَسُوا حَيَارَى
فَكَفَّ الصَّبَّاحُ تَزِيدُ انْتِشَارَا
فَعَاصَتْ حَصَى الشُّهْبِ فِيهِ جِهَارَا
سَبِيلَ فَمَا غَبَتْ عَنْكَ اخْتِيَارَا
وَصَيَّرْنَ أَيَّامَ أُنْسِي قِصَارَا
عَلَيَّ فَلَمْ تُجِدْ إِلَّا اغْتِدَارَا
تَرَاهُمْ سُكَارَى وَمَا هُمْ سُكَارَى
فَأَشْعَلْتُ وَجْدِي حَتَّى اسْتَنَارَا
رَوَّاحِلَهَا فِي بُرَاهَا تَبَارَى
بِشَعْنِ تَمُدُّ الْأَكْفَافَ افْتِقَارَا
بِأَفْلَاكِ أَفُقٍ تُسَمَّى قِفَارَا
جَرَى كَاسِمِهِ دَمْعُ عَيْنِي ابْتِدَارَا
عَلَى الْوَجْدِ فِيهَا ضُلُوعاً حِرَارَا
إِلَيَّ الثَّقَا وَالْتَمَسْتُ الدِّيَارَا
عَلَى الْمُضْطَفَى وَالْتَمَسْتُ الْجِدَارَا
إِلَيْهِ سَلَاماً وَأُبْدِي الْوَقَارَا

مِنَ الْمُوقِدَاتِ جِمَارَ الْهَوَى
سَفَكْنَا الدُّمُوعَ بِهَا وَالْدَّمَا
وَلِلَّهِ جَمْعٌ وَجَمْعِي بِهَا
وَمَوْقِفُنَا وَالْدُّجَى مَسْكَةٌ
وَقَدْ فَجَّرَ الْفَجْرَ [نَهْرًا] النَّهَارِ
أُمُّ الْقُرَى⁽¹⁾ هَلْ لِبَذْلِ الْقُرَى
وَلَكِنْ ذُنُوبِي أَطْلَنَ انْتِزَاحِي
وَكَمْ حُجَّةٍ أَضْبَحْتَ حُجَّةً
بِنَفْسِي رَكْبٌ بِبَرْحِ الْهَوَى
صَحِبَتْهُمْ وَالْدُّجَى فَاحِمٌ
فَلِلَّهِ عَيْنٌ أَمْرِيءُ أَبْصَرَتْ
طَوَالَعَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقِ
أَهْلَةً سَيْرٍ تُسَمَّى مَطَايَا
وَلَمَّا أَتَيْنَا نَوْمَ الْعَقِيقِ⁽²⁾
وَأَسْرَى إِلَى الْحَرَّةِ⁽³⁾ الصَّبُّ يَطْوِي
وَأَنْضَيْتُ ثُوبَ الْهَوَى إِذْ دَنَا
وَعِنْدَ الْمُصَلَّى أَعَذْتُ الصَّلَاةَ
وَأَقْبَلْتُ أَهْدِي بَبَابِ السَّلَامِ

(1) أم القرى: مكة المكرمة.

(2) العقيق؛ واد قريب من مدينة الرسول(ص) ورد ذكره في الحديث النبوي. (انظر باب التمتع بالعمرة، سنن ابن ماجه: 2/991، كتاب المناسك) وقد أفاض في تتبع مسمياته أبو جعفر الرعيني في كتابه «طراز الحلة»: 157-159. والعقيق أيضاً: حجر كريم أحمر يعمل منه فصوص.

(3) الحرة: موضع بظاهر المدينة المنورة، وبها كانت وقعة الحرة في عهد يزيد بن معاوية.

وَقُلْتُ أَيَا نَفْسِي لَا تَجْزَعِي
فَإِنَّ الشُّفَاعَةَ قَدْ أُوجِبَتْ
وَهَذَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ الَّذِي
رَسُولُ أَتَى رَحْمَةً لِلْوَرَى
رَفِيعُ الْمَنَاسِبِ عَمَّا وَخَالًا
نَمَثُهُ إِلَى الْغُرِّ مِنْ هَاشِمٍ
وَكُثُرُ الْمَعَالِي [إِذَا] الْمَجْدُ نَزَرَ
وَقَدْ رَجِمَ اللَّهُ أَزْحَامَهَا
فَلَوْ زَارَهُ الْبَذْرُ بَانَ لَهُ
شَفِيعٌ إِذَا النَّارُ نَارُ الْجَحِيمِ
وَلَوْ لَا حَيَا الْعَيْثِ أَضَحَّتْ هَشِيمًا
لِمَوْلِدِهِ جَلٌّ مِنْ مَوْلِدِ
وَإِيوَانٌ كَسَرَى تَدَاعَى سُقُوطًا
وَحُقِّ لِيذِي الْعَقْلِ حُسْنُ افْتِكَارِ
وَلَا حَتَّ لِأَمْنَةٍ أُمُّهُ
وَيَا حُسْنَهَا بَعْدَ إِذْ جَاءَهَا!
وَأَزَحَّتْ سُثُورًا عَلَيْهَا الْعَمَامُ
وَشُقِّ لَهُ الْبَذْرُ نِصْفَيْنِ لَمَّا
وَصُبِّحَا أَشَارَ لِأَضْنَامِهَا

وَلَا تَسْأَمِي لِلْخَلَاصِ انْتِظَارًا
لِكُلِّ امْرِئٍ ذَلِكَ الْقَبْرِ زَارًا
يُقِيلُ الْعِثَارَ وَيَزَعَى الْجَوَارَا
عَلَى حِينِ خَافُوا بَوَاحًا بَوَارَا
مَنْبِيعُ الْجَوَانِبِ أَهْلًا وَجَارَا
مَحَايِدُ طَالَتْ وَطَابَتْ نِجَارَا
إِذَا زَهْرَةُ الْحَمْدِ أَغْلَتْ فَخَارَا
بِئُورٍ أَضَاءَ وَمَا إِنْ تَوَارَى
مِنَ الشَّمْسِ عَنْهُ الْقُصُورُ اضْطَرَارَا
أَقَامَتْ شَرَارًا وَلَقَّتْ شَرَارَا
خَمَائِلُ زَهْرِ شَذَاهَا اسْتِدَارَا
خَبَتْ نَارُ فَارِسَ وَالْمَاءُ غَارَا⁽¹⁾
فَأَبْدَى انْكِسَارًا وَذَلَّ افْتِقَارَا
إِذَا مَا أَبَى الْعَقْلُ إِلَّا افْتِكَارَا
قُصُورٌ بِبُضْرَى⁽²⁾ تَرَاءَتْ قَرَارَا
يُصَاحِبُ فِي الْبَيْدِ قَوْمًا تَجَارَا
تَمَارَى بِمَكَّةَ مَنْ قَدْ تَمَارَى
تَمَارَى بِمَكَّةَ مَنْ قَدْ تَمَارَى
فَظَلْتُ سَوَاقِطَ لَمَّا أَشَارَا

(1) استهلال للمعجزات التي توردها كتب السيرة حول الخوراق التي حدثت قبيل وأثناء وبعد ميلاده - عليه السلام - وهي من الموضوعات التي تحفل بها المولديات. (انظر ظاهرة المدائح النبوية).

(2) بصرى: قرية بالشام تنسب إليها السيوف البصرية. (اللسان: بصر).

وَأَلْقَى أَتَامِلَهُ فِي الْإِنَاءِ
وَلَوْ قَاضٍ حِسًّا كَمَا قَاضٍ مَعْنَى
هُوَ الْقَاتِلُ الْمَحْلُ لَمَّا دَعَا
وَأَرْسَلَهَا فِي بُرُودِ النَّسِيمِ
وَحَنَّ لَهُ الْجِذْعُ يَوْمَ النَّوَى
وَجَاءَتْ لَهُ الشَّجَرُ الْعَادِيَاتُ
وَلَمَّا قَضَتْ حَقَّهُ أَسْرَعَتْ
وَسَلَّمَ حَبْرًا⁽²⁾ عَلَيْهِ الْحِجَارُ
وَسَبَّحَ فِي الْكَفِّ مِنْهُ الْحَصَا
فَأَتْبَعَ مِنْهَا مِيَاهَا غَزَارًا
نَدَاهُ، لَفَاقَ الْبَحَارَ انْفِجَارًا
فَصَيَّرَ فِي الْغَابِرِينَ الْغِبَارًا⁽¹⁾
جَوَارِي سُحْبٍ هَوَيْنَ ابْتِكَارًا
حَنِينَ الرَّوَاحِلِ تَحْوِي الْعِشَارَا
تَجَرُّ عُرُوقًا مُلِئْنَ ثَمَارَا
بِرُجْعَى امْتِثَالًا لَهُ وَائْتِمَارَا
فَأَبْهَجَ أَهْلَ الْحِجَا وَالْحِجَارَا
فَمَا كَفَّ لَكِنْ أَخَا الْبِرِّ بَارَى
(وهي طويلة اقتصرنا على هذا القدر منها)⁽³⁾

42

وله من قصيدة(*) : [طويل]

لَقَدْ مَرَّ شَهْرُ الصَّوْمِ عَنْكَ مُؤَدِيًا
وَمَا أَمْطَرْتَ فِيهِ السَّحَابُ وَإِنَّمَا
وَحَسْبُكَ مِنْ ضَيْفٍ كَرِيمٍ قَرِيْنَتُهُ
وَمِنْهَا :
تَنَاءَ كَمَا هَبَّ النَّسِيمُ الْمُعْطَرُ
بَكَى أَذْمَعًا خَوْفَ النَّوَى تَتَحَدَّرُ
مِنْ الْبِرِّ أَعْمَالًا إِلَى اللَّهِ تُذْخِرُ

وَذِي لُجْبٍ زَارَ السَّبِيكَةَ⁽⁴⁾ فَانْتَثَتْ
بِنِيرَانٍ كَرَاتِ الْخُيُولِ تَشْحَرُ

(1) الغبار : صفة لموصوف محذوف، أي السنوات الغبراء، والسنة العبراء : الجذبة.

(2) حبر حبرًا - بتحريك الباء :- ابتهج ونضر، وتسكن في البيت لاستقامة الوزن.

(3) التعليق لصاحب الجدوة.

(*) مختارات ابن عزيْم : 28.

(4) السبيكة في أصلها اللغوي : كتلة من الذهب أو الفضة مصبوبة على قوالب أو قضبان مستطيلة الشكل . وفي اصطلاح الأندلسيين تطلق على مدرج يقع جنوب شرقي الحمراء، كثر ذكره في

وَلَا حَتَّ لَنَا أَغْلَامُكَ الْحُمْرُ تَنْتَشِي بِهَا السَّمُرُ فِي أَطْوَادِهَا حِينَ تُنْشَرُ
وَمَا كُنْتُ أَذْرِي أَنَّ لِلدَّهْرِ قَبْلَهَا تَوَرَّدَ خَدُّكَ كَانَ بِالْحُسْنِ يَقْطُرُ

43

وقال في التورية(*) : [طويل]

كُمَاةٌ تَلَاَقَتْ تَحْتَ نَقْعِ سَيْوِفِهِمْ وَلِلْهَامِ رَقْصٌ كُلَّمَا طَلِبَ الثَّارُ
فَلَا عَزَوْا أَنْ عَنَّتْ وَتِلْكَ رَوَاقِصُ فَبَيْنَهُمْ فِي مَازِقِ الْحَرْبِ أَوْتَارُ

44

وقال من قصيدة بعث بها إلى سلطان الأندلس(**) : [طويل]

دَعُّوا أَذْمُعِي شَوْقاً لِلْفَيَاكُمُ تَجْرِي فَإِنِّي فِي حُبِّي لَكُمْ رَابِحُ التَّجْرِ⁽¹⁾
وَأَهْدُوا لَنَا رُوحَ الْعُذِيبِ وَبَارِقِ وَلَكِنْ مِنَ الرِّيقِ الْمُعْطَرِ وَالثُّغْرِ⁽²⁾
وَلَا تَبْتَغُوا مِنِّي السُّلُوفَ فَإِنِّي سَأَسْأَلُو سُلُوءَ الْبَانِ عَنْ وَاكِفِ الْقَطْرِ
وَأَتْرُكُ تَهْيَامِي بِكُمْ وَصَبَابَتِي كَمَا تَرَكَ الْحَادِي السُّرَى لَيْلَةَ الثُّفْرِ

أشعار العصر وقد كانت به مقبرة عتيقة دفن فيها محمد بن الأحمر مؤسس الدولة النصرية، ويقول الأستاذ عنان إن الأسبان قد استحدثوا فيه بستاناً عظيماً به طرق صاعدة ويتخلله الماء المتدفق من الجداول والنوافير. (نهاية الأندلس : 292).

(*) الكتيبة : 268، والإحاطة : 1\349.

(**) الكتيبة : 261. وفي «مختارات ابن عزيم» عشرون بيتاً منها، في الصفات : 26، 27، 49، 54، وفيه إعجاب بها جعله يسميها بـ«روضة المحاسن» (ص. 26) ولكننا لم نحصل على نصها متكاملًا في مصدر واحد.

(1) التجر: التجارة.

(2) العذيب: ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة، وبارق: موضع قريب من الكوفة، كما أنه اسم لقبيلة من اليمن. (اللسان: عذب، برق).

وَأَتَسَاكُمُ لَكِنْ كَمَا نَسِيَ الْهَوَى
فَيَا صَاحِبِي نَجْوَايَ مِنْ آلِ عَامِرٍ⁽²⁾
وَيَا مُثْقَلَ الْخِذْرِ الَّذِي قَذَفْتُ بِهِ
دَعْوَتَكَ فَاحْلُلْ بَيْتَ قَلْبِي زَائِرًا⁽⁴⁾
وَبِالسَّجْفِ فِي الْحَيِّ الْمُمْتَعِ غَادَةٌ
مُنْعَمَةٌ لَذَّ الشَّقَاءِ بِحُبِّهَا
وَلَوْ صَدَعْتُ قَلْبِي وَحَيْثُ بِوَجْهِهَا
بِوَادِي الْعُضَى حَلْتُ وَلَكِنْ مِنَ الْحَشَا
وَأَسْنَدَ وَجْدِي مِنْ أَحَادِيثِ حُسْنِهَا
فَلَمْ تَرَوْ يَوْمًا عَنْ نَمُومٍ سِوَى الشَّدَا
إِذَا لَمْ أَشَاهِدْ رَبْعَهَا كُلَّ لَيْلَةٍ

عَلَى النَّأْيِ قَيْسٌ وَابْنُ مَعْمَرٍ الْعُذْرِي⁽¹⁾
أَلَا نَادِمَانِي بِالْغَرَامِ مَدَى عُمْرِي
أُمُونُ تُبَارِي الرِّيحَ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ⁽³⁾
بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ لِلْبَيْتِ ذِي الْحَجَرِ⁽⁵⁾
يَبِيتُ بِهَا نَجْمُ السَّمَاءِ عَلَى دُغْرِ
وَلَوْ أَنَّهَا تُبْدِي هَجِيرًا مِنَ الْهَجْرِ
لَقُلْتُ: صَبَاحَ دُونَهُ صَدْعَةُ الْفَجْرِ
وَشُعْبِ الثَّقَا لَكِنْ مِنَ السَّخْرِ وَالنَّخْرِ⁽⁶⁾
غَرَائِبَ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالٍ وَلَا فِكْرٍ⁽⁷⁾
وَلَمْ تَرَوْ يَوْمًا عَنْ ضَعِيفٍ سِوَى الْخِضْرِ⁽⁸⁾
فَإِنَّكَ يَا إِنْسَانَ عَيْنِي لَفِي حُسْرِ⁽⁹⁾

(1) قيس: أشهر من عُرف بالهوى ممن اسمه قيس، هو مجنون ليلي قيس بن الملوّح وهو شاعر غزل اختلف الناس في وجوده. له ديوان مطبوع. (ترجمته في: الأغاني 1\2 ط. دار الكتب)، وفوات الوفيات: 136\2، وخزانة البغدادي: 170\2). أما ابن معمر العذري: فهو صاحب بثينة جميل بن معمر العذري (ترجمته في الأغاني).

(2) آل عامر: قوم مجنون ليلي.

(3) الأمون المطية المأمونة لا تعثر ولا تفتت (وسيط: أمن).

(4) في مختارات ابن عزم: فائزا.

(5) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم: 37).

(6) الغضى: شجر من الأثل أصلب من الخشب. وأهل الغضى: أهل نجد لكثرتهم في ديارهم. والنقا: الكتيب من الرمل.

(7) في مختارات ابن عزم (ص. 49): فأسند.

(8) في المصدر السابق:

فلم يرو يوماً عن نوم سوى الشدا ولم يرو يوماً عن ضعيف سوى النشر.

(9) هذا الشطر مما استعاره من قصيدة أخرى له هي التالية في هذا الديوان، ورقم البيت فيها: خمسون.

وَمِمَّا أَثَارَ الْوَجْدَ جِيدَ أَمَالِنِي
وَتَغَرُّ ثَنَانِي الرُّدَّ عَنْ لَثْمِ دُرِّهِ
نَسِيْتُ وَلَا أَنْسَى مَعَاهِدَ بِالْحِمَى
إِذَا انْتَصَبَتْ دَوْحَاتُهَا خَفَضَتْ بِهَا
وَقَدْ جَرَّهَا نَفْحُ الصَّبَا بَعْدَ رَبْعِهَا
عَجِبْتُ لِنَبْتٍ وَسَطُهَا وَهُوَ بَاقِلٌ
وَرُبَّ رِيَاضٍ بِالْغُؤَيْرِ تَزَيَّنَتْ
وَأُخْرَى بِذَاتِ الْجَزَعِ طَيِّ ظِلَالِهَا
وَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ
كَأَنَّ بُرُوقَ الْجَوْ نَارَ تَلْهَبَتْ
إِذَا مَا التَّقَى فِي نَهْرِهَا سَاكِنَانِ مِنْ
مُجَرَّرَةٍ ذَيْلِ التُّسِيمِ طُرُوبَةٍ
تَرَى الْغَيْثَ فِيهَا بَاكِياً مُتَعِيراً
مُعَانِقَةً مِنْ قُضْبِهَا كُلِّ أَهْيَفٍ
تَكَادُ، لَعْمَرِي، فِيهِ كُلُّ حَمَامَةٍ
وَكَمْ سَاعَدَتْهَا وَهْيَ بِالشَّرْبِ بَرَّةٌ
بِقَطْرِ النَّدى قَطْرُ النَّدى وَسَطُهَا افْتَدَى
فَمَنْ عَاذِرِي مِنْ حَيْرَتِي وَتَوَلَّيْ
أَعَادَتْ لِي الشُّوقَ الْقَدِيمَ مَيَاهُهَا

بِوَسْوَاسِ حَلِيٍّ، مَالِكٍ فِي الْهَوَى أَمْرِي
كَأَنَّ رَقِيبِي قَدَمَ الرَّاءِ مِنْ دُرٍّ
يُمَثِّلُهَا فِكْرِي وَيَلْزُمُهَا ذِكْرِي
غُصُونًا قَرَاهَا الْغَيْثُ فِي الْوَرَقِ الْخَضِرِ
كَأَنَّ نُسَيْمَاتِ الصَّبَا أَحْرَفُ الْجَرِّ
يَخِيْمُ بِهِ قُسٌّ عَنِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
بِنَضْرِ نَبَاتٍ غَاصَ فِي مَائِهَا الْعُمَرِ
نَعِمْتُ بِهِ يَقْظَانِ فِي سِنَّةِ الْعُمَرِ
حَبْنًا بِمِغْطَارِ الشَّدَا أَرْجِ النَّشْرِ
وَمَا ازْفَضَ مِنْ جُنْحِ الدُّجَى عَنَبَرُ الشُّخْرِ
قَضِيبٍ وَمِنْ حَضْبَاءِ حُرْكَ بِالْكَسْرِ
وَلَا طَرَبَ الْحَادِي بِذِي الْأَثْلِ وَالسُّدْرِ
إِذَا ضَاعَ مِنْ أَكْمَامِهِ مُورِجُ الزَّهْرِ
وَلَا هَيْفَ الْأَعْطَافِ فِي الْحُلْلِ الْحُمْرِ
تَشِبُّ عَنِ الطُّوقِ اِزْتِيَاحًا عَلَى الذِّكْرِ
وَمَا بِرُّهَا بِالْبِدْعِ كَلَاءً وَلَا التُّكْرِ
فَمَا نَامَ لَمَّا نَامَ ذُو الْكَأْسِ وَالْوَتْرِ
إِذَا سَفَرَتْ مِنْهَا الْمَحَاسِنُ لِلْسَّفْرِ
«وَسَقَنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَذْرِي وَلَا أَذْرِي»⁽¹⁾

(1) تضمين لعجز بيت من شعر علي بن الجهم (ديوانه: 141، تحقيقه خليل مردم، ط. 2، لجنة

كَأَنِّي عَلِيٌّ⁽¹⁾ وَالْعُيُونُ الَّتِي رَنَتْ
 أَلَا يَا نَدِيمًا حُتَّ مِسْكِيَّةَ الشَّدَا
 تُرَاجِعُهَا أَيْدِي السُّقَاةِ كَأَنَّهَا
 نَشَدْتُكَ هَلْ غُضُنُ الرِّيَاضِ ابْنُ هَانِيءٍ
 وَهَلْ بُلْبُلُ الدَّوْحَاتِ يَخْيِي بَنُ أَكْثَمِ
 وَهَلْ أَهَدَتِ الْأَزْهَارُ عَاطِرَ نَفْحِهَا
 مِنْهَا فِي الْمَدِيحِ:

إِمَامُ الْهُدَى جَزُلُ الرَّدَا شَرَكُ الْعِدَى
 كَرِيمُ اللَّهِ، زَاكِي النَّهْيِ، مَجْدُهُ انْتَهَى
 إِذَا هُوَ أَجْرَى الطَّرْفِ وَالطَّيْلُ صَائِلٌ
 تَرَى الْغَيْثَ فَوْقَ الْبَرْقِ وَالرَّعْدُ قَاصِفٌ
 وَمِنْهَا:

إِذَا شَكَّ بِالْخَطِّي دِرْعَ مُنَازِلٍ
 أَرَى أَسْمَرَ فِي أَرْزَقٍ فَوْقَ أَبْيَضٍ
 وَمِنْهَا:

(1) هو علي بن الجهم صاحب البيت المضمن: شاعر عباسي، له ديوان شعر مطبوع.

(2) صدر بيت لابن الجهم تقدم عجزه.

(3) الدير: هو بيت الرهبان والراهبات. دارين: موضع ترفاً فيه السفن المحملة بالمسك. (اللسان: دور).

(4) في مختارات ابن عزم: 54: بسوبات. وسابات: هو سابات كسرى بالمداين، كان حُبس فيه النعمان بن المنذر. كما أنه اسم موضع ورد في شعر الأعشى (اللسان: سبط). وفي شعر ابن هانيء أو أبي نواس ذكر لسابات ضمن ما ذكره من أماكن اللهو.

(5) هذا البيت والأبيات الثمانية بعده مما اختصت به «مختارات ابن عزم» 26-27.

وَأَصْبَحَ مِنِّي الْكُلُّ وَالْبَغْضُ رَاوِيًا
فَقَلْبِي عَنْ رُوحٍ وَعَنْ نَائِلٍ يَدِي
ومنها:

فَلَوْ أَلَفَ الشُّوقُ الَّذِي قَدْ لَقِيْتُهُ
وَلَوْ أَنَّ دَمْعِي، إِذْ نَأَيْتَ، مُجْمَعٌ
وَمَاذَا عَسَى يُنْهِي لَكَ الْعَبْدُ إِنَّمَا
ومنها:

فَيُضْفِي لَدَيْنَا بُرْدَ حَامٍ مِنَ الْعُلَا
يَعْمُ الْوَرَى مِنْ كَوْمِهِ وَعُلُومِهِ
فَيُخَيِّ بِنَشْرِ الْجُودِ مَيْتًا مِنَ الْغِنَى
وَيُبْدِي بِوَضْلِ الْعِلْمِ صُبْحًا مِنَ الْهُدَى
هُمَامٌ إِذَا مَا صَالَ أَوْ جَالَ فِي الْوَعَى
رَفِيعٌ عِمَادِ الْبَيْتِ رَحْبٌ فِنَاوُهُ
حَكَى سَيْفُهُ يَوْمَ الضُّيُوفِ مُهْلِهْلًا
مُقِيمٌ عَلَى دِينِ السَّمَاخَةِ وَالْتَدَى
إِذَا هُوَ أَعْطَاهَا دَنَانِيرَ رُشْحَتْ
يُورِّخُ ذُو الْأَمْدَاحِ مِمَّا جَنَّتْ بِهِ

أَحَادِيثُ نِعْمَاكَ الَّتِي شَرَّفَتْ قَدْرِي
وَعَنْ مَرْحَبِ أَذْنِي وَعَيْنِي عَنْ بَشْرِ

حَكَى بِأَسْكَ الْمَشْهُورِ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
حَكَى جُودَكَ الْمَبْذُولِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
وَكَلْتُكَ لِلْحُبِّ الْقَدِيمِ الَّذِي تَذْرِي]

وَيُضْفِي عَلَيْنَا بُرْدَ سَامٍ مِنَ الْفَخْرِ
فَهَذِي لِمَنْ يَقْرَأَ وَهَذِي لِمَنْ يَقْرِي
وَيُزْدِي بِطَيِّ الْبُخْلِ حَيًّا مِنَ الْفَقْرِ
وَيُخْفِي بِقَطْعِ الْجَهْلِ لَيْلًا مِنَ الْكُفْرِ
فَلَيْتَ لِمُغْتَرٍّ وَعَيْتَ لِمُغْتَرٍّ
عَظِيمُ رَمَادِ النَّارِ مُغْتَبِطُ الْوَفْرِ
فَلَمْ يُبْقِ بَعْدَ النَّابِ⁽¹⁾ حَيًّا عَلَى بَكْرِ
وَبَذَلَ التَّدَى وَالْفَضْلَ فَرَضَ عَلَى الْحُرِّ
بَلَوْنِ مُحِبٍّ فِي الْهَوَى خَالِجِ الْعُذْرِ⁽²⁾
يَدَاهُ تَوَارِيخُ السَّعَادَةِ وَالنُّصْرِ⁽³⁾

(1) في رواية أخرى: النأي.

(2) هذا البيت والذي يليه في: مختارات ابن عزيم: 26.

(3) في رواية ابن عزيم: «يداه توارىخ السعادة بالصفرة» وهو أنسب لذكر اللون في البيت السابق.

ولله دره إذ يقول(*) : [طويل]

أَتَتْكَ وَقَدْ هَزَّ الدَّجَى مَضْجِعَ الْفَجْرِ
وَأَبْهَجَتِ الْأَبْصَارَ وَالْحُسْنَ مُبْهَجٍ
وَكَمْ سَتَرَ الْبَذْرُ الْمُنِيرُ وَوَجْهَهَا
وَجُلِّيَ جُنْحُ اللَّيْلِ لَمَّا بَدَتْ لَنَا
وَحَيْثُ وَقَدْ [لَذَّ الشَّرَى]⁽¹⁾ سَحَرًا لَنَا
وَمِنْ عِظْفِهَا إِذْ طَابَ نَشْرًا فَعَطَّرَتْ
وَمَالَتْ عَلَى الرُّوضِ النَّضِيرِ فَرَأَقْنَا
وَجَادَ هَوَى بِي، وَالْهَوَاءُ الَّذِي لَهُ
وَجَدَتْ بِعَرْضِ الْبِيدِ سَيْرًا فَبَرَّحَتْ
وَمَا رَاعِنِي إِلَّا الْقَبَابُ كَأَنَّهَا
وَأَسْرَابُ غَزْلَانٍ عَرْضَنَ⁽³⁾ سَوَانِحًا
وَمَا بِي إِلَّا أَعْيُنُ بِسْهَامِهَا
مُنْصَلَّةٌ بِالْغُنْجِ وَالْهَذْبِ رِيْشُهَا
وَرَكِبَ سَرَوْا وَاللَّيْلُ قِطْعَةً عُنْبِرٍ
سَوَابِحُ فِي بَحْرِ السَّرَابِ وَإِنَّمَا
إِذَا أَطْلَعُوا عُوجَ الْمَطِيِّ أَهْلَةً

بِكَأْسَيْنِ مِنْ رِيْقِ بَرُودٍ وَمِنْ خَمْرِ
بِذَّرَيْنِ مِنْ عِقْدِ نَفِيسٍ وَمِنْ ثَغْرِ
بِلْيَلَيْنِ مِنْ جُنْحِ بَهِيمٍ وَمِنْ شَعْرِ
بُتُورَيْنِ مِنْ وَجْهِ جَمِيلٍ وَمِنْ بَذْرِ
بُصْبَحَيْنِ مِنْ أَضْوَاءِ أَفْقٍ وَمِنْ بَشْرِ
بِطَيِّبَيْنِ مِنْ مِسْكِ يَضُوعٍ وَمِنْ نَشْرِ
بِغُضْنَيْنِ مِنْ قَدْ وَمِنْ فَنَنِ نَضْرٍ⁽²⁾
بِغَيْثَيْنِ مِنْ دَمْعٍ يَصُوبُ وَمِنْ قَطْرِ
بِنَارَيْنِ فِيهَا مِنْ هَجِيرٍ وَمِنْ هَجَرٍ
كَمَائِمُ رَوْضٍ يَنْطَوِيْنَ عَلَى زَهْرِ
وَلَا بُدَّ مِنْ مَرْعَى فَكَانَ مِنَ الصَّدْرِ
رَمَتْ ذَا الْهَوَى الْعُذْرِيَّ مِنْ غَيْرِ مَا عُذْرٍ
تُطَاوِلُ قَوْسَ الْحَاجِبَيْنِ بِهَا دُعْرِي
تَضُوعٌ إِذَا جَلَّى لَنَا الْبَرْقُ عَنْ جَمْرِ
مَعَادِنُ دُرِّ اللَّفْظِ فِي ذَلِكَ الْبَحْرِ
حَسْبَتْهُمْ مِنْ فَوْقِهَا أَنْجُمُ تَسْرِي

(*) المزاين : 12 ب .

(1) في الأصل : لذي الشرى .

(2) في الأصل : نظر . والنبات النضر : ذو الرونق والبهجة .

(3) في الأصل : عرضنا . وعرضن سوانحاً : أي مررن من مياسر القادم إلى ميامنه فولته ميامنها ، وذلك مصدر يُمن وبركة عند العرب .

وَلَمْ أَنْسَ بِالشُّعْبِ الْيَمَانِي مَوْقِفِي
وَقَدْ حَمَلْتُ فِيهَا السَّحَابُ كَأَنَّهَا
تَبَابِعَةٌ مِنْ آلِ يَغْرُبُ⁽²⁾ قَادَةٌ
مِنَ الْمُتَّقِينَ اللَّهُ إِنْ نَذَرُوا فَهُمْ
بُدُورٌ غُلَا مِنْ آلِ خَزْرَجٍ أَذْكَرُوا
هُمْ خَيْرُ أَمْلَاكِ الزَّمَانِ وَخَيْرُهُمْ
وَإِنْ يَكُ مِنْهُمْ فَهَوَ فَوْقَهُمْ غُلَا
وَقَدْ جَاءَ فَضْلٌ فِي لَيْالٍ كَثِيرَةٍ
وَلِلَّهِ جَيْشٌ أَبْهَجَتْنا⁽⁶⁾ خِيُولُهُ⁽⁷⁾
وَمَرُّوا صَبَاحاً وَالسَّيِّكَةُ كَاسِمِهَا
وَقَدْ صَعَدَتْ فِي الْجَوِّ آيَةٌ طَبْلَةٌ

عَلَى دِمْنٍ يَزْفُلْنَ فِي حُلَلٍ خَضِرٍ
مَدَامِعُ عَيْنِي أَوْ عَطَايَا بَنِي نَضْرٍ⁽¹⁾
لَهُمْ مَا لَهُمْ مِنْ مَكْسَبِ الْعِزِّ مِنْ وَفَرٍ
عَلَى أَكْمَلِ الْحَالَاتِ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ⁽³⁾
أَجَلٌ عُهْدٍ فِي حُنَيْنٍ وَفِي بَذْرِ⁽⁴⁾
مُحَمَّدَ الْمَحْمُودُ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
وَأَشْرَفُهُمْ، وَالْكُلُّ دُو⁽⁵⁾ شَرَفٍ كَثِيرٍ
وَمَجْمُوعُ ذَاكَ الْفَضْلِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ
بِمَا رَاقَ مِنْ كَرٍّ وَشَيْكٍ وَمِنْ فَرٍّ
بِمَا بَذَلْتُ⁽⁸⁾ تَجْرِي لِتُرِيحَ لِي تَجْرِي⁽⁹⁾
تُحَاكِي عُمُودَ الْفَجْرِ أَسْفَرَ لِلْسَفْرِ⁽¹⁰⁾

(1) بنو نصر: أسرة الممدوح محمد الغني بالله، وهم حكام غرناطة منذ حوالي سنة 635هـ إلى سنة 898هـ.

(2) التبابعة: لقب سلاطين ملوك اليمن متمى بني نصر من طريق سعد ابن عبادة الخزرجي. ولذا كان هذا النسب محور مدائح سلاطينهم.

(3) اقتباس قرآني من: سورة الإنسان: 7.

(4) حنين وبدر: من أشهر الوقائع الحربية بين المسلمين والكفار في عهد الرسول(ص).

(5) في الأصل: ذي.

(6) في الأصل: أنهجتنا، والتصحيح عن مختارات ابن عزم: 56.

(7) في المزاين: خيولهم، وما أثبتناه من رواية ابن عزم.

(8) مختارات ابن عزم: بددت.

(9) المختارات:

وأحسبهم قد شاركوني في الوغى فحلبتهم تجري لتريح في تجر

والحلبة: جماعة الخيل تُعدُّ للسباق، وقد وردت في المزاين: «حليتهم».

(10) في المختارات: أشرف للسفر.

وَأَنحَوْ عَلَيَّهَا بِالْعِصِيِّ كَأَنَّهَا
 مِنَ الطَّبَلَاتِ اللَّائِي مَا زَالَ كَسَرُهَا
 وَضَارِبُهَا يَوْمَ الْوُفُودِ عُقُوقُهُ
 فَذَلِكَ مِنْهُ لِلْجِهَادِ تَدْرُبُ
 وَقَدْ جَالَ نَقْعُ الْخَيْلِ فِي جَنَبَاتِهَا
 وَيَوْمَ سِبَاقِ الْخَيْلِ أَبْصَرْتُ ضَمَرًا
 وَقُلْتُ بُرُوقٌ فِي دِيَاجٍ وَإِنَّمَا
 وَكَرُّوا بِهَا حُمْرًا مُجَلَّلَةً فَلَمْ
 وَكُلُّ كُمَيْتٍ جَاءَنَا كَسَمِيهِ
 وَمَا سَدَّ نَقْعُ الْخَيْلِ أَفْقًا وَإِنَّمَا
 وَقَالُوا بَدَا وَشْيٌ عَلَى الْحَطَبِ⁽³⁾ الَّذِي
 فَقُلْتُ لَعَلَّ الْعَالِيَّ مُحَمَّدًا
 فَعَادَتْ لَهُ الْأُورَاقُ وَالتَّاجُ زَهْرُهُ
 وَإِنْ كَانَ وَشْيًا فَاغْجَبُوا لِخَلِيفَةِ
 وَقُولُوا وَبَعْضُ الْقَوْلِ يَشْفِي صُدُورَنَا
 أَحَتَّى حُطَامَ الْأَرْضِ أَصْبَحَ كَاسِيًا
 وَقَضِرَ بَنَاهُ خَيْرُ بَانَ فَلَمْ يَكُنْ
 عَجَائِبُهُ فَوْقَ الْعَجَائِبِ إِنَّهَا

بُرُوقٌ وَلَكِنْ بِالْبُرُوقِ غَدَتْ تُزْرِي
 لَدَى الْبَطْلِ الْأَحْمَى يُعَدُّ مِنَ الْجَبْرِ
 وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى يُعَدُّ مِنَ الْبِرِّ
 سَيَشْفِي⁽¹⁾ بِهِ الْحِزْبُ الَّذِي دَانَ بِالْكَفْرِ
 كَمَا جَالَ فِي الْأَفْكَارِ مَعْنَى مِنَ الشُّعْرِ
 كَمَا طَارَ فِي الْبَيْدَاءِ سِرْبُ الْقَطَا الْكَدْرِ
 شَهِدْتُ اخْتِلَاطَ الشُّهْبِ مِنْهُمْ بِالْضَفْرِ
 أَرَّ شَفَقًا مِنْ قَبْلِهَا زَيْنَ بِالْفَجْرِ
 فَأَطْرَبَ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ مِنْ وَزْرِ
 رَأَى الشَّمْسَ قَدْ خَافَتْ⁽²⁾ فَتَابَ عَنِ السُّرْرِ
 أَتَى خَيْرَ مَنْ يَقْرِي الضُّيُوفَ وَمَنْ يَقْرِي
 سَقَاهُ بِغَيْثٍ مِنْ مَوَاهِبِهِ ثَرَّ
 كَوَشِي لَهُ صَنْعَاءُ بَاتَتْ عَلَى ذُكْرِ
 نَدَاهُ لِبُطْلَانِ الثَّدْيِ بِالثَّدْيِ يُغْرِي
 وَيُعْرِبُ عَمَّا فِي الْجَوَانِحِ مِنْ سِرِّ
 لَهَا، وَأَرَاهَا رِفْعَةَ الشَّانِ وَالْقَدْرِ
 يُضَاهِيهِ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ مِنْ قَضِرِ
 عَجَائِبُ⁽⁴⁾ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالٍ وَلَا فِكْرِ

(1) في المزاین: سيشقى، والتصحيح عن المختارات.

(2) خافت: كذا، وفي المختارات: جدت، وأحسب أن الصحيح: حَدَّثَ - بالهاء المهملة - أي بلغت النهاية في الحرارة.

(3) في الأصل: الخطب، والتصحيح عن المختارات: 57.

(4) المختارات (58): غرائب.

حَكَتْ أَرْضُهُ أَفُقَ السَّمَاءِ فَزَهَرُهَا
وَحِلْنَا مُنِيرَ الصُّبْحِ هَامَ بِحُبِّهِ
إِذَا لَمْ أَشَاهِدْهُ وَأُبْصِرْ جَمَالَهُ
وَعَهْدِي بِجَارِي الْمَاءِ⁽³⁾ يَسْفُلُ دَائِمًا
وَهَا هُوَ يَغْلُو لِلْسَّمَاءِ تَشْرِفًا
وَأُقْسِمُ لَوْلَا وَجْهُ خَيْرِ خَلِيفَةٍ
وَلَكِنَّهُ لَمَّا بَدَا خَرَّ سَاجِدًا
وَحِلْتُ الَّذِي يَغْلُو مِنَ الْمَاءِ غَاذَةً
وَأَعْجَبَهَا رَقْصٌ فَحِينَ تَمَايَلَتْ
وَيَا حُسْنَهَا لِلنَّاظِرِينَ بُحَيْرَةٌ⁽⁵⁾!
كَأَنَّ الصَّبَا فِيهَا يَخُطُّ مَدَائِحًا
وَقَدْ خَلَتْهَا أُمُّ الْبُحَيْرَةِ مُرْضِعًا
وَحَشَّتْهَا الْبَيْضَاءُ نَهْدٌ بِصَدْرِهَا
وَيَا لَكَ مِنْ قَضَرٍ مَشِيدٍ مُقْضَرٍ
بِهِ هَزْ أَعْطَافَ الزَّمَانِ وَأَهْلَهُ
وَلَمَّا رَأَى الْإِغْدَارَ زَادَ مَحَاسِنًا

يُثُوبُ، بِلَا شَكٍّ، عَنِ الْأَنْجَمِ الزُّهْرِ
فَأَبْقَى⁽¹⁾ عَلَيْهِ لَوْنُهُ أَبَدَ الدَّهْرِ
فَإِنَّكَ يَا إِنْسَانَ عَيْنِي لَفِي خُسْرِ⁽²⁾
فَيَخْنُو عَلَيْهِ الشَّارِبُونَ إِذَا يَجْرِي
بِمُجْرِيهِ مَسْرُورًا بِمَا نَالَ مِنْ فَخْرِ
لَمَّا مَكَّنَ الْوَرَادُ مِنْ عَذْبِهِ الْعُمَرِ
وَأَهْدَى حُبَابًا زَادَ فَضْلًا عَلَى الدُّرِّ
أَتَتْ عُرْسًا تَزْهَى بِهِ مُدَّةَ الْعُمَرِ
تَسَاقَطَ حَلْيٌ جَالَ عَنْهَا وَلَمْ تَذِرْ⁽⁴⁾
بِهَا رُكْعُ الْأَغْصَانِ بَاتَتْ عَلَى طَهْرِ
حِسَانًا، فَمِنْ سَطَرٍ يَضُمُّ إِلَى سَطَرٍ
عَلَى ظَهْرِهَا اسْتَلَقْتُ، وَيَا لَكَ⁽⁶⁾ مِنْ ظَهْرِ!
لَهُ لَبَنٌ يَغْلُو بِدُرٍّ عَلَى دُرٍّ
بِلَيَّانٍ كَسَرَى مُزْدَرٍ هَرَمَنِي مَضْرٍ!
صَنِيعٌ لَهُ خَضِرٌ وَنَاهِيكَ مِنْ خَضِرٍ!
كَعَلِيَاءِ بَانِيهِ تَجَلُّ عَنِ الْحَضِرِ

(1) المختارات: فالقى.

(2) إشارة إلى الآية الكريمة: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ». (العصر: 2). ورواية الشطر الأول في المختارات: «إذا لم أشاهد حسنه وجماله».

(3) في المختارات (55): يجري الماء.

(4) في المختارات: «فأعجبها». و«تساقط حلي زال...».

(5) في المختارات: البحيرات.

(6) في المختارات: وقد جل.

وَأَعْجَبُ مِنْ صَبْرِ الْأَمِيرِ وَسِئُهُ
 أَمِيرٌ لَهُ فَضْلٌ سَيُرَوَى حَدِيثُهُ
 وَلَا زِلْتُ فِينَا يَا ابْنَ نَضْرٍ مُؤَيِّدًا
 وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّذِي
 قَضَى مِثْلَهُ أَلَّا يُطَالَ بِالصَّبْرِ
 بِذِي الْحَجَرِ الْمَنْصُوبِ لِلْثَمِّ وَالْحَجَرِ⁽¹⁾
 مِنَ اللَّهِ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ وَبِالنَّضْرِ
 هُوَ الْأَهْلُ كُلُّ الْأَهْلِ لِلْحَمْدِ وَالشُّكْرِ

46

ومن ذلك قوله المعجب - رحمه الله تعالى (*) -: [طويل]

وَلَمَّا أَتَتْ أَرْضَ الْعَدُوِّ جُيُوشُهُ
 وَلَمْ أَرَ إِلَّا الْخَيْلَ صُفَّتْ صُفُوفُهَا
 وَجَالَ عَلَى الْآفَاقِ مُسَوِّدٌ نَقْعُهَا
 وَسَالَ دَمٌ فِي كُلِّ دِرْعٍ مُفَاضَةٌ
 وَجَدَلَتِ الْأَبْطَالُ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ
 تَيَقَّنْتُ أَنَّ الْحَزْبَ ضَرَبَ مِنَ السَّحْرِ
 فَقُلْتُ: عُقُودٌ قَدْ نُسِفْنَ عَلَى نَحْرِ
 فَقُلْتُ: طُرُوسٌ زَانَهَا الْخَطُّ بِالْحَبْرِ
 فَقُلْتُ: نَثِيرُ الْوَرْدِ أَلْقَى فِي نَهْرِ
 فَقُلْتُ: نَدَامَى لَمْ [يَفِيقُوا]⁽²⁾ مِنَ السُّكْرِ
 ومنها:

وَيَارُبُّ يَوْمٍ خِلْتُ فِيهِ رِمَاحَهُ
 وَخَيْلَ لِي أَنَّ السُّيُوفَ مَبَاسِمٌ
 قُدُودٌ عَذَارَى جُلْنَ فِي حُلَلٍ حُمْرٍ
 فَقَبَّلْتُهَا وَالْغَيْدُ يَضْحَكُنْ فِي إِثْرِي

47

وخطب السلطان في هذا الغرض بكثير من المنظوم، فمن ذلك قول الشيخ
 القاضي المفلق الشهير، أبي إسحاق بن الحاج (*) -: [طويل]

(1) المختارات: فيا لك.

(2) في الأصل: وناهاك، وهو تصحيف.

(3) الْحَجَرُ: الأسود بالكعبة المشرفة. و«الْحَجَرُ»: حجر إسماعيل في أحد جوانب الكعبة.

(*) المختارات: 55-56. وقد أورد هذه الأبيات عقب الرائية السابقة ولكن النص لا يوحى بعلاقته
 بالموضوعات العامة في سابقه، ولا يشعر نص «المزاین» بنقص بين أجزاءه، ولذا جعلته نصاً
 مستقلاً.

هَنِيئًا كَمَا حَيَّا الْحَيَّا أَوْجَهَ الزُّهْرِ
وَنُعْمَى أَتَتْ تَثْرَى كَمَا وَافَتْ الصَّبَا
وَحُسْنَى أَتَتْ فِي إِثْرِ حُسْنَى كَمَا أَتَى
وَأَقْبَالَ مَلِكٍ رَاقٍ بِالْعِزِّ تَاجَهُ
وَعَضْرَ عَدَا يَفْتَرُ بِالسَّغْدِ ثَغْرَهُ
وَأَيَّامَ أَنْسٍ قَدْ مَحَتْ كُلَّ وَخْشَةٍ
وَأَذْرَاكَ آمَالٍ مَلَكْتَ قِيَادَهَا
سَمَتْ بِكَ أَفْلَاكَ الْخِلَافَةِ رَاقِيَا
وَوَاقَعَتْ بِالْحَرْبِ الشَّقِيَّ الَّذِي بَغَى
وَضَمَّكَ بَيْتُ الْمُلْكِ أَبْلَجَ أَزْهَرَا
وَسُرَّتْ بِكَ الدُّنْيَا وَرَاقَ جَمَالُهَا
وَجَالَ إِلَيْكَ النَّضْرُ فِي حُلْلِ الرُّضَى
وَيَهْنِيكَ عَيْدٌ بِالسَّعَادَةِ وَالْمُنَى
وَجَاءَكَ لِلْأَعْيَادِ فِي الْفَضْلِ سَابِقَا
وَقَدْ ذَهَبَتْ بِالْأَمْنِ كُلُّ مَسَاءَةٍ
وَلِلَّهِ فَتَحْ قَدْ طَرَبْتُ لَوْقَتِهِ

وَبُشْرَى كَمَا جَلَّى الدُّجَى وَضَحَ الْفَجْرِ
فَجَرَّتْ ذُبُولَ الرُّوضِ عَاطِرَةَ النَّشْرِ
إِلَى الرُّوضِ إِثْرَ الْغَيْثِ مُنْسَكِبُ النَّهْرِ
كَمَا رَاقَ تَاجُ الْأَفْقِ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ⁽¹⁾
كَمَا افْتَرَّ ثَغْرُ الْكَأْسِ عَنْ حَبِّ الْخَمْرِ
كَمَا قَدْ مَحَا صُبْحُ الرُّضَى لَيْلَةَ الْهَجْرِ
كَمَا مَلَكَ السَّاقِي قِيَادَ أَخِي الشُّكْرِ
كَمَا قَدْ سَمَا فِي أَوْجِهِ طَائِرُ النَّشْرِ
كَمَا قَدْ بَغَى شُرَّ الْبُعَاةِ عَلَى الصَّفْرِ
كَمَا ضَمَّتِ الْأَصْدَافُ كَشْحًا عَلَى الدَّرِّ
كَمَا رَاقَ مَنْسُوقُ الْحُلِيِّ عَلَى النَّخْرِ
كَمَا جَالَ غُضُنُ الرُّوضِ فِي الْوَرَقِ الْخُضْرِ
كَمَا عَادَ بُرْدُ الْعَضْبِ لِلطَّيِّ وَالنَّشْرِ
كَمَا سَبَقَ الْأَمْلَاكُ دَوْمًا بَنُو نَضْرِ⁽²⁾
كَمَا ذَهَبَتْ شَيْمًا الْإِمَارَةُ بِالْبَشْرِ
كَمَا طَرَبَتْ نَفْسُ الْجَوَادِ إِلَى الشُّكْرِ

(1) في الأصل: يفقن.

(*) النفاضة: مخ. خ. ع: 135-138، والنص المحقق: 176\3-178. والسلطان هو: محمد الخامس ابن يوسف النصري، أما الغرض المشار إليه فهو تهنئة السلطان بإخماد الثورة التي قادها الدليل البرمكي، ومدحه على العفو الذي صدر عنه عقب القبض على زعمائها.

(2) تقوم كل أبيات هذه القصيدة على التشبيه، وأداة الشبه فيها هي «كما»، وقد التزم الشاعر بعد الأبيات الثلاثة الأولى بوضعها في مستهل الإعجاز، وذلك مظهر من مظاهر الزخرفة في شعر النميري له نظائر أخرى.

هَزَزْتَ [بِهِ]⁽¹⁾ الدُّنْيَا فَدَلَّ عَلَى الْعُلَا
وَأَضْبَحْتَ فِي الْحَمَرَاءِ تَسْكُنُ رَبْعَهَا
حَرِيصاً عَلَى الْجُودِ الْمُوَاصِلِ وَالنَّدَى
فَلَا شَخْصَ إِلَّا وَهُوَ جَذْلَانُ فَارِحٍ
وَيَا ابْنَ أَبِي الْحَجَّاجِ لِلْسَّغْدِ يُهْتَدَى
إِمَامَ رِضَى⁽²⁾ قَدْ جَاءَ فِي الْقُضْلِ أَوَّلًا
بِبَذْلِ النَّدَى وَالْبَاسِ يُعْرِفُ دَائِمًا
هُمَامَ يَزِينُ الْأَرْضَ نَفْعُ جِيَادِهِ
يَحُومُ عَلَى فَيْضِ التَّجِيعِ حُسَامُهُ
إِلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَتَى الْمَلَا
وَحَنَّتْ لِرُؤْيَاكَ الْقُلُوبُ مَحَبَّةً
وَعَادَتْ بِكَ الدُّنْيَا إِلَى الْخَفْضِ وَالْغِنَى
وَكُنْتَ لِفَيْضِ الْجُودِ أَضْلًا وَلِلْعُلَى
وَإِنِّي بِالْأَمْدَاحِ فِيكَ لَمَوْلَعٌ
وَإِنِّي بِالشَّعَارِ قَدْ جِثْتُ مُتَحِفًا
بِمَقْدَمِكَ⁽³⁾ الْمَيْمُونِ أَرَّخْتُ أَسْعُدِي
وَأَنْتَ الَّذِي صُنْتَ الْوَرَى وَحَمَيْتَهُمْ
وَأَضْبَحْتَ بِالسَّيْفِ الْمُطَاوِلِ غَالِبًا

كَمَا دَلَّ مَرْقُوبُ الْهَلَالِ عَلَى الشَّهْرِ
كَمَا سَكَنَ الْقَلْبُ الْمُؤْمَنُ فِي الصَّدْرِ
كَمَا حَرِصَتْ نَفْسُ الْبَخِيلِ عَلَى الْوَفْرِ
كَمَا خَرَجَ الْحَجَّاجُ فِي لَيْلَةِ النَّفْرِ
كَمَا يَهْتَدِي الضَّلَالُ بِالْكُوكَبِ الدُّرِّي
كَمَا جَاءَ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِ السَّطْرِ
كَمَا تُعْرِفُ الْأَنْهَارُ بِالْمَدِّ وَالْجَزْرِ
كَمَا زُيِّنَتْ بِيضُ الْقَرَّاطِيسِ بِالْحَبْرِ
كَمَا حَامَ ظِمَانٌ عَلَى مَوْرِدِ غَمْرِ⁽³⁾
كَمَا قَدْ أَتَى الْحَجَّاجُ شَوْقًا إِلَى الْحَجْرِ
كَمَا حَنَّتِ الْوُزْقَاءُ لَيْلًا إِلَى الْوَكْرِ
كَمَا عَادَ سِرُّ الْعَاشِقِينَ إِلَى الْجَهْرِ
كَمَا كَانَ ضَوْءُ الشَّمْسِ أَضْلَ السَّنَا⁽⁴⁾ الْبَدْرِي
كَمَا وَلَعَ الْأَبْطَالُ بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ
كَمَا أَتَحَفَ الْجَمَّالُ يَثْرَبُ بِالثَّمْرِ
كَمَا أَرَّخَ الرُّومُ التَّوَارِيخَ بِالصَّفْرِ
كَمَا قَدْ حَمَى رَبُّ الثَّقَى جَانِبَ الصَّبْرِ
كَمَا يَغْلِبُ الْيُسْرَانِ بِالشَّرْعِ لِلْعُسْرِ

(1) في الأصل: بنو النصر.

(2) في الأصل: بها.

(3) في الأصل: إمام رضى. وبه يخلط الوزن.

(4) في الأصل: عمر - بالعين المهملة ..

(5) في الأصل: سنا.

وَلَكِنْ عَلَى عَفْوٍ جُيِلَتْ تَكْرُماً
فَلَا زِلْتُ فِي بُزْدِ السَّعَادَةِ رَافِلاً
وَدَامَ لَكَ الْعِزُّ الْمُجَدِّدُ وَالْعُلَى
كَمَا دَامَ حُبُّ الْعُزْبِ لِلنَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ
كَمَا جُيِلَتْ نَفْسُ الْجَبَانِ عَلَى الدُّعْرِ
كَمَا تَرَفَّلُ الْحَسَنَاءُ فِي حُلَلِ الْخَمْرِ

48

في رثاء الطيب ابن عمار(*) : [طويل]

أَلَا أَسْعِدَا عَيْنِي عَلَى الشَّهْدِ وَالْبُكََا
وَأَبْدَى الرَّدَى فَتُكُ ابْنِ عَبَّادٍ إِذْ سَطَا
فَقَدْ وَاصَلَ الشَّهْدَ الْمُبَرِّحَ تَذْكَارِي
فَلَا غَرَوْ أَنْ أَبْكِي لِفَقْدِ ابْنِ عَمَّارٍ

49

وقال مما يكتب في الترس(**) : [طويل]

أَنَا التُّرْسُ قَدْ أُنْشِئْتُ⁽¹⁾ بِالْأَمْرِ عُدَّةً
فَلَاقُوا بِي الْأَعْدَاءَ فِي زَخْفِهِمْ وَلَا
تُبَالُوا بِقَرْعِ الزُّرْقِ وَالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
فَفِي اسْمِي كَمَا شَاهَدْتُمْ أَحْرَفُ السَّتْرِ
لِيَوْمِ جِهَادِ مُطْلِعِ غُرَّةِ النَّضْرِ
وَلَا تُنْكِرُوا سَنْرِي لِمَقْتَلِ حَامِلِي

50

وقال، وقد توفي أبو يحيى أبو بكر صاحب تونس وولي ابنه أبو حفص عمر
بعد قتله لإخوته(***) : [طويل]

وَقَالُوا أَبُو حَفْصٍ حَوَى الْمُلْكَ غَاصِباً
وَإِخْوَتُهُ أَوْلَى وَقَدْ جَاءَ بِالنُّكْرِ

(1) في الأصل : بمقدمك .

(*) النفح : 118\6، ولم أجد ترجمة لهذا الطيب الذي رثاه الشاعر باقتراح ابن جزي، وقد ورى عنه
بابن عمار شاعر المعتمد ووزيره وصديقه الذي هلك على يديه .

(**) النفح : 118\7-119 .

(2) في النفح : «أنشأت» ولا يبدو له وجه مقبول .

(***) الإحاطة : 349\1، والنفح : 112\7 . وتفاصيل الخبر من وفاة السلطان أبي بكر الحفصي وولاية
ابنه أبي حفص في : العبر : 452\6-454، ومنها تنكيهه بأخويه خالد وعزوز .

فَقُلْتُ لَهُمْ كُفُّوا فَمَا رَضِيَ الْوَرَى سَوَى عُمَرِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِ أَبِي بَكْرٍ

51

و [من شعره] قوله (*) : [وافر]

وَذُنْبِي طَرَّ عَارِضُهُ وَأَغْفَى عَذَاراً بَعْدُ يَزْهُو بِاخْضِرَارِ
رَأَى سَقَمًا بِمُقْلَتِهِ فَوَاقَى بِأَسِ عَادَ لَكِنْ مِنْ عَذَارِ

52

وقوله (**) [طويل]

أَتُونِي بِنَمَامٍ مِنَ الرُّوضِ يَافِعِ سَقَتُهُ الْعَوَادِي كُلَّ أَسْجَمٍ مِذْرَارِ
فَلَا عَزَوْ أَنْ أَضْلَيْتُهُ نَارَ زَفَرَتِي وَحُكْمَ عَلَى النَّمَامِ الْإِلْقَاءِ فِي النَّارِ

53

وقوله (***) : [خفيف]

هَذِهِ الشَّمْسُ بِالْحِجَابِ تَوَارَتْ بَعْدَ نُورِ لَهَا وَرَحْبِ وَبِشْرِ
وَأَتَى اللَّيْلُ بِالنَّسِيمِ عَلِيلاً فَهُوَ يَمْشِي مِنْ أَفْقِهِ لَاتِينَ زُهِرِ

54

وقال مضمناً، وقد حضر الفتى الكبير عنبر قتالا، وكان فارساً مذكوراً عند
بني مرين: (****) : [كامل]

(*) النفع : 113\7 .

(**) النفع : 113\7 .

(***) النفع : 113\7 . وعلق المقرئ على البيتين فقال : «يعني بذلك الوزير الكبير الشهير الطبيب ابن
زهر الأشبيلي الأندلسي، فإنه كان وحيد دهره في الطب . فجاءت التورية بسبب ذلك محكمة إلى
الغاية» .

(****) الإحاطة : 349\1 .

وَلَقَدْ أَقُولُ وَعَنْبَرٌ ذَاكَ الْفَتَى
يَا عَاثِرِينَ لَدَى الْجِلَادِ لَعًا فَقَدْ⁽¹⁾
يَلْقَى الْفَوَارِسَ فِي الْعَجَاجِ الْأَكْوَرِ
بَسَقَتْ لَكُمْ رِيحُ الْجِلَادِ بِعَنْبَرِ

55

قال المقرئ: وله فيما أظن: [كامل]

لَهُ شَفَّةٌ أَضَاعُوا النَّشْرَ فِيهَا^(*)
فَمَا أَشْهَى لِقَلْبِي مَا أَضَاعُوا
بِأَثْمِ حِينَ سَدَّتْ ثَغْرَ بَذْرِ
لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ⁽²⁾

56

وقال^(**): [كامل]

هُنَّ الْبُدُورُ تَغَيَّرَتْ لَمَّا رَأَتْ
رَاحَتْ تُحِبُّ دُجَى شَبَابٍ مُظْلِمٍ
شَعَرَاتِ رَأْسِي آذَنْتِ بِتَغْيِيرِ
وَعَدَتْ تَعَاْفَ ضَحَى مَشِيْبِ نَيْرِ

57

وقال، بعد إقلاع سيل أَلَمَ بمحلة الأمير أبي عنان في أثناء رحلته^{(***):}
[بسيط]

يَاخِرَ مَلِكٍ بِهِ الدُّنْيَا قَدْ ابْتَهَجَتْ
قَدْ حَنَّتِ الشَّخْبُ مِنْ شَوْقِ إِلَيْكَ وَلَمْ
وَخَيْرَ مُعْتَصِدٍ فِيهَا وَمُنْتَصِرٍ
تَشْعُرُ بِذَلِكَ إِذْ جَاءَتْ عَلَى قَدَرٍ
وَاسْتَشْعَرْتُ أَنَّنَا لَمْ نَدْرِ مَا قَصَدَتْ
فَأَرْسَلْتُ سَيْلَهَا يَسْعَى عَلَى الْأَثَرِ
فَقَبَّلَ الْأَرْضَ إِعْظَاماً وَأَوْسَعَهَا
لَثْماً وَلَمْ يَطُورِ مِنْ كَشْحٍ عَلَى ضَرَرِ

(1) لعا: صوت معناه الدعاء للعائر بأن يرتفع من عثرته.

(*) النفع: 2\535، والوافي: 6\40.

(2) هذا المصراع للعرجي. (انظر الأغاني: 1\413 ط. دار الكتب).

(**) الوافي بالوفيات: 6\40.

(**) فيض العباب: 90-91.

سَرِيرَةٌ ظَلٌّ يُبْدِيهَا وَيُظْهِرُهَا مِنْ الْمَحَبَّةِ حَتَّى جَاءَ بِالْعَبْرِ
فَاعْجَبْ لِمَاءِ غَدَا يُخْفِي سَرَائِرَهُ مَعَ الصَّفَاءِ وَيُبْدِيهَا مَعَ الْكَدْرِ
لَا زِلْتَ فِي الْعِزِّ وَالسَّعْدِ الْمُجَدِّدِ مَا وَافَى الْحَجِيجُ لِقَصْدِ الْحَجْرِ وَالْحَجْرِ

58

وقال (*) : [كامل]

وَالطَّاعِنَاتُ⁽¹⁾ قُدُودُهُنَّ بَنَى الْوَعَى بَيْنَ الصُّوَارِمِ وَالْقَنَا الْخَطَّارِ
فَكَأَنَّمَا الْأَجْفَانُ أَجْفَانُ الظُّبَا وَكَأَنَّمَا الْأَشْفَارُ حَدُّ شِفَارِ

(*) فيض العباب: 74. ويبدو من سياق عرضهما أنهما كانا ضمن مساجلات بين يدي أبي عنان فارس المريني، الذي استحسّن البيت الثاني للشاعر وأولاه القبول.

(1) في الأصل: والطاعنات، ولا يستقيم به المعنى ولا الإعراب في بقية الشطر.

وله أيضاً^(*): [كامل]

يَا ثَالِثَ الْقَمَرَيْنِ أَنْتَ الْمُعْجِزُ
 لِّلَّهِ طَيْفُكَ إِذْ أَلَمَ وَلِلدُّجَى
 وَالشُّهْبُ تَجَنَّحُ لِلْغُرُوبِ كَأَنَّهَا
 حَتَّى بَدَا الصُّبْحُ الْمُنِيرُ كَرَايَةٍ
 وَذَكَتْ كَعَرْفِكَ رَوْضَةً أَزْهَارُهَا
 وَالْقُضْبُ كَالْأَلْفَاتِ، سَاجِعُ وَزْقِهَا
 وَالْوَزْدُ فِيهَا أَوْجَةٌ مُخَمَّرَةٌ
 وَيَأْيُمُنِ الْأَثَلَاتِ رَبِّعٌ مَاحِلٌ
 رَبِّعٌ عَفْنُهُ الرِّيحُ إِلَّا جُثْمًا
 عَهْدِي بِهِ وَالْعَيْشُ صَفْوٌ وَالصَّبَا
 [وَيُزْهِنِي ذَاكَ]⁽²⁾ التَذَلُّلُ فِي الْهَوَى

حُسْنًا، وَأَنْتَ لِيذَا وَذَاكَ مُعَزَّرُ
 بُرْدٍ بِإِيْمَاصِ الْبُرُوقِ مَطَرَرُ
 أَسْرَارُ حُبِّ خَوْفٍ وَاشِ تَرْمُزُ
 بَيَضَاءٍ فِي هَضْبَاتِ نَجْدٍ تَرْكُزُ
 عَنْ زُهْرِ شُهْبِ الْأَفْقِ لَا تَتَمَيِّزُ
 مِنْ فَوْقِهَا هَمَزَاتُهَا إِذْ تَبْرُزُ
 خَجَلًا، وَتَرْجِسُهَا عُيُونُ تَغْمِزُ
 نَسْيَانُهُ وَالصَّبْرُ كُلُّ مُعْوِزُ
 نَارُ الْأَسَى لِحَنَابِهَا تَتَحَيَّرُ
 أَنْفٌ⁽¹⁾ وَمَوْعِدُ كُلِّ أَنْسٍ مُنْجَزُ
 فَتَذَلُّلِي فِي الْعَاشِقِينَ تَعَزُّزُ

(*) مزاين القصر: ق 14.

(1) الأنف، ج. أنوف: ويطلق عادة على المرأة الطيبة رائحة الأنف خلقة، وعلى الرجل الشديد الأنف، ومن الإطلاق الأول استعير للصبا.

(2) في الأصل: «ويرهني تلك»، ويناسب الزهو ذلك التعزز الذي قابل به التذلل. ولا وجه لتأنيث اسم الإشارة.

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى السُّيُوفِ، لَوَاحِظٌ⁽¹⁾
وَرِمَاحُ أَغْطَافٍ تَهْزُ بِمَازِقٍ
وَكَأَنَّمَا بِيضُ الْقَبَابِ كَمَائِمٍ
وَكَأَنَّمَا عُوجُ الْمَطِيِّ أَهْلَةٌ
وَكَأَنَّمَا الْعُشَّاقُ خَلْفَ حُدَاتِهَا
وَعَلَى عَيَارَى⁽³⁾ الْحَيِّ إِنْ هَزُّوا الْقَنَا
وَتَخَيَّلُوا لَيْلَى هِيَ الْبَذْرُ الَّذِي
مَيَّاسُ قَدْ جَالَ بَيْنَ بُرُودِهَا
لَمْ أَدْرِ هَلْ مِنْ ثَغْرِهَا أَمْ أَدْمُعِي
وَلَقَدْ تَفَضَّ حَدِيثُهَا عَنْ جَوْهَرٍ
لَكِنْ مَدِيحُ مُحَمَّدٍ مَلِكِ الْوَرَى
مَوْلَايَ مُعْطَى مُلْكِ رَبِّي فَسَيِّدِي
مَلِكِ الْمُلُوكِ وَمُحَرِّزِ الْمَجْدِ الَّذِي
خَيْرُ السَّلَاطِينِ الْكَرَامِ مُمَدِّحُ

أَبْدَأُ تَكُرُّ عَلَى النُّفُوسِ وَتُجْمِرُ⁽²⁾
أَهْلَ الْهَوَى أَبْطَالُهُ لَا تُخَجِّرُ
وَالْغَيْدُ أَزْهَارُ تُصَانُ وَتُخَرَّرُ
فِي لَيْلٍ نَفْعٍ بِالْبُرُوقِ تَحَقَّرُ
وَزَقُّ لَهْنٍ بِشَجْوِهِنَّ تَمَيِّزُ
بَشْرَى⁽⁴⁾ بِلَبَّاتِ الْفَوَارِسُ تُعَرِّزُ
يُنْمَى إِلَيْهِ تَبَرُّجٌ وَتَبَرُّزُ
خُوطٌ لَعَمْرِي لَيْسَ فِيهِ مَعْمَرُ
عِقْدٌ يُلُوحُ بِجِيدِهَا إِذْ، تَبَرُّزُ
يَضْبُو إِلَيْهِ الْجَوْهَرُ الْمُتَحَيِّزُ
أَشْهَى لِقَلْبِي أَطْنَبُوا أَوْ أَوْجَزُوا
بَلْ قَدَرُهُ أَعْلَى وَوَصْفِي مُعْجَزُ
قَدْ جَلَّ مِقْدَاراً وَجَلَّ الْمُخَرِّزُ
أَتْنَى عَلَيْهِ مُقْصَدٌ وَمُرَجَّزُ

(1) لواحظ بالرفع: على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (وهي لواحظ) والجملة الفعلية بعدها صفة لها. والجملة الاسمية في موقع الحال. ويمكن أن تنصب على أنها حال مفردة، أو بالنصب على نزع الخافض، ولكن الرواية لم تنصبها.

(2) تجمر: تسير سيرا قريباً من العدو، وفي حاشية المخطوط شرح لغوي لهذه الكلمة جاء فيه أن «الجمز: ضرب من السير، ولولا هذا الشرح لقرأتها «تجهز» للتقارب في الرسم بين الكلمتين ولأن مهمة السيوف أن تجهز على العدو فترديه قتيلاً، أما الجمز فمن صفات الدواب، ولعل المعنى الأول هو مراد الشاعر.

(3) في الأصل: عيارى - بالعين المهملة ..

(4) الشرى: التتابع والمبالغة، تقول شرى البرق أي تتابع لمعانه، والقنا تهتز بشرى أي: الرماح تتتابع بسرعة.

وَأَمَامَ كُلِّ إِمَامٍ هَذِي لَمْ يَكُنْ
 أَمَّا الْمَعَالِي فَهِيَ غَيْرُ نَوَاشِرٍ
 وَالْعِلْمُ أَجْمَعُ فِي يَدَيْهِ مَلَائِكُهُ
 ذُو الْجِدِّ إِنْ تَنَبُّو السُّيُوفَ فَسَيَفُهُ
 ذُو السَّعْدِ قَامَ مَقَامَ كُلِّ كَتِيبَةٍ
 أَمْدَاخُهُ الْحُسْنَى تُوشِي دَائِمًا
 مَسَكُ الْمُهَنْدِ وَالْيَرَاعِ فَقِرْنُهُ
 وَحَمَى الْبِلَادَ وَزَادَ أَمْنًا أَهْلَهَا
 بَادِي السَّمَاحَةِ فَاضِلٌ مُتَفَضِّلٌ
 مِنْ أَسْرَةِ غُرِّ الْوُجُوهِ خَلَائِفُ
 مِنْ آلِ قَحْطَانَ الَّذِينَ هُمْ هُمْ
 أَزْوَالُ أَيَّامِ الْحُرُوبِ شِعَارُهُمْ
 الْقَوْمُ كُلُّ مِنْهُمْ مُتَسَابِقٌ
 وَهُمْ الَّذِينَ تَوَارَثُوا الشَّرْفَ الَّذِي
 وَمُحَمَّدٌ فِيهِمْ أَجَلُ خَلِيفَةٍ
 أَسَدَيْتَهَا نِعْمًا زَكَتْ وَمَوَاهِبًا
 فَلَدَيَّ أَرْحَبُ حَيِّزٍ لَوْفُودِهَا
 وَوَعْدَتَنِي وَغَدَاً فَمِثْلِي يَرْتَجِي

لَوْلَا تَعَزُّزُ قَدْرِهِ يَتَّعَزُّزُ
 عَنْهُ [وَأ]⁽¹⁾ يَطْلُبُهَا سِوَاهُ فَتَنْشُرُ
 وَإِذَا يُدَارُ فَمَا سِوَاهُ الْمَرْكَزُ
 مَاضٍ عَلَى كُلِّ الْعُدَاةِ مُفَوِّزُ
 مِلءِ الْأَبَاطِحِ لِلْحُرُوبِ تَجَهُّزُ
 بِيضِ السُّيُوفِ كَمَا انْتَقَتِ وَتَطَرَّرُ
 مِنْ ذَا وَذَاكَ لَهُ اسْتَمَرَّ تَحَرُّزُ
 قَدْنَا الْبَعِيدُ وَوُطْنِ الْمُسْتَوْفِرُ
 فِيهِ وَإِلَّا فِي الْمَدِيحِ تَحَوُّزُ
 تَتَضَاءَلُ الشُّهْبُ الْعَلَا إِنْ يَغْتَرُّوا
 وَالْخَيْلُ تَعْجَلُ لِلنِّزَالِ وَتَحْفِرُ
 طَعْنُ عَلَى الْقُدَمِ الْفَوَارِسِ مُجَهِّزُ⁽²⁾
 فِي حَلْبَةِ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ مُبَرِّزُ
 يُغْنِي مَائِرَهُ الزَّمَانُ وَيَكُنِزُ
 وَأَغْرُ نَذْبٍ بِذُلِّهِ لَا يُغَوِّزُ⁽³⁾
 بِالْفَقْرِ مَنْ خَلَصَتْ لَهُ لَا يُنْبِرُ
 أَبَدًا، وَلِلْحَمْدِ الْمُواصِلِ حَيِّزُ
 إِنْجَارُهُ كَرَمًا وَمِثْلُكَ⁽⁴⁾ يُنْجِرُ

(1) في الأصل: فيطلبها.

(2) الأزوال: الشجعان، يزول الناس من شجاعتهم. والقدم من الرجال: الشجاع.

(3) الأغر من الرجال: السيد الشريف وكريم الفعال. والندب: الظريف النجيب.

(4) في الأصل: ومثله.

وقوله (*) : [مقارب]

أَجْزَنِي بَوَضِّلٍ عَلَى مَذْحَتِي فَلِي فِيكَ مَذْخٌ يُدَوِّي عَزِيزًا
وَإِنْ كُنْتُ لِي فِي الْوَرَى مَالِكًا فَمَا مَالِكٌ⁽¹⁾ مِثْلُهَا لَنْ يُجِيزَا

(*) مسالك الأبصار: 17\215.

(1) مالك: يريد مالك بن أنس، رأس المذهب المالكي، وفي الأسلوب تورية بين صاحب الملك مطلقاً والإمام المذكور.

وقال أيضاً(*) : [بسيط]

يَا لَأَيْمِي فِي الْهَوَى كَلَّفْتَنِي شَطَطًا
وَلِي بِأَهْلِ الْحَمَى، يَذْرِي الْحَمَى⁽¹⁾، كَلَّفَ
وَمَا اضْطَبَّارِي وَقَدْ زُمْتُ رَحَائِلُهُمْ
وَهَاجَ وَجْدِي رَكَبَ رَافِعٍ حُدْجًا
وَعَطَّرَ الْجَوَّ مِنْهُ أَيُّ طِيبٍ شَدَا
وَأَغْصَنُ الْبَانِ قَدْ مَالَتْ لَهُ طَرَبًا
وَالْوُزُقُ فِي الْغُضَنِ قَدْ غَنَّتْ لَهُ فَرَحًا
وَالرَّيْحُ رَفَّتْ لِمَسْرَاهُ فَمَا بَرِحَتْ
وَالْوَزْدُ لَمَّا أَتَاهُ أَحْمَرٌ مِنْ خَجَلٍ
وَالْغَيْثُ لَمَّا سَرَى وَافَاهُ مُنْسَكِبًا
أَوْ دُرٌّ مَدْحِي لِمَوْلَانَا الْإِمَامِ أَبِي
دُرٍّ بَبِيضِ طُرُوسِي ظَلْتُ أَلْقَطُهُ
أَعْلَى الْمُلُوكِ الَّذِي جَلَّتْ مَوَاهِبُهُ
سَمِيَّ خَيْرِ نَبِيِّ قَامَ مُنْتَصِرًا
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحَجَّاجِ أَكْرَمُ مَنْ

وَأَيْنِي بِالْهَوَى مَا زِلْتُ مُغْتَبِطًا
وَطُولُ مَبْكِي عَلَى عَهْدٍ بِهِ فَرَطًا
وَلِلتَّرْحُلِ حَادِي الْعَيْسِ قَدْ نَشَطًا
بِهِنَّ جُنْحُ الدُّجَى فِي الْبَيْدِ قَدْ خَبَطًا
بِكُلِّ رُوحٍ، لَعَمْرِي رُوحُهُ اخْتَلَطًا
لَمَّا أَتَى مَثَلُ مَا نَفَرْتُ سِرْبَ قَطَا
[بِعَوْدِهِ]⁽²⁾ حِينَ وَافَى مُغْمِلًا لِيُخْطَى
عَلِيلَةً خِلْتُهَا قَدْ أَعْيَتْ الْخُلَطَا
وَحَدَّهُ إِذْ مَشَى فِي الْأَرْضِ قَدْ بَسَطَا
كَأَنَّهُ دُرٌّ عَفْدٍ فِي الثَّرَى سَقَطَا
عَبْدُ الْإِلَهِ الَّذِي أَعْلَى لِي الْخِطَطَا
فَزَانَ بَبِيضِ طُرُوسِي خَيْرُ مَا لُقِطَا
تِلْكَ الَّتِي لَمْ تَدَعِ يَأْسًا وَلَا قَنَطَا
لِدِينِهِ، وَأَعَزُّ الْأُمَّةِ الْوَسَطَا
زَكَا وَأَقْسَطَ فِي حُكْمٍ وَمَا قَسَطَا

(*) مزاین القصر: ق 15.

(1) في الأصل: الحمأ، وجملة (بدرى الحمى) معترضة.

(2) في الأصل: به، وقد أثبت بكلمة تسد نقص الوزن وتقارب نقص المعنى.

أَوْلَادُهُ خَيْرُ أَوْلَادٍ لَهُمْ شَرَفٌ
 غُرٌّ مَيَّامِنْ أَمْجَادٍ أَكَارِمَةٌ
 شُبُولٌ أَجْرَاءٌ⁽²⁾ لَيْثٌ لِلْقِتَالِ دَعَا
 وَأَنْجَمٌ قَدْ نَمَاهَا لِلْعُلَا قَمَرٌ
 مُصَحَّحٌ صُحْفًا لِلْمَجْدِ لَا غَلْثًا⁽³⁾
 مَا زَالَ عَمَّنْ أَرَادَ الْفُحْشَ مُنْقَبِضًا
 مُبَارَكٌ لَمْ يَزَلْ لِلْمَدْحِ مُكْتَسِبًا
 رَبُّ الْمَعَارِفِ مُبْدِي كُلِّ مُعْجَبَةٍ
 مُؤَيَّدُ الْعِزِّ مِنْ أَهْلِ الْحُرُوبِ دَنَا
 أَجَلُ مَوْلَى لَزِمْنَا شُكْرَ أَنْعَمِهِ
 وَقَدْ كَشَفْنَا مِنَ الْمَدْحِ الْبَدِيعَ لَهُ

بُحْبُوحَةُ الْفَخْرِ كُلُّ الْفَخْرِ قَدْ وَسَطًا⁽¹⁾
 عَلَى عِدَاهُمْ إِلَهُ الْخَلْقِ قَدْ سَخِطًا
 وَفِي الْوَعَى لِلْأَعَادِي الْكَافِرِينَ سَطًا
 مِنْ وَالِدٍ لِلْعُلَا فِي مُلْكِهِ اشْتَرَطًا
 أَبْقَى بِهَا [لَا]⁽⁴⁾ وَلَا أَبْقَى بِهَا غَلَطًا
 وَلِلْأَلَى بَلَّغُوهُ الْمَدْحَ مُنْبَسِطًا
 وَلِلْقَضَاءِ بِهِ مَا زَالَ مُرْتَبِطًا
 مُعَاجِلٌ بِصَوَابٍ نَحْوُ كُلِّ خَطَا
 وَعَنْ رُبُوعِ بَنِي الرَّاحَاتِ قَدْ شَحَطًا⁽⁵⁾
 فَالْكُلُّ مِنَّا بِذَاكَ الشُّكْرِ قَدْ غُبِطًا
 عَنْ كُلِّ وَجْهِ فَمِسْكُ الْحَبْرِ قَدْ نَقَطًا

(1) وسط الشيء: صار في وسطه. والحببوحه من كل شيء: خياره.

(2) في الأصل: أجرى.

(3) الغلث: الخلط.

(4) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.

(5) شَحَطَ بَعُدَ. وضبطت في الأصل بالبناء للمفعول.

وله أيضاً^(*): [كامل]

أَزْرَتْ بِقُسٍّ حِينَ حَلَّ عُكَاطَا
وَتَنَاوَلَ الذَّاكِي الشَّدَى [قَدْ]⁽²⁾ عَطَّرَتْ
مَلِكُ الْمُلُوكِ اللَّيْنَيْنِ شَمَائِلًا
وَمُحَمَّدٌ نَجْلُ الْخَلِيفَةِ يُوسُفِ
مِنْ آلِ خَزْرَجٍ فِي سَرَارَةٍ مَخْتَدٍ
مِنْ عِلْيَةِ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي
الكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ⁽⁴⁾
مِنْ آلِ نَضِرٍ خَيْرِ قَوْمٍ أَرْسَلُوا
رَقَّتْ حَمَائِلُهُمْ وَلَكِنْ فِي الْوَعَى
وَبِمَخْرِ آثَارِ الْأَعَادِي أَظْهَرُوا
وَسَلِيلُهُمْ مَلِكُ الْوَرَى بِسُيُوفِهِ
وَمُعِزُّ فَخْرِهِمْ مُحَمَّدُ الرُّضَى

[أَلْفَاظُ⁽¹⁾] مَذْحِكَ يَا لَهَا أَلْفَاظًا!
نَفَحَاتُهُ النُّوَامَ وَالْأَيْقَاطَا
وَالْمُغْلِظِينَ عَلَى الْعَدَى إِغْلَاطَا
أَعْظَمَ [بِهِ]⁽³⁾ مِمَّنْ لَقَوَهُ حِفَاطَا
أَعْيَا حَدِيثُ عِلَائِهِ الْحِفَاطَا
بَسْنَا هُدَاهُ قَيْدَ الْأَلْحَاطَا
كُلُّ امْرِئٍ، كُلٌّ عَلَيْهِ اغْتَاظَا
مِنْ بَأْسِهِمْ نَحْوَ الْعُدَاةِ شَوَاطَا
لَبِسُوا سَرَابِيلَ الْحُرُوبِ غِلَاطَا
عَبْرًا لَهُمْ وَعَظُّوا بِهَا الْوُعَاطَا
أَبْدَتْ نُفُوسُ الْمُشْرِكِينَ مَغَاطَا
أَرْضَى الْعُقَاةَ وَكُلَّ قَرْنٍ غَاظَا

(*) مزاین القصر: 16 أ.

(1) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.

(2) زيادة يقتضيها الوزن. والشرط في مجموعه مضطرب.

(3) ما بين المعقوفين زيادة عن الأصل يقتضيها تمام الوزن والمعنى.

(4) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (آل عمران: 134).

خَاشٍ بِذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ جَلَّالُهُ
وَجَمِيعُ أَنْصَارِ الْبَصَائِرِ عِلْمُهُ
رَاعِي الْوَسَائِلِ لِحُظَّةِ لِعَبِيدِهِ

أَبَدًا يَلِظُ مُوَاصِلًا إِيظَافًا⁽¹⁾
إِذْ فَاضَ أَيْقَظَهَا بِهِ إِيْقَافًا
لِحُظٍّ يُنَبِّهُ لِلشُّرُورِ لِحَافًا

(1) لظ بالذكر: لازمه . ومنه قول الرسول (ص): «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام» أي: التزموا هذا الدعاء . (وسيط: لظ).

«وقال، سامحه الله(*)»: [كامل]

يَا خَمَرَ طِيبِ الْوَضَلِ مَا أَخْلَاكَ!
وَأَلَذَّ تَرْجِيْعَ الْغِنَاءِ وَنَعْمَةً
وَالْقُضْبُ تَرْقُصُ كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَاً
وَعَلَى خُدُودِ الْوَرْدِ قَدْ أَجْرَى⁽¹⁾ الْحَيَا
وَعَلَى بِسَاطِ الْأَسْرِ قَدْ نَثَرَ النَّدَى
وَالْأَفْحُوانُ تُغَوِّرُهُ مَسْقُولَةٌ⁽²⁾
وَالْتَرْجِسُ الْمَطْلُولُ قَدْ أَهْدَى شَدَى
وَكَأَنَّهُ فِي الرُّوْضِ فَتَحَ أَغْيُنَا
ذَاكَ ابْنُ يُوسُفَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ
وَأَجَلُّ مَنْ أَجْرَى الْخِيُولَ عَوَابِسَا
مِثْلُ الْقَطَا الْأَسْرَابُ وَزْدَا بَاعَدَتْ
ضَرَابُ هَامِ الضَّارِبِينَ الْهَامَ فِي
حَامِي الْحَقِيقَةِ لَمْ تَزَلْ فَتَكَائُهُ
وَارَتْ عَوَالِيهِ نَجُومَ أُسْنَةِ

فِي لَيْلَةٍ قَدْ نَوَّرَتْ أَخْلَاكَ
لِمُطَوِّقٍ فَوْقَ الْغُصُونِ تَبَاكَ
لِتَزُورَ أَثْلًا بِالْحِمَى وَأَزَاكَ
دَمْعاً يُكَفِّكُهُ النَّسِيمُ دِرَاكَ
دُزْرًا كَمَا نَثَرَتْ يَدُ أَسْلَاكَ
لِكِنَّهَا لَمْ تَعْرِفِ الْمِسْوَاكَ
كَالْمِسْكِ فَصَّ خِتَامُهُ فَتَذَاكَ
لِيرَى ابْنِ نَضْرٍ مُلْكِ الْأَمْلَاكَ
أَذْعَى الْفَوَارِسِ فِي الْحُرُوبِ عِرَاكَ
كُلُّ، لَعَمْرِي، لَجْمَهُ قَدْ لَاكَ
لِكِنَّهَا لَمْ تَقْرَبِ الْأَشْوَاكَ
جَيْشٍ يَرْوِعُ الرُّومَ وَالْأَثَرَاكَ
تُرْدِي بِمَازِقِ حَرْبِهَا الْفُتَاكَ
تَخِذْتُ مَثَارَ عَجَاجِهَا أَفْلَاكَ

(*) مزائن القصر: 16-17.

(1) في الأصل: أدرى، وهو تصحيف.

(2) مسقولة: مائلة.

مِنْ آلِ خَزْرَجٍ فِي الصَّمِيمِ شِعَارُهُ جُودٌ يُنْحَلُ مِرْزَمًا وَسِمَاكَ⁽¹⁾
 مِنْ آلِ نَضْرٍ نَاصِرِي⁽²⁾ دِينَ الْهُدَى وَالْحَرْبُ تَنْصِبُ لِلْكَمَاءِ شِبَاكَ
 وَأَعَادَ لِلتَّوْحِيدِ شِدَّةً⁽³⁾ شَوْكَةً مَحَقَّتْ كَمَا مَحَقَّ الرَّبَّ الْإِشْرَاكَ
 زَاكِي الْمَعَارِفِ وَالْعَوَارِفِ عَالِمٌ إِذْرَاكُهُ قَدْ عَلَّمَ الْإِذْرَاكَ
 سِرُّ الْكِرَامِ، بَنِي الْكِرَامِ، بِمُلْكِهِ⁽⁴⁾ وَبِئْسَ كِهْ قَدْ أَبْهَجَ النَّسَاكَ
 وَأَرَى السَّعَادَةَ وَالْمَجَادَةَ وَالْعُلَا كُلُّ أَطَالٍ بِحَبْلِهِ اسْتِمْسَاكَ
 حَاكَاهُ جُودُ الْغَيْثِ فِي جُودِ لَهُ لَكِنَّهُ فِي بَشْرِهِ مَا حَاكَ

64

«وقال، وقد اشتاق إلى السبيكة خارج حمراء غرناطة(*)»: [رمل]

إِنَّ إِفْرَاطَ بُكَائِي لَمْ يَرْغُ مِنِّْي عَرِيكَه
 قَدْ أَذَابَ الْعَيْنَ لَمَّا زَادَ شَوْقِي لِلْسَّيِّكَه

(1) ينحل: يعطي من ماله. والمرزم: اسم لعدد من النجوم منها العبور والغميصاء. والسماك: وأحد السماكين: الأعز والرامح: وهما نجمان نيران. (اللسان: سمك). وقد أراد الشاعر أنه يلحق الأبعاد بكرمه، وهو غاية الجود، ومنه قول الشاعر:

ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث كانا

(2) في الأصل: ناصر الدين والهدى، وهو تصحيف بين.

(3) في الأصل: شدت.

(4) هكذا ضبط الناسخ هذا الشطر، وأحسب أن لقراءته وجهاً آخر أراه معقولاً، وهو أن يعرب «سراً» على أنه فعل ماضٍ ليقابل «أَبْهَجَ» في الشطر الثاني، ولعله كذلك في الأصل، وعليه تنصب كلمتا «الكرام» و«النساک» على المفعولية، والفاعل الممدوح فيهما.

(*) الإحاطة: 350/1.

وله، رحمه الله، من قصيدة(*) : [كامل]

أَمَسْتُ حَلَائِلُ مَالِهِ تَشْكُو النَّدَى وَتُعَاتِبُ الطُّلَابَ وَالسُّؤَالَ
وَكَذَا الْكَرِيمُ إِذَا أَعَارَ عَلَى الْعَلَا أَرْضَى الْعُقَاةَ وَأَسْخَطَ الْأَمْوَالَ

«وقال أبو إسحاق النميري المذكور(**) : [وافر]

أَيَا ضَوْءَ الصُّبَاحِ أَرْفُقْ بِصَبٍّ تَسِيلُ دُمُوعُهُ فِي الْخَدِّ سَيْلًا
وَكُنْتُ بِلَيْلَةٍ لَيْلَاءَ طَالَتْ فَهَا أَنَا فِي الْوَرَى مَجْنُونٌ لَيْلَى⁽¹⁾

[قال ابن الحاج في مذكراته](***):

«وفي ليلة يوم الجمعة الخامس عشر لجمادى الأولى، رأيت في النوم كأنني

وقد تقدم أن السبيكة تُطلق على المدرج الذي يقع جنوب شرق الحمراء، ويقال إنه كان ساحة في عصر النصريين وبه مقبرة عتيقة، دفن بها مؤسس الدولة محمد بن الأحمر. (نهاية الأندلس: 292) غير أن كثرة الإعجاب بها في أشعار هذه الفترة لا يدل على أن العناية بزراعتها قد تأخرت إلى عصر الإسبان، كما يقول الأستاذ عنان.

(*) مختارات ابن عزم: 28.

(**) النفح: 113/7.

(1) كُتِبَ «ليلا» بالألف الممدودة في الأصل.

(***) مذكرات ابن الحاج، بتحقيق برمير: 127.

أمام دار مولاي الخال المرحوم أبي عبد الله بن عاصم⁽¹⁾، ومعني بعض الأصحاب، فأنشدني في الثوم نصف بيت، وكأنه أراد أن أزيد عليه في رثاء مولاي الخال، وهو: [طويل]

خُطُوبٌ عَلَى قَدْرِ الْمُصَابِ مَنَالُهَا

فقلت في اليقظة:

فَلَا غَرَوْ أَنْ أَحْيَى الثُّفُوسَ اخْتِمَالُهَا

[وقد بنى على هذا البيت قصيدة قال في مقدمتها]:

«... نظمت هذه القصيدة في رثاء مولاي الخال أبي عبد الله بن عاصم، متمماً لصدر مطلعها الذي سمعته في الثوم وقد تقدم ذكر ذلك^(*): [طويل]

خُطُوبٌ عَلَى قَدْرِ الْمُصَابِ مَنَالُهَا فَلَا غَرَوْ أَنْ أَغْيَا الثُّفُوسَ اخْتِمَالُهَا
سَرَتْ تَبَعْتُ الْأَشْجَانَ نَحْوِي مَوْهِنَا فَمَا زَاعَ مِنِّي الْقَلْبُ إِلَّا اشْتَعَالُهَا
وَشَنَّتْ مِنَ التَّبْرِيحِ وَالْوَجْدِ غَارَةً يَضِيقُ عَلَى رَبِّ الْحُرُوبِ مَجَالُهَا
أَأْطَلَبُ مِنْ لَيْلِي الصَّبَاحَ وَدُونَهُ لِيَالِي هُمُومٍ لَا يَتَّحُ زَوَالُهَا
كَأَنِّي عَلَى نَابِي الْمَضَاجِعِ فِي الدُّجَى أَسَاوِرُ زُفْشَا لَا يَغِبُّ اغْتِيَالُهَا
أَلْهَفِي لَسْفَرٍ خَلَّفُوا الدَّارَ بَلَقْعَا تَنُوحُ عَلَى الْحَيِّ الْحَلَالِ جِلَالُهَا⁽²⁾
وَرَكِبَ أَنَاخُوا الْعَيْسَ فِي سَاحَةِ الْبَلَى فَفَاءَتْ عَلَيْهِمُ بِالْمَنُونِ ظِلَالُهَا

(1) ابن عاصم هذا هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عاصم بن محمد بن أبي عاصم القيسي: فقيه كاتب، تولى الحسبة. رثاه ابن الحاج بقصيدة أخرى في «نشير فرائد الجمان»: 314-318. (ترجم له: صاحب الكتيبة: 172، وذكر بعض شعره. وانظر: الدرر الكامنة: 180/4، ونشير فرائد الجمان: 314، ومقدمة تحقيق جنة الرضا: 38/1).

(*) مذكرات ابن الحاج النميري (مخطوطة الاسكوريال رقم: 1734، ص 45).

مقابلة مع تحقيق برميير، ص 153-156، وقد دون الشاعر هذه القصيدة في شهر رجب الفرد المبارك من عام خمسة وأربعين وسبعمئة.

(2) الحلال - بفتح الحاء -: المباح، وبكسرهما: من مراكب النساء.

وَمَا وَرَدُوا غَيْرَ الْجَمَامِ مَشَارِعاً
فَمَنْ مُبْلِغُ ذَاكَ الْجَنَابِ أَلْوَكَّةُ
وَحَقُّكُمْ يَا حَيْرَةَ السَّرْحَةِ الَّتِي
يَمِيناً لَقَدْ صَارَمْتُ عَيْشِي بَعْدَكُمْ
وَبِالشُّعْبِ مِنْ غَرْنَاطَةِ قَبْرِ أَوْحِدِ
كَرِيمٍ إِذَا غَرَّتْ عَنِ الْأَمْلِ اللَّهُى
هُمَامُ يُزِيرُ الْخَيْلَ قُباً بِطُونُهَا
وَأَيُّ إِمَامٍ مُرْشِدٍ بَعْلُومِهِ
(...) (2) لِي قَيْسٍ غَيْلَانٌ رُتَبَةٌ
شَهِدْتُ لَقَدْ حَلَّتْ بِشُعْبِ عَشَائِرِي
فَقُمْ بِي وَشُدَّ الْكُورَ فَوْقَ شِمْلَةٍ
تُفَرِّقُ أَيْدِيهَا الْحَصَا وَسَطَ نَفْتِفِ
مِنَ الشَّدَقِمِيَّاتِ الرَّوَاسِمِ جَسْرَةَ
وَجِدَّ السُّرَى فِي كُلِّ بَيْدَاءٍ مُجْهَلِ
لَعَلِّي لَا أَلْقَى لِخَالِي نَاعِيَا
وَأَنْتَى بِهَا بَعْدَ الَّتِي اسْتَكَّ مَسْمَعِي

عَزِيزاً عَلَيْنَا أَنْ يُبَاحَ نَهَالُهَا
تَعَاطَمَ فِي شَجْوِي وَخُزْنِي اغْتِمَالُهَا (1)
قَرِيبٌ لِمَنْ خَلَفْتُمُوهُ اخْتِلَالُهَا
وَمَا سَرَّ نَفْسِي بِالْبَقَاءِ اشْتِمَالُهَا
بِهِ عُدَدْتُ فِي الصَّالِحَاتِ خِلَالُهَا
فَمَا بِسَوَى كَفِّهِ يُلْفَى ابْتِدَالُهَا
سَوَابِحَ فِي مَجْرَى الدَّمَاءِ اخْتِيَالُهَا
هَدَى كُلَّ نَفْسٍ مُسْتَفِيزٍ ضَلَالُهَا
عَلَى عَمَدِ الْإِجْلَالِ قَامَ جَلَالُهَا
شُعُوبٌ وَأَوْدَى بِالسُّزِيلِ نِزَالُهَا (3)
سَرِيعٌ تَرَامِيهَا بَعِيدٌ كَلَالُهَا (4)
يَخُونُ بِهِ الْأَسَدُ الْغَضَابَ (5) صِيَالُهَا
شَدِيدٌ عَلَى قَطْعِ الْفَلَاةِ مِحَالُهَا (6)
تَهِيلُ كَأَمْوَاجِ الْبَحَارِ رِمَالُهَا (7)
وَهِنَهَاتِ تِلْكَ الْحَالِ مَا إِنَّ إِخَالُهَا
غَدَاةً أَتَى فَوْقَ الْمَقَالِ مَقَالُهَا

(1) اغتمالها: سترها وإخفاؤها. وقد تركها المحقق بياضاً واستكملتها من النص المخطوط.

(2) طمس في الأصل.

(3) شطر عسير القراءة ترك المحقق معظمه بياضاً.

(4) شطر عسير القراءة ترك المحقق نصفه بياضاً.

(5) النفنف: الصحراء. والشطر الثاني مصاب بالرطوبة عسير القراءة أهمل المحقق نصفه.

(6) كلمة غير واضحة في الأصل، تركها المحقق بياضاً، وما هنا اجتهد في قراءتها. والمحال: الكيد

والقوة والعقاب من الله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾.

(7) بياض في التحقيق.

عَفَاءَ لِدُنْيَا تَخْدَعُ الْمَرْءَ بِالْمُنَى
وَتَبًّا لَهَا تَبًّا مَدَى الدَّهْرِ عَيْشَةً
لَعَمْرُكَ مَا الْإَيَّامُ بَعْدَ ابْنِ عَاصِمٍ
وَلَا الْحَيُّ ذَاكَ الْحَيُّ هَيْهَاتَ إِنَّمَا
لِتَبِّكَ عُفَاءُ الْحَيِّ غَيْثَ رُبُوعِهَا
لِتَبِّكَ الْيَتَامَى مَنْ بَكَيْتُ فَإِنَّهُ
لِتَبِّكَ السُّيُوفُ الْبَيْضُ مَنْ بِضْرَابِهِ
لِتَبِّكَ رِمَاحُ الْخَطِّ مَنْ بِطَعَانِهِ
أَجِدُّكَ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ رَحَلَتْ عَنْ
أَجِدُّكَ خَلَفَتِ الرُّبُوعَ دَوَارِسَاءُ
أَجِدُّكَ لَا تَلْتَاخُ نَارُكَ فِي الدُّجَى
أَجِدُّكَ لَا تَلْقَى الْوُفُودَ مُرَحَّباً
لِمَنْ يَخْضَعُ الْأَبْطَالُ بَعْدَكَ فِي الْوَعَى⁽³⁾
لِمَنْ تَمْرُحُ الْجُرُذُ الْعِتَاقُ وَمَنْ لَهَا⁽⁴⁾
(بِمَنْ تَشْرُفُ⁽⁵⁾) الْأَشْعَارُ وَالْخُطْبُ الَّتِي
فَآهَا عَلَى الْعَلْيَاءِ وَالْبَاسِ وَالسُّدَى
وَلَهْفِي عَلَى الْمَوْلَى الَّذِي حَسَنَاتُهُ

كَمَا يَخْدَعُ الْهِيمَ⁽¹⁾ اللُّوَغِيبَ أَلْهَا
يَعُودُ إِلَى التَّقْصِ الْمُلِيمِ كَمَالُهَا
بِتِلْكَ الَّتِي رَقَّتْ وَرَاقَ جَمَالُهَا
مَضَتْ بِهِجَةُ الدُّنْيَا وَعَاضَ نَوَالُهَا
إِذَا أَثْلَهَا أَضْحَى حُطَاماً وَظَالُهَا
مَلَاذُ الْيَتَامَى فِي السُّنِينَ ثِمَالُهَا
يُحَادِثُهَا يَوْمَ الْقِرَاعِ صِقَالُهَا
تُثَقِّفُ فِي عُوجِ الضُّلُوعِ طَوَالُهَا
خِيَامُ تُجِيرُ الْخَائِفِينَ⁽²⁾ رِجَالُهَا
إِذَا سُئِلَتْ لَمْ يُجِدِ يَوْماً سُؤَالُهَا
وَكَمْ قَدْ هَدَتْ خُوصَ الرُّكَابِ جِبَالُهَا
وَقَدْ رُمِيتْ دُونَ الْقِبَابِ رِحَالُهَا
وَتُذَعْنُ مَهْمَا أَنْ يَوْماً قِتَالُهَا
إِذَا كَانَ مِنْ ذَوْبِ التَّجِيعِ انْتِعَالُهَا
يُقْصَرُ فِي النَّادِي بِقُسِّ مُطَالُهَا
ثَلَاثُ خِلَالٍ قَدْ أُتِيحَ اخْتِلَالُهَا
قَلِيلٌ لِمِثْلِي أَنْ يُعَادَ مِثَالُهَا

(1) الهيم: العطاش. واللغب: التعب والإعياء. والال: السراب.

(2) برميير: الخالفين.

(3) شطر متضرر عسير القراءة لم يكتب منه المحقق سوى كلمة واحدة.

(4) شطر متضرر كسابقه أهمل المحقق أغلبه.

(5) بياض في التحقيق نتيجة ما لحق بالمخطوطة في هذا الجانب من ضرر.

عَلَيَّ لِذِكْرَاهُ جَوَى وَمَدَامَعْ
وَزَفَرُهُ مُغَرَّى بِالشُّجُونِ كَأَنَّمَا
أَحَالَاهُ! لَا وَاللَّهِ مَا الْحُزْنُ هَامِدٌ
وَلِي بَعْدَكَ التَّابِينَ جُهْدٌ مُقْصَرٍ
وَكَيْفَ وَأَفْكَارِي عَنِ الشَّعْرِ أَجْفَلْتُ
وَلَيْسَ سِوَى الْإِغْضَاءِ حَيًّا وَمَيِّتًا
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا خَامَرَ الْهَوَى

يُبَارِي شَايِبَ الْعَمَامِ انْهَمَالُهَا
لَهُ مُهْجَةٌ بِالشُّجْرِ يَنْعَمُ بِأَلْهَا
عَلَيْكَ، وَلَا بَلَوَايَ يُرْجَى انْتِقَالُهَا
دَعْتُهُ الْقَوَافِي لَوْ أُبِيحَ وَصَالُهَا
كَمَا أَجْفَلْتُ وَسَطَ الْفَلَاةِ رِثَالُهَا
تُنِيلُ⁽¹⁾ بِهِ مِنْكَ الْمُنَى فَأَنَالَهَا
نَفُوسًا بِسُكَّانِ الْعُذَيْبِ خَبَالُهَا

68

«وقال أيضاً^(*): [مقارب]

أَيَا رَوْضَ بِالزَّهْرِ غَبَّ الْحَيَا
أَعْدَلِي النَّسِيمَ الَّذِي شَاقَنِي

سَأَلْتُكَ وَالْقُضْبُ أَتَى تَمِيلُ
فَسُتُّنَا أَنْ يُعَادَ الْعَلِيلُ^(**)

69

وقال في مدح الحافظ جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن
المزي^(***): [وافر]

جَمَالُ الدِّينِ لِلْإِقْرَاءِ يَغْلُو
فَمُذْ جُلَيْتْ مَحَاسِنُهُ بَدَا لِي

أَسْرَتُهُ إِذَا اضْطَفَّ الرَّجَالُ
مُحِيًّا فِي أَسْرَتِهِ الْجَمَالُ

(1) برميير: ننيل.

(*) الكتيبة: 268. وفي البيت الثاني تورية بين «النسيم العليل» و«الشخص العليل».

(**) النفع: 110/7. والمزي: أحد من لقيهم الشاعر بدار الحديث الأشرقية بدمشق من مشاهير
أساتذتها.

(***) النفع: 111/7. والمزي: هو جمال الدين المتقدم ذكره.

وقال في الحافظ المزي (**): [وافر]

جَمَالَ الدِّينِ أَضْحَى فِي دِمَشْقٍ إِمَاماً نَحْوَهُ طَالَ الذَّمِيلُ
فَلَمْ أَغْدِمِ بِمَنْزِلِهِ جَمِيلاً فَحَيْثُ هُوَ الْجَمَالُ هُوَ الْجَمِيلُ

وقوله (*): [طويل]

وَقَالَ عَذُولِي حِينَ لَاحَ عِذَارُهُ بِوَجَنَّتِهِ انْهَرَهُ وَإِنِّي لَقَائِلُ
أَرَانِي الضُّحَى إِذْ سَالَ مِنْ سَفْحِ خَدِّهِ أَنَّنْهَرُهُ مِنْ بَعْدِ ذَا وَهُوَ سَائِلُ⁽¹⁾

وقال أيضاً (**): [متقارب]

نَسِيمُ الصَّبَا جَاءَهُ سَائِلًا بِطُلِّ الْحَيَا فَارْتَضَى وَضَلَهُ
وَأَوْدَعَهُ الرَّوْضُ أَنْفَاسَهُ فَأَضْحَى عَلِيلاً فَضَاعَتْ لَهُ
وقال غفر الله له (***) : [متقارب]

حُصُونُ الْكَرَامِ صُدُورُ الْعَوَالِي وَخَيْلٌ تَنَاقَلُ مِثْلُ السُّعَالِ
وَبَيْضُ سُيُوفٍ عَدَتْ تَخْتَلِي⁽²⁾ بِهَا الْهَامُ أَيْدِي الرِّجَالِ الطُّوَالِ
وَلَيْسَ مَنَالُ الْعُلَا هَيْنًا وَلَكِنَّهُ الدَّهْرُ صَغْبُ الْمَنَالِ

(*) مسالك الأبصار 215/17 أ.

(1) وفي البيت الثاني تورية بين «سائل» من السيلان و«سائل» من السؤال، وإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَزْ﴾ (الضحى: 10).

(**) الكتيبة: 268.

(***) المزاین: ق 17.

(2) تختلي: تقطع، وفي الحديث: «إذا اختليت في الحرب هام الأكابر» وذلك مثال على أثر لغة الحديث في أسلوبه، لأنه مشغول بهذا الفن معدود في رجاله خلال هذا القرن.

سَمَاحَ بِمَالِكَ يَوْمَ النَّدَى
وَسَيْفُكَ لِلظُّعْنِ فِي مَغْرِكَ
وَضَرْبُ كَمِثْلِ حَوَاشِي الرِّدَاءِ
وَحَوْضُكَ فِي غَمَرَاتِ النَّجِيعِ
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا فَلْيَكُنْ
وَلَا يَقْرَبِ الْحَيَّ إِنْ أَيْقَظُوا
وَجَيْشٍ يَجْرُ ذُيُولُ الْفِجَاجِ
مِنَ الطَّالِعِينَ بِحُمْرِ الْمَنَائِيَا
تَكِلُ السُّيُوفُ وَمَا تَشْتَكِي
أَعَارِبُ تُغْرِبُ عَنْ أَنْفُسِ
وَمَا عَرَفَ الْمَجْدَ مَنْ لَمْ يُقِلْ
كَمَا فَعَلَ الْغُرُّ أَبْنَاءَ نَضْرٍ
جَحَاجِحَةً قَادَةً ذَاذَةً
تُحَادِثُ أَزْوَاحَ أَعْدَائِهِمْ
مُقِيمُونَ سَوْقَ الطُّعْنِ الَّذِي
وَأَمْضَاهُمْ عَزْمَةً فِي الْوَعَى
مُحَمَّدُ الْمُزْتَضَى لِلَّتِي

وَجُودُ بِنَفْسِكَ يَوْمَ النَّزَالِ
يُنْسِيكَ عَزَّكَ الرَّحَى بِالثُّفَالِ⁽¹⁾
وَأَرْشِيَّةَ رُمَيْتٍ عَنْ سِجَالِ
بِجُزْدِ يَعَابِيبِ رُحْبِ الْمَجَالِ
مَعَ الْغَيْدِ فِي الْحَيِّ تَحْتَ الْحِجَالِ
بِشَعْوَاءِ تَفْجَأُ⁽²⁾ أَهْلَ الْحَلَالِ
سِرَاعَ فَوَارِسُهُ لِلْقِتَالِ
طَوَالَ السَّوَاعِدِ غُبْرَ السَّبَالِ⁽³⁾
عَزَائِمُهُمْ فِي الْوَعَى بِالْكَالِ
مُعَذِّبَةً فِي طِلَابِ الْمَعَالِي
بِأَسْيَافِهِ عَثَرَاتِ اللَّيَالِي
شُمُوسُ الْهُدَى وَبُدُورُ الْكَمَالِ
حُرُوبُهُمْ لَقَحَتْ عَنْ حُبَالِ
سُيُوفٍ لَهُمْ حَوْدِثٌ بِالصُّقَالِ
بِهِ عَالَجَ الْمَوْتُ خَلَعَ النَّعَالِ
هُمَامٌ تَعَوَّدَ بَرْحَ الصُّيَالِ⁽⁴⁾
أَفَاضَتْ عَلَى الْكَوْنِ نُورَ الْجَمَالِ

(1) الثفال: الجلد يسط تحت الرحي ليقى الطحين من التراب. (اللسان: ثفل).

(2) في الأصل: نفجأ.

(3) السبال: جمع لمقدم اللحية، وعند الجوهري: جمع الشارب. ويقال نشر سبلته، أي جاء متوعداً، وهم صهب السبال: أعداء. (اللسان، والصحاح: سبل). وهي في الأصل: حبال.

(4) الصيال: السطو والاستطالة، والبرح: الشدة.

وَبِالرُّغْمِ دَوَّخَ أَرْضَ الْعِدَى
وَمَدَّ الْخُطَى فِي رِمَالِ لَهَا
وَجَاسَ خِلَالَ الدِّيَارِ الَّتِي
وَفِي الْحَرْبِ خَاضَ غِمَارَ الْمَنَايَا
وَإِنَّ ابْنَ يُوسُفَ مَلِكٌ حَوَى
خَلِيفَةُ رَبِّ الْعِبَادِ الَّذِي
مِنَ الْعُرَى أَوْيَ إِلَى شَاهِقِ
نَمَثِهِ الْأَعَاظِمُ مِنْ خَزَرْجٍ
وَمَا يَخْسُنُ الْفَخْرُ بِالْقَوْلِ إِنَّ
وَقَدْ أَغْجَرَ الشُّخْبَ عَنْ جُودِهِ
وَمَا مُطِّلَ السَّائِلُونَ اللَّهُي
وَمَا يَرْتَضِي الْحُرُّ أَخْذًا لِرِفْدٍ
مُنِيْلٌ نَدَاهُ لِمَمَالٍ وَجَاهٍ
أَمْوَلَايَ خُذْهَا نَتِيجَةَ حُبٍّ
وَأَقْبِلْ عَلَيْهَا بِوَجْهِ الْقَبُولِ
وَدَامَ لَكَ الْفَتْحُ وَالنُّصْرُ مَا

فَعَوَّضَ وَابْلَهَا بِالْوَبَالِ
بِجَنَاشٍ يُكَائِرُ عَدَّ الرِّمَالِ
تَعَاظَمُ فِيهِنَّ حَوْسُ⁽¹⁾ الْخِلَالِ
فَنَجَّاهُ رَبُّ شَدِيدُ الْمِحَالِ⁽²⁾
فَضَائِلَ تُنْظَمُ⁽³⁾ مِثْلَ اللَّالِي
لَهُ أَشْعَدُّ أَبْلَغَتْ فِي اقْتِبَالِ
عَلَى الشُّهْبِ أَظْهَرَ كُلَّ التَّعَالِي
كَرِيمِ الْفِعَالِ كَرِيمِ الْخِلَالِ
يَكُ الْقَوْلُ إِذْ ذَاكَ فَوْقَ الْفِعَالِ
فَأَذْمُعُهَا لَمْ تَزَلْ فِي انْهِمَالِ
وَلَوْ سَكَّتُوا جَادَ قَبْلَ السُّؤَالِ
إِذَا كَانَ يُؤْخَذُ بَعْدَ الْمِطَالِ
إِذَا عَزَّ نَيْلٌ لِحَاجِهِ وَمَالِ
بِمَذْحِكٍ تَسْبِي عُقُولِ الرِّجَالِ
وَوَالِ التَّفْضُلِ يَا خَيْرَ وَالِ
أَدِيمَ لِمَكَّةَ شَدُّ الرِّحَالِ

(1) الحوس: انتشار القتل والغارة والتحريك في ذلك. والإشارة في الشطر الأول إلى قوله تعالى: ﴿وَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ (الإسراء: 5). وقرئ «فجاسوا خلال الديار» ولعل الشاعر أراد الإشارة إلى القراءتين في بيت واحد.

(2) في الأصل: المجال.

(3) في الأصل: تنضم. والخلط بين الضاد والظاء من الأخطاء الشائعة في هذه المخطوطة.

«وقال(*) : [كامل]

لَمَّا نَزَلْتُ مِنَ السَّبِيكِةِ صَادَنِي ظَنِّي، وَدِدْتُ لَدَيْهِ أَنْ لَمْ أَنْزِلِ
فَاعْجَبَ لِظَنِّي صَادَ لَيْثًا لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا مُتَخَبِّطًا فِي أَحْبَلٍ

«وقوله :(*) : [كامل]

يَا مَالِكِي وَصَلْتُ هَدِيَّتُكَ الَّتِي أَهْدَيْتَهَا فَشَكَرْتُ مِلءَ الْمِقْوَلِ
وَتَبِعْتُ مِنْكَ لَنَا مَذَاهِبَ مَالِكٍ حَقًّا، فَمَذْهَبُنَا قَبُولُ الْمُرْسَلِ

«ومن ذلك أيضاً(**) : [طويل]

أَرْثَنِي الْجَمَالَ الْأَكْمَلِيَّ حَقِيقَتِي عَلَى قَدْرِهَا، لَا قَدْرٍ مُوجِدِهَا الْعَالِي
فَكَيْفَ أَرَى هَذَا مَقَامِي وَإِنَّمَا مَقَامِي مَغِيبي عَنْ مَقَامِي وَعَنْ حَالِي
«وقال فيمن يُعرفُ بِالصُّهَالِ(***) : [طويل]

أَلَا رَبُّ فُرْسَانٍ تَوَافَوْا فَأَذْرَكُوا مَعَ اللَّيْلِ أَوْتَاراً لَهُمْ دُونَ إِمْهَالٍ
وَأَجَرُوا بِصُّهَالٍ كُمَيْتاً كَمَا ابْتَعُوا فَلَا تُنْكِرُوا الْإِجْرَاءَ مِنْهُمْ بِصُّهَالٍ

(*) الإحاطة : 350/1 .

(**) مسالك الأبصار : 215/17 ب .

(***) الكتيبة : 266 .

(****) النفع : 117/7 .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

«وقال أيضاً(*)»: [خفيف]

يَا خَلِيلِي بِالْعَقِيقِ سَلَامًا
وَاحْذَرَا اللَّحْظَ وَالْحُسَامَ بِنَجْدٍ
وَاحْفَظَا الرُّوضَ مِنْ تَلْهُفٍ وَجَدِي
وَأَنْصُرَانِي عَلَى غَزَالٍ سَطَا بِي
وَلِأَقْنِصَا⁽²⁾ مَا رَمَى بِأَسْهُمٍ لَحْظٍ
وَأَدِيرَا الْكُؤُوسَ فَخْرًا بِنَضْرِي
وَاضْرِبَا بِالسُّيُوفِ وَجْهَ حُسُودِي
وَأَنْشِدَا أَسْرَتِي بِحَقِّ الْمَعَالِي
وَلَقَدْ كَانَ بِالرَّجَاءِ اغْتِصَامِي
وَعَدَا فِي الرِّغَامِ نَضُوي مُلْقَى
صَدَّ عَنِّي الَّذِينَ [أَهْوَى]⁽¹⁾ سَلَامًا
فَهُمَا مَا يُبْقِيَانِ هُمَامًا
وَحِطًا مَا أَخَافُ يَغْدُو حُطَامًا
وَلِجَا مَا حَمَى وَشَدًّا لِحَامًا
وَصِدَامًا فِي الْحَرْبِ أَبْدَى صِدَامًا
وَأَسْقِيَا مَا يَسُرُّ شُرْبِي قِيَامًا
وَسِمَا مَا إِخَالُ فِيهِ سِمَامًا⁽³⁾
وَعِظًا مَا جَفَوْا أَنْسَاءَ عِظَامًا
فَاغْتِصَامًا رَجَوْتُ أَنْأَ اغْتِصَامًا
فَرَعَامًا شَكَا إِلَيَّ رَعَامًا⁽⁴⁾

(*) مزائن القصر: ق 18.

(1) الأصل: أنهوا.

(2) الأصل: واقتضا.

(3) سمام الإنسان: فمه ومنخاره وأذنه. (اللسان: سمم).

ويلاحظ أن معانيه تسف أحياناً في سبيل نشدان ما يمكن أن نسميه «بالصنعة المعمارية» التي أراد بها تزين القصر بالفاظ تتسم بتناسق في رسم الحروف يناسب جمالية الزخرفة، فضلاً عن طلب الجنس الكامل الذي تقتضيه الصنعة البديعية، وهي مطلب واضح للشاعر، كما بدا في هذه القصيدة.

(4) الرغام: في أول البيت: التراب، وفي آخره: الذل والمهانة.

وَرَعَاةُ السَّوَامِ رَقُوا لِحَالِي
وَعَهْدُ الْحِمَامِ فِي سَرْحَتَيْنِهِ
وَإِذَا مَا شَكُوْتُ دَاءً لِهَجْرٍ
يَا رَعَى اللَّهُ بِالْخِيَامِ زَمَانًا
وَلِعَذْبِ الرُّضَابِ كَانَ طِلَابِي
وَعَلَى ذَاكَ سَالَ مَاءٌ دُمُوعِي
وَلَدَى الْحَيِّ غَيَّرُوا قَلْبَ حَبِّي
وَنَعَمَ فِي الْكَلَامِ إِنْ بَتَّ وَعْدًا
لَا كَمَوْلَى مُحْتَفٍ حُكْمَ لَاهٍ⁽⁶⁾
مُنْجِزٌ وَعْدُهُ بِجُودٍ كَغَيْثٍ
رَائِعٍ فِي حُسَامِهِ لِلْأَعَادِي
وَمَدَى خَوْفِهِ أَتَتْ كُلُّ شِرْبٍ
وَتَنَّى الْمَعْشَرَ الْكُمَاةَ حَيَارَى
وَلَقَدْ قَبَّلَ النَّدَامَى يَدَيْهِ

فَتَغَامَا قَدْ كَانَ يَزْعَى تَغَامَا⁽¹⁾
فَحَمَى⁽²⁾ مَا عَهْدْتُ فِيهِ حِمَامَا
فَالدَّوَا مَا يُعْطِي وَصَالِي الدَّوَامَا
قَدْ مَرَى مَا حَلَى [وَسْنٌ⁽³⁾] مَرَامَا
فَسَقَى مَا قَدْ ظَلَّ يَشْفِي سَقَامَا
فَطَغَى مَا تَنَّى لِلْوَمِي طَغَامَا⁽⁴⁾
فَقَسَا مَا قَدْ كَانَ يُبْدِي قَسَامَا⁽⁵⁾
لِي كَلَامَا أَعَادَ دُلَا كَلَامَا
فِي حِمَى مَا يَدُورُ عَنِّي حَمَامَا
قَدْ وَشَى مَا رَعَى الْبُرُوقَ وَشَامَا
بِسَنَا مَا لِلْكَفْرِ جَبٌّ⁽⁷⁾ سَنَامَا
فَمَدَى⁽⁸⁾ مَا أَظْلَّ أَنْسَى مُدَامَا
بِالْتِقَامَا سَامَ الْكُمَاةِ⁽⁹⁾ إلتِقَامَا
فَنَدَامَا [قَدْ] قِيلَ أَغْنَى نَدَامَا

(1) أراد الشاعر أن السوام رقت لحاله، فثغت، أي: صاحت. والثغام: في آخر البيت: شجر أبيض الثمار والزهر ينبت في الجبال.

(2) في الأصل: فحما.

(3) في الأصل: وسنى.

(4) طغاماً: تجاهلاً.

(5) القسام: الحسن والجمال. و«قسا» في أول الشطر: اشتد وصلب.

(6) محتف: من الحتف وهو الهلاك، والعرب لا تبني منه فعلاً.
(اللسان: حتف). والبيت في مجموعه غامض لا يخلو من تصحيف.

(7) في الأصل: حب. ويقال: جب البعير، أي: انقطع سنامه.

(8) في الأصل: مدا.

(9) الكماة: كتبت بقاء مفتوحة في الشطرين ..

وَلَقَدْ أَبْهَجْتَ ضُرُوبَ الْمَعَالِي
وَأَتْتَهُ الْمَطِيَّ ثُنْيِي عَلَيْهِ
وَيَدَاهُ أَحْسَنًا مُنْتَطِيهَا
وَأَتْتَهُ عَوَاقِلُ الْعُزْبِ سَغِيَا
وَرَمَى الطَّرْفَ تَحْتَ كُلِّ مَلِيكَ
وَبِمَاضِي الْحُسَامِ فِي كُلِّ حَرْبٍ
وَلِسَارِي الثُّجُومِ أَخَذْتَ رُغْبَا
لَيْسَ يَرْضَى عَدُوَّهُ مِنْهُ فِعْلًا
وَيَبْخَرِ الْوَعِيدِ أَوْعَى عَدُوًّا
وَسَقَى السَّيْفَ مِنْ دِمَاءٍ فَأَمَلَى⁽⁴⁾
مُنْهَدُ الْجَيْشِ رَاعَ كُلَّ عَدُوٍّ
يَا ابْنَ نَضْرٍ قَدْ جَلَّ فِيكَ مَدِيحِي
وَهَنِيئًا بِخَيْرِ عِيدٍ أَرَى النَّعْدَ
دُمْتَ تُضْلِي الْعَدُوَّ نَارَ حُرُوبٍ

بِائْتِقَامِ سَامِ الْحَسُودِ انْتِقَامَا
فَلَعَى مَا آتَاهُ هَاجَتْ لُغَامَا⁽¹⁾
بِلَهَى مَا قَدْ فَضَّ جَيْشًا لُهُمَا⁽²⁾
فَوَدَى مَا جَنَى عَلَيْهِمْ وَدَامَا
فَنَعَى مَا فِي الْفَقْرِ حَاكَى نَعَامَا
قَدْ فَرَا مَا رَأَى الْمَرَامَ فَرَامَا
فَوْنَى مَا خَلَى السُّهَادَ وَنَامَا
بِالْحَرَا⁽³⁾ مَا يُدْنِي إِلَيْهِ الْحَرَامَا
فَوَعَى مَا وَعَاهُ خَوْفًا وَعَامَا
بِوَحَى مَا، قَدْ أَمَّ وَرَدًا وَحَامَا
بِوَعَى مَا أَثَارَ نَفْعًا وَغَامَا⁽⁵⁾
فَوَهَى مَا بَنَاهُ قِذْمًا وَهَامَا
مَى وَسَامَى⁽⁶⁾ الَّذِينَ رَاقُوا وَسَامَا
وَتَرَى مَا يَسُوءُ مَنْ قَدْ تَرَامَا

(1) اللغى، جمع لغة، واللغام: الأرجاف الحاد وزيد الأفواه ولعابها. (اللسان: لغى، لغم).

(2) ممتطيها: ركابها. والضمير يعود على المطر في البيت السابق. واللهى: أفضل العطايا. واللهم: العظيم.

(3) بالحرا: بالأحرى والأجدر.

(4) فأملى: أطال وتوسع في الأمر. وفي الأصل: أملا، ووحا بالفين ممدودين.

(5) منهذ الجيش: منهضه وممضيه للأعداء. الوغى: الحرب.

وغام: أثار الغيوم.

(6) في الأصل: وساما.

«وَمِنْ ذَلِكَ قَصِيدَةُ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْكَاتِبِ الْبَلِيغِ الْقَاضِي الشَّاعِرِ الْمُفْلَقِ، أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ الْحَاجِّ، وَحَكَمَ الْأَصْحَابُ لِيَلْتَنِيزَ بِتَرَاجُعِ طَبْعِهِ وَأَنَا أَقُولُ: هُوَ الْحَمِيمُ وَإِنْ صَدَعَ مَدْعَاهُ^(*): [متقارب]

رَعَى اللَّهَ نَجْدًا، وَحَيَّا الْخِيَامَا
وَرَوَى بِعَيْنَيْنِ مِنْ دَمْعِ عَيْنِي
وَقَدَسَ دُونَ الْجَمَى أَزْبَعَا
وَبِالْأَجْرَعِ الْفَزْدِ مِنْ حَاجِرِ
وَقَفْتُ عَلَيْهَا أَنَا وَالنَّسِيمُ
كَأَنَّ اللَّوَاحِظَ أَغْدَاؤُنَا
وَدُونَ الْغَضَا جِирَةً خَلَتْهُمْ
وَعِيدَ لَدَى الْحَيِّ عَارِضُنَا
وَرَأَى الْكَلَامُ فَيَا لَيْتَ لَوْ
أَزَاهِرُ حُسْنِ بِرَوْضِ الصُّبَا
وَقَاتِنَةً إِنْ تَشَأْ يَوْمَ طَغَى
مِنَ السَّالِبَاتِ عُقُولَ الرِّجَالِ
إِذَا مَا أَرَادَتْ بِنَا نَشْوَةً
وَإِنْ هِيَ هَاجَتْ لِقَلْبِي غَرَامَا
وَصُوبِ السَّحَابِ دَارِي أَمَامَا
حَمَتْ مُقْلَتِي أَنْ تَذُوقَ الْمَنَامَا
مَنَازِلُ هَامَتْ بِمَنْ فِيهِ هَامَا
سَقِيمَيْنِ، هَذَا وَذَا قَدْ تَرَامَى
فَكُلُّ الثَّلَاثَةِ تُبْدِي سَقَامَا
يَشْبُونُهُ بِفُؤَادِي ضِرَامَا
وَمَا عَرَفَ اللَّثْمُ إِلَّا اللَّثَامَا
جَعَلَنَ مَكَانَ الْعُقُودِ الْكَلَامَا
فَتَقَنَّ الْهَوَادِجَ عَنْهَا كِمَامَا
رَمَتْ كُلُّ رُمُحٍ وَهَزَّتْ قَوَامَا
عَلَى سُرْعَةٍ⁽¹⁾ الْحُبِّ مَاتُوا كِرَامَا
سَقَتْنَا شَمَائِلَهَا لَا الْمُدَامَا

(*) النفاضة: مخ. خ. ع: 146 وما بعدها، والنص المحقق: 301/3-305 والعبارة التي صدر بها ابن الخطيب القصيدة تبرهن على أنه يوافق الأصحاب رأيهم، بل ربما كان ذلك رأيه ونسبه إلى الأصحاب وقوله: «هو الحميم وإن صدع مدعاه» ليس ردًا نقدياً على مقولة أولئك الأصحاب بقدر ما يعزز تأكيدها.

(1) سرعة: كذا في الأصل، ولعلها: سرعة.

وَقَالُوا حَكَى الْخَضِرَ مِنْهَا فُؤَادِي
وَمِمَّا أَثَارَ لِي الْوَجْدَ بَرْقُ
وَنَفْحَةَ رِيحٍ أَتَتْ مِنْ زُرُودِ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو وَإِنَّ الْعَذَابَ
وَكَا الْقَلْبِ مِنِّي بِذِي الْبَانِ طَارَتْ
وَقَدْ هَيَّجْتَنِي وَهَيَّجْتُهَا
وَقَدْ تَعِبَ الْغُصْنُ مَا بَيْنَنَا
وَعَرَّسَ بِالْجَفْنِ رُكْبُ الشُّهَادِ
وَمَا الدَّمْعُ عَذْبٌ وَلَكِنَّهُ
وَحَقُّ الْهَوَى وَالزَّمَانِ الَّذِي
لَقَدْ بَلَّلَ الدَّمْعُ إِلَّا غَلِيلِي
وَقَدْ عِيلَ صَبْرِي وَيَا رَبِّ صَبْرٍ
بِنَفْسِي حَبِيبٌ أَطَالَ انْتِزَاحِي
هُوَ الْحُبُّ جَدٌّ بِنَا⁽²⁾ هَازِلًا
وَيَا عَاذِلَ الصَّخْبِ كُنْ رَاحِمًا
عَجِبْتُ لِبَرْقٍ مِنَ الشُّوقِ مَا إِنْ
وَسُخِبَ مِنَ الدَّمْعِ قَدْ أَنْبَتَتْ
لَحَى اللَّهِ مِثْلِي أَيْرَضَى الْهَوَى

صَدَقْتُمْ وَلَكِنْ حَكَاهُ انْعِدَامًا
ظَنَّنَاهُ، بَيْنَ الثَّنَايَا ابْتِسَامًا
بِهَبَّتِهَا الرُّكْبُ مَاتُوا هَيَامًا
عَذَابُ التَّفَرُّقِ مَاتُوا⁽¹⁾ كِرَامًا
مُطَوَّقَةٌ قَدْ رَعَتْ لِي ذِمَامًا
فَأَبْكِي حَمِيمًا وَتَبْكِي حَمَامًا
فَيَهْفُو وَرَاءَ وَتَهْفُوا أَمَامًا
فَمَا سَارَ، لَكِنْ أَطَالَ الْمُقَامَا
عَلَى مَوْرِدِ الدَّمْعِ وَالْيَازِدِحَامَا
هُوَ الْقَضْدُ لِلصَّبِّ لَوْ كَانَ دَامَا
وَأَنَّى التَّفَرُّقُ إِلَّا الْهُيَامَا
جَعَلْتُ لَهُ مِنْكَ لَيْلِي خِتَامَا
وَأَسْهَرَنِي طُولَ لَيْلِي وَنَامَا
بِي الدَّهْرُ قُلْ لِي: هَوَانِي عَلَى مَا؟
وَالْأَقَابِدِلُ لِي الْمِيمِ⁽³⁾ لَامَا
يَغِبُّ وَمِیْضًا إِذَا الْبَرْقُ شَامَا
بِجَنِّي قَتَادًا وَرَأْسِي ثَغَامًا⁽⁴⁾
وَمَا صَنَعَ الْوَجْدُ عَامًا فَعَامًا

(1) كذا، ولعلها: لا قوا.

(2) في النص المحقق: جربنا.

(3) أي كن راحلاً إذا لم تكن راحماً.

(4) القتاد: نبات صلب له شوك كالأبر من الفصيلة القرنية.

والثغام: شجر أبيض ينبت في قمة الجبل. (وسيط: قتد، ثغم).

وَقَدْ حَالَ حَالَ الْحَبِيبِ الَّذِي
وَأَذْبَرَ لَيْلُ الشُّبَابِ الَّذِي
وَقَدْ بَيَّنَّ الصُّبْحُ صُبْحُ الْمَشِيبِ
وَكَمْ حَاجَةٌ لِي قَدْ أَصْبَحْتُ
فَاهَا عَلَى الْخَيْفِ آهًا وَآهًا
وَمَا فِي مِنْى مِنْ مِنْى أَيْقَظْتُ
وَكَمْ لِي فِي مَكَّةِ مِنْ عُهُودِ
الْهَفْيِ وَقَدْ بَانَ عَنِّي الْحَاطِمُ⁽¹⁾
كَأَنِّي لَمْ أَصْحَبِ الرُّكْبَ وَهَنًا
بِعُوجِ ضَوَامِرِ مِثْلِ الْقِسِيِّ
وَفُتْيَانِ صِدْقٍ إِذَا مَا سَرَوْا
تَرَاهُمْ سُكَارَى كَأَنَّ الصُّبَا
وَدَائِمَةَ السَّيْرِ أَرْمِي بِهَا
وَمِنْ أَجْلِ قَضْدِي لِبَيْتِ حَرَامٍ
وَكَمْ⁽²⁾ هَاجَتِ الشُّوقُ بِالْمُنْحَنَى
وَشَامَتْ عَلَى بَارِقٍ بَارِقًا
وَحَيْثُ الْعَقِيقُ وَقَدْ صُغْتُهُ
وَلَاخْتُ قُبَا⁽⁴⁾ وَالتَّخِيلُ الَّتِي

مَحَبَّتُهُ الدَّهْرَ كَانَتْ لِرَازِمَا
عَهْدْتُ بِهِ لِلتَّصَابِي اِكْتِتَامَا
لِغَيْرِ امْرِئٍ عَنْ هَوَاهُ تَعَامَى
تَحُجُّ خَصِيمًا بِهَا مَا اسْتَقَامَا
وَطِيبِ النَّعِيمِ بِعَرْفِ الثُّعَامَا
عُيُونُ الزَّمَانِ وَكَانَتْ نِيَامَا
نَشَدْتُ بِهَا زَمْرًا وَالْمَقَامَا
فَلَا كَانَ جَمْعِي لِدُنْيَا حُطَامَا
مُطِيلًا لَطِيبِ النَّسِيمِ انْتِسَامَا
تُسَرَّدُ لِلْبَيْدِ مِثْلًا سِهَامَا
أَثَارُوا إِذْكَارًا وَخَلُّوا زِمَامَا
أَذَارَتْ عَلَيْهِمْ مُدَامًا مُدَامَا
أَمَامَ الْحُدَاةِ عِرَاقًا وَشَامَا
خَلَعْتُ الْمَنَامَ عَلَيْهَا حَرَامَا
فَفِي مِثْلِهِ مِنْ ضُلُوعِي أَقَامَا
[سَدَى⁽³⁾] الْخَدَّ مِنِّْي وَحَلَّى الْحَزَامَا
مِنْ الدَّمْعِ وَالْيَ عَلَيْهِ انْتِسَامَا
يُطِيلُ النَّسِيمُ لَهْنًا انْتِسَامَا

(1) الحطيم: بناء أمام ميزاب الكعبة أكثر الشعراء من ذكره في المدائح والمولديات والحجازيات.

(2) في النص المحقق: ومن.

(3) كلمة غير واضحة في الأصل، وفي النص المحقق: سل، وغالب الظن أن الشاعر أراد «السدى»: أي الندى والبلل.

(4) قبا: موضع أسس فيه أول مسجد بالمدينة المنورة.

كَمِثْلِ الْعَرَائِسِ حَلَّيْتُهَا
وَبَانَ الْبَقِيعُ⁽¹⁾ الَّذِي كَانَ وَارَى
وَلَا حَتَّ بُدُورُ تُسَمَّى وَجُوهَا
وَجِئْتُ لَأَدْخُلَ بَابَ السَّلَامِ
وَزَزْتُ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ الَّذِي
أَجَلُّ النَّبِيِّينَ وَالرُّسُلِ طُرًّا
نَمَتُهُ بِهَالِيلٍ مِنْ هَاشِمٍ⁽²⁾
لِمَوْلِدِهِ قَدْ أَضَاءَ الدُّجَى
وَفِي أَوَّلِ الْأَمْرِ يَذْرِي اللَّيْبِ
كَأَنَّ الشَّرَارِيفَ⁽³⁾ هَامُ الْعِدَا
وَمَاءُ الْبُحَيْرَةِ لِلْفَرْسِ غَاضٌ
كَأَنَّ الَّذِي غَاضَ مِنْ مَائِهِمْ
وَالْأَفْنَارُهُمْ انْتَقَلَتْ
وَقَدْ غَوَّضُوا الْمَاءَ بِالدَّمَغِ كَيَّ
وَرَامُوا انْطِفَاءَ لِنَارِ الشُّجُونِ
لَطِيفَةُ سِرِّ الْجَمَالِ الَّذِي
وَلَوْلَاهُ مَا كَانَ هَذَا الْوُجُودُ
وَلَا اِزْتَسَمَتْ فِي طُرُوسِ الْعُقُولِ

بِدَمْعِي نِثَاراً وَشُعْرِي نِظَامَا
مِنَ الطَّيِّبِينَ عِظَامَا عِظَامَا
بِأَفْقِ سَمَاءٍ تُسَمَّى خِيَامَا
فَأُسْمِعْتُ قِيلاً: سَلَامَا سَلَامَا
بِرَوْضَتِهِ قَدْ جَمَدْتُ احْتِشَامَا
وَخَيْرُهُمْ أُمَّةً وَائِتَامَا
وَزَهْرُهُ أَزْهَرَ نَذْبَا هُمَامَا
وَإِيْوَانُ كِسْرَى أَرَاهُ انْهِزَامَا
بَقَاءً لِدَوْلَتِهِ وَأَنْصِرَامَا
بَرْتَهَا السُّيُوفُ فَلَمْ تُبْقِ هَامَا
وَأُطْفِئَتْ النَّارُ دَامَتْ دَوَامَا
بِنَابِعِهِ هَيْكَلُ النَّارِ عَامَا
لَأَضْلَعُهُمْ حَسْرَةً وَاغْتِمَامَا
يُزِيلُ الْأَوَامَ فَزَادَ الْأَوَامَا
فَمَا زَادَهَا الدَّمَغُ إِلَّا اخْتِدَامَا
بِبَهْجَتِهِ الْكَوْنُ رَاقٍ ابْتِسَامَا
وَلَا انْقَسَمَ الْحُسْنُ فِيهِ انْقِسَامَا
حُرُوفُ الْحَقَائِقِ مِنْهُ اِزْتِسَامَا

(1) البقيع: مكان به مقبرة شهيرة في المدينة المنورة، تضم رفاة بعض أسرة الرسول (ص) والصحابة.

(2) في النص المحقق: فلمته من بهاليل هاشم.

(3) الشراريف: كذا، ولعلها «الشوارف».

لَهُ الْقَمَرُ انْشَقَّ فِي مَكَّةَ
وَلَكِنْ هَذَا عَرَاهُ انْضِمَامًا
وَلَمَّا دَعَا اللَّهُ جَادَتْ سَحَابٌ
وَأَلْحَفَهَا فِي مَلَاءِ النَّسِيمِ
وَقَدْ قَتَلَ الْمَحِلَّ سَيْفُ الْبُرُوقِ
كَتَبَعَ أَتَمِلِهِ قَدَمَتْ
وَفِي الشَّامِ قَدْ ظَلَلَتْهُ الْعَمَامُ
سَرَتْ بَيْنَ شَمْسَيْنِ كِلْتَاهُمَا
وَلَكِنْ ذَاتِ النَّبِيِّ الشَّرِيفِ
وَقَلَّلَ فِي النَّاسِ عَدَّ الطَّعَامِ
وَحَنَّ لَهُ الْجِذْعُ مِنْ فُرْقَةٍ
وَلَوْ أَوْرَقَ الْجِذْعُ مِنْ فَرْحَةٍ
وَلَكِنَّهُ فِي جَنَانِ الْخُلُودِ
وَيَا لَكَ مِنْ عَاقِبٍ حَاشِرٍ
لَأَنْصَارِهِ الْفَخْرُ جَدُّ التَّحَافِ
هُمْ مَا هُمْ وَالْقَنَا شُرْعٌ
هُمْ مَا هُمْ وَالشَّرَى ظَامِيءٌ
وَلِلَّهِ سَعْدٌ وَمَنْ عَادَهُ
وَقَدْ قَالَ: قُومُوا لِسَيِّدِكُمْ

كَقَلْبِ الْعَدُوِّ الَّذِي فِيهِ لَأَمَّا
وَمَا انْضَمَّ قَلْبُ الْعَدُوِّ انْضِمَامًا
بِوَدْقٍ تَخَلَّلَ مِنْهَا رُكَامًا
جَوَارِي مُزْنٍ تَبَارَتْ سِجَامًا
وَوَالَتْ عَلَيْهِ الْعَوَادِي اقْتِحَامًا
إِلَى الْعَدَدِ الْجَمِّ مِنْهَا جَمَامًا
فَيَا شَرَفَ اللَّهِ تِلْكَ الشَّامَا
بِنُورٍ وَهْدِي يَسُرُّ الْأَنَامَا
مِنْ الشَّمْسِ أَجْلَى وَأَعْلَى مَقَامَا
وَكَثُرَ بِاللَّمْسِ مِنْهُ الطَّعَامَا
[.....⁽¹⁾] اما
لَأَوْرَقَ لَمَّا رَأَاهُ التَّيْرَامَا
سَيُورِقُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى مَا
يُطِيلُ بِحَبْلِ الْإِلَهِ اغْتِصَامَا
بِزُهِرِ الثُّجُومِ وَجَلَّ التَّحَامَا
بِحَيْثُ الْجَمَامِ يَدْعُ الْجَمَامَا
إِذَا الْأَرْضُ بِالْمَحِلِّ عَادَتْ قَتَامَا
رَسُولُ الْإِلَهِ وَأَبْدَى إِلَّا اخْتِرَامَا
فَلَا شَخْصَ فِي الْقَوْمِ إِلَّا وَقَامَا

(1) بياض في الأصل.

وَلِلَّهِ قَيْسٌ⁽¹⁾ الْكَرَامِ ابْنُهُ
 هُمَا الْمُنْتَجَانِ⁽²⁾ لَخَيْرِ الْمُلُوكِ
 بِأَنْذَلْسِ أَتْلُوا دَوْلَةَ
 بَنُو نَضْرِ النَّاصِرُونَ الْأَلَى
 وَوَالُوا بِبَيْضِ الظُّبَا وَالْعَوَالِي
 هُمُ الْقَوْمُ أَفْضَلُهُمْ يُوسُفُ
 وَمِنْ بَغْدِهِ خَيْرُ أَمْلَاكِهِمْ
 أَجَلُ السَّلَاطِينِ شَرْقاً وَغَرْباً
 إِذَا مَا شَكَتْ خَيْلُهُ غُلَّةً
 نَوَالٍ كَمَا بَاكَرَتْ دِيَمَةً
 وَبَأْسٌ كَمَا لَفَحَتْ جَمْرَةً
 وَحِلْمٌ لَوْ الْخَمْرُ شَيِبَتْ بِهِ
 هُمَامٌ كَرِيمٌ أَنْالَ اللَّهُي⁽⁴⁾
 وَخَاصَمَ بِالسَّيْفِ فِي حَقِّهِ
 وَلَمْ تَرَ عَيْنِي كَمِثْلِ السُّيُوفِ
 وَقَدْ غَابَ فِي الْغَرْبِ مِثْلَ النُّجُومِ
 وَصَيَّرَ غَرْزَاطَةَ الْمُلِكِ نُوراً

أَمِيرٌ سَمَا هِمَّةً وَاهْتِمَاماً
 ضَخَاماً تَفُوقُ الْمُلُوكَ الضُّخَاماً
 لِأَزْكَانِيهَا السَّغْدُ وَالْيَ اسْتِلاماً
 مِنَ الْكَافِرِينَ أَطَالُوا انْتِقَاماً
 ضِرَاباً فُرَادَى وَطَعْناً تَوَاماً
 إِمَامٌ صُعُودِ السُّعُودِ اسْتِدَاماً
 مُحَمَّدُ الصَّغْبِ فِيهِمْ مَرَاماً
 وَأَصْدَقَهُمْ فِي الْحُرُوبِ التِّزَاماً
 أَرَاقَ الْمِيَاهِ وَسَلَّ الْحَسَامِ
 فَوَشَّتْ أَبَاطِحَهَا وَالْأَكَامِ
 مِنَ الْقَاضِيَاتِ تَزِيدُ اضْطِرَاماً
 لَمَّا⁽³⁾ أَسْكَرَتْ بِالْكُؤُوسِ النَّدَامِ
 وَجَهَّزَ لِلْحَرْبِ جَيْشاً لَهَا مِ
 فَيَا فَوْزَهُ عِنْدَ ذَلِكَ اخْتِكَامِ
 مُخَاصَمَةً إِنْ أَرَادَتْ خِصَامِ
 وَلَكِنَّهُ عَادَ بَذْراً تَمَامِ
 وَكَانَتْ بِجُورٍ وَظَلَمٍ ظَلَامِ

(1) قيس هو: ابن سعد بن عبادة، وذكرهما يتكرر كثيراً في مدائح بني نصر لأنهما الأصل الذي يفخر النصريون بالانتماء إليه.

(2) في الأصل: هم المنتجان، وفي النص المحقق: هم المنتجون.

(3) في النص المحقق: «كما».

(4) في النص المحقق: «النهى».

هُوَ الْبَحْرُ⁽¹⁾ لَكِنْ لَهُ الدَّرُّ مِنْ
هُوَ الْبَذْرُ لَكِنْ لَهُ الْأَقْتُ مِنْ
بَسَاطُ شَرِيفٌ تَوَدُّ النُّجُومُ
يُلَامَ عَلَى الْجُودِ لَكِنَّهُ
عَجِبْتُ لِكَفِّ لَهُ وَهُوَ نَارٌ⁽²⁾
إِمَامٌ حَمَى الدِّينَ مِنْ بَعْدِ أَنْ
وَعَادَ بِهِ مَوْلِدُ الْمُضْطَفِّ
أَعَدَّ لَهُ مَشُورًا خَلَّتْهُ
تُتُوبُ الشُّمُوعُ مَنَابِ النُّجُومِ
كَمَا نَابَ وَجْهُ الْإِمَامِ ابْنِ نَضْرِ
وَقُلْتُ هُوَ الْعَابُ قَدْ حَلَّه
وَمَا الشُّبْلُ إِلَّا أَمِيرٌ نَجِيبٌ
وَفَزَعٌ كَرِيمٌ وَأَضَلَّ زَكِيٌّ
وَيَا لَكَ مِنْ مَشُورٍ أَفْقُهُ
بِهِ قُبَّةُ النَّضْرِ مَشْهُودَةٌ
تَطْلَعُ مِنْهَا⁽⁴⁾ إِمَامٌ شَجَاعٌ
وَأَنَّهُدَ مِنْهَا لِأَهْلِ الْخِلَافِ
فَسُرْعَانَ مَا فَرَّقَتْ شَمْلَهُمْ
وَقَدْ أَخْفَرُوا عَهْدَ خَيْرِ الْمُلُوكِ

كَلَامٌ يَفُوقُ الْعُقُودَ انْتِظَامًا
بَسَاطٌ يُسَامِي وَمَا إِنْ يُسَامَى
حُلُولًا بِهِ مَا ثَلَاثَ قِيَامَا
مَلَامٌ يُفِيدُكَ أَنْ لَا يُلَامَا
لَدَى حَرْبِهِ كَيْفَ أَبَقْتُ ضِرَامَا
رَأَى مِنْ عِدَاةِ الطُّغَاةِ اهْتِضَامَا
يُقَامُ وَحَقٌّ لَهُ أَنْ يُقَامَا
سَمَاءٌ مِنْ اخْتَلَّهَا لَنْ يُضَامَا
بِهِ وَالْوُجُوهُ تَبَدَّتْ وَسَامَا
عَنِ الْقَمَرِ التَّمَّ هَابَ الْإِمَامَا
مَعَ الشُّبْلِ لَيْتَ عَنِ الشُّبْلِ حَامَا
وَمَا اللَّيْتُ إِلَّا إِمَامٌ تَسَامَى
لِشَمْلِهِمَا⁽³⁾ الْمُلْكُ أَبْدَى التَّامَا
بِدُخْنَةِ عَنَبَرِهِ قَدْ أَغَامَا
وَتِلْكَ الَّتِي قُرْبُهَا لَنْ يُرَامَا
أَقَامَ الْحُرُوبَ لِمَنْ كَانَ قَامَا
جِيُوشًا كَمَوْجِ الْبِحَارِ التِّطَامَا
وَسَامَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ انْهَزَامَا
وَمَنْ يَخْفِرُ الْعَهْدَ يَلْقَ أَثَامَا

(1) في المصدر السابق: «النجم».

(2) محل التعجب أن يقول: «وهو غيث» أو ما في معناه.

(3) النفاضة: لشمْلها.

(4) منها: ساقطة من النص المحقق.

وَمِنْ عَهْدِ سَعْدٍ وَنَضْرٍ مَعَا لِمَنْ أَنْجَبَا السَّعْدُ وَالنَّضْرُ دَامَا
أَمْوَلَايَ خُذْهَا تَرَوْقُ افْتِتَاحَا بِمَدْحِ الرَّسُولِ وَتَزْهَى اخْتِتَامَا
مِنْ الْعَاطِرَاتِ الشَّدَى خِلْتُهَا خَمِيلَةَ زَهْرٍ أَظْلُتْ⁽¹⁾ نَدَامَا
وَمَنْ يَغْتَنِمِ بِالْمَدِيحِ الْعَطَايَا فَإِنِّي اغْتَنَمْتُ الْأَجُورَ اغْتِنَامَا
بَقِيَتْ مَدَى الدَّهْرِ فِي دَوْلَةٍ تُنِيلُكَ فِي الرُّومِ مَا السَّيْفُ رَامَا
وَصَلَّى إِلَهُهُ عَلَى الْمُضْطَفَى صَلَاةَ تَدْوَمُ وَوَالَى السَّلَامَا

80

«وقال أيضاً^(*): [وافر]

بَكْتُ شَجْنًا فَقَاضَ الدَّمْعُ يَحْكِي يَتَامَى الدُّرُّ إِذْ يَهْمِي⁽²⁾ تُوَامَا
وَسَلَّتُ مِنْ مَحَاجِرِهَا سُيُوفًا فَخِفْتُ عَلَى الْمَحَاجِرِ وَالْيَتَامَى

81

وقال في الحافظ علم الدين أبي القاسم محمد بن يوسف البرزالي^(**):
[بسيط]

نَوَى الثَّوَى عِلْمُ الدِّينِ الرُّضَى فَأَنَا مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِ بِالشَّامِ ذُو أَلَمِ
فَلَا تَلُمْنِي عَلَى حُبِّي دِمَشْقَ فَقَدْ أَضْبَحْتُ فِيهَا زَمَانًا صَاحِبَ الْعِلْمِ

(1) في الأصل: أطلت.

(*) الكتيبة: 268، والنفع: 115/7.

(2) النفع: يهوي. وفي البيت الثاني تورية، إذ المحاجر هم الأطفال الذين يكونون في حضن مربيهم ومتولي أمرهم بعد وفاة عائلهم الأول. والمحاجر أيضاً: العيون وما دار بها.

(**) النفع: 110/7، والبرزالي: أحد ثلاثة من أعلام دمشق في القرن الثامن لقيهم ابن الحاج أثناء رحلته المشرقية وأخذ عنهم ومدحهم وهم الذهبي والمري وعلم الدين البرولي هذا. انظر ترجمته في:

وقال فيه أيضاً(*) : [بسيط]

نَوَى النَّوَى عِلْمُ الدِّينِ الرِّضَى فَذَكَتْ نَارُ اشْتِيَاقِي حَتَّى اسْتَغْظَمُوا أَلَمِي
فَقُلْتُ: إِنِّي مِنْ قَوْمٍ شِعَارُهُمْ جُودٌ فَلَا تُنْكِرُوا نَارِي عَلَى الْعَلَمِ

«وقال(**) : [طويل]

أَلَا مُغْصِمٌ لِلصَّبِّ مِنْ وَشِيٍّ مُغْصِمٍ أَطَلْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةَ الْمُتَوَسِّمِ
فَأَبْقَتْ بِهِ عَيْنِي حُلَى مِنْ سَوَادِهَا وَبَعْضَ سَوَادٍ وَسَطَ قَلْبِي الْمُتَيِّمِ
وَلَيْسَ خِضَاباً مَا عَلَاهُ وَإِنَّمَا جَرَى فِيهِ بَعْدَ الدَّمْعِ مَا عَزَّ مِنْ دَمِي
وَلَمْ يُغْدِ مِنِّي اللَّوْنُ لَوْنُ سَوَادِهِ خَلَا أَنَّنِي أَشَقَى وَقِيلَ لَهُ: انْعَمِ

(*) النفع : 110/7.

(**) النفع : 116/7-117.

النون

84

وقال(*) : [رجز]

وَعَارِضٌ فِي خَدِّهِ نَبَاطُهُ بِحُسْنِهِ بَيْنَ الْوَرَى يَسْحَرُنَا
أَجْرَى دُمُوعِي إِذْ جَرَى شَوْقًا لَهُ فَقُلْتُ: «هَذَا عَارِضٌ مُمְطِرُنَا»⁽¹⁾

85

وقال وهو ظريف(**) : [كامل]

قَدْ قَارَبَ الْعِشْرِينَ ظَبْيِي لَمْ يَكُنْ لِيَرَى الْوَرَى عَنْ حُبِّهِ سُلُوءَانَا
وَبَدَا الرَّبِيعُ بِخَدِّهِ فَكَأَنَّمَا وَافَى الرَّبِيعُ يُنَادِمُ التُّغَمَّانَا

86

وقال(***) : [كامل]

النُّومُ عَنْ إِنْسَانٍ عَيْنِي نَافِرٌ كَالْوَحْشِ لَيْسَ يُقَارِبُ الْإِنْسَانَا
وَالدَّمَعُ مِنْهَا طَافَ طَوْفَانًا فَلَا عَجَبٌ إِذَا مَا غَرَّقَ الْأَجْفَانَا

(*) الإحاطة : 349/1، وجذوة الاقتباس : 96/1، والنفع : 111/7.

(1) في هذا الشطر تورية، وفيها اقتباس من قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمְطِرُنَا﴾ (الأحقاف : 24).

(**) الإحاطة : 350/1، والنفع : 111/7 (ووصفه بالنظم البديع)، وجذوة الاقتباس : 96/1.

(***) النفع : 114/7.

«وقوله (*) : [طويل]

وَحَقَّقْكُمْ مَا زِلْتُ أَسْمَعُ عَنْكُمْ أَحَادِيثَ فَضْلٍ كُلُّهُنَّ حَسَنٌ
إِلَى أَنْ حَدَّثَنِي الشُّوقُ نَحْوَ دِيَارِكُمْ فَأَزْبَى عَلَيَّ مَا قَدْ سَمِعْتُ عَيَانُ

وقال أيضاً (**): [طويل]

أَطَارَ الْكَرَى عَنْ مُقْلَتِي طَائِرُ الْبَانِ وَبِالْوَجْدِ أَفْتَانِي بِمُورِقِ أَفْتَانِ⁽¹⁾
وَلَا حَ بِأَعْلَى الْأَجْرَعِ الْفَزْدِ⁽²⁾ بَارِقُ بِسُفْمِي أَعْيَانِي وَعَيْرَ أَعْيَانِي
وَهَيَّجَ أَضْغَانِي فَمَا غَيْرُ لَاعِجِ⁽³⁾ مِنَ الشُّوقِ أَعْطَانِي بِأَرْحَبِ أَعْطَانِ
وَحَطَّ بِحَبْرِ الدَّمْعِ مَا شَاءَهُ هَوَى إِلَى الْمَجْدِ رَقَّانِي بِخَدِّي رَقَّانِ
وَأَعْدَمَنِي التَّسْهِيدُ صَبْرِي وَالْكَرَى فَلِي حَيْثُ أَخْرَانِي سَيَكْتُبُ أَخْرَانِي
وَمَا رَقَّ لِي إِلَّا النَّسِيمُ الَّذِي سَرَى فِي كُلِّ أَحْيَانِي بِرِيَّاهُ أَحْيَانِي
وَمَا كَانَ أَنْسَانِي لَوْ اخْتَرْتُ سُلُوءَ وَمَا كَانَ أَجْفَانِي وَأَنْحَلَ أَجْفَانِي

(*) مسالك الأبصار: 215/17.

وفي تزيين فلانند العقيان لابن زاكور (خ) بيتان يشبهان هذين هما:

كَانَتْ مُسَاءَلَةُ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنَا عَنْ قَاسِمِ بْنِ عَلِيٍّ أَطْيَبَ الْخَبَرِ
حَتَّى التَّقِينَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَذْنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَرَّبَ الْبَصَرِ

وفي البيتين إقواءً ظاهر، فلو قال:

حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما شمت بالبصر

لسلم منه، ولعله كذلك في الأصل، أو يكون المراد: قرَّ بالبصر.

(**) مزاين القصص: ق 19.

(1) أفنى الشيء: أنهى وجوده، والأفنان: الأغصان المستقيمة.

(2) الأجرع الفرد: المكان الواسع الذي فيه خشونة وانفراد وتوحد.

(3) اللاعج: الهوى المحرق. والأعطان: جمع عطن، يقال للإنسان واسع العطن أي واسع الصبر والحيلة.

وَدُونَ الْجَمَى بِالرَّقْمَتَيْنِ⁽¹⁾ مَنَازِلُ
 مَنَازِلُ أَجْرَى الدَّمْعِ مِنْ أَجْلِهَا دَمًا
 وَمِثْلِي وَجَدْتُ أَخْرَقَ الْبَرْقُ جَنِبَهُ
 وَهَبَ النَّسِيمُ الْحَاجِرِيَّ مُحْمَلًا
 فَجَمَعْتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ ذَلِكَ مِنْ
 وَرَدِّ الصَّبَا وَهَنَا رَسُولٌ مِنَ الصَّبَا
 وَيَا رَبُّ طَيْفٍ طَافَ بِي مُتَهَلِّلًا
 وَأَظْهَرَ مِنْ خَدِّ مُفَتِّحِ وَرْدَةٍ
 وَعَنَى عَلَيْهِ الْحَلِيَّ وَالْقُدَّ مَائِسُ
 وَمَا رَاعَنِي إِلَّا الْخُدَاةُ هَفَّتْ بِهِمْ
 كَأَنَّ الْفَلَاحَ وَالْبَيْدَ مُنْذُ حَوْتِهِمْ
 كَأَنَّ الدُّجَى فِي مَجْمَرِ الْبَرْقِ عَنَبَرُ
 كَأَنَّ انْصِدَاعَ الْفَجْرِ نَهْرُ حَدَائِقِ
 كَأَنَّ ضِيَاءَ الصُّبْحِ وَالشَّمْسَ بَعْدَهُ
 نَبِيٌّ كَرِيمٌ طَابَ حَيًّا وَمَيِّتًا

بَدَتْ كُثْبًا لِلصَّبِّ مَا بَيْنَ كُثْبَانِ
 فَحَلَيْتُهَا مِنْهُ بَدْرٌ وَعَقِيَانِ
 عَلَيْهِ وَهَزَّ الْبَانُ أَغْطَافَ⁽²⁾ أَغْصَانِ
 أَحَادِيثُ نِعَمٍ حِينَ مَرَّتْ بِنُعْمَانِ⁽³⁾
 دُمُوعِي وَهَازِي مِنْ لَوَاعِجِ أَشْجَانِي
 بِمَمَشَاهُ أَرْضَانِي فَخَدَّيْ أَرْضَانِ
 وَبِالْجَزَعِ حَيَّانِي وَدُونِي حَيَّانِ
 وَمِنْ أَتْمَلِ رَخِصٍ مُعَلَّقَ سَوْسَانِ
 فَقُلْتُ حَمَامَ فَوْقَ غُضَنِ بِبُسْتَانِ
 مَعَ الصُّبْحِ ذَكَرَى لَمْ تَدْعُ غَيْرَ وَلَهَانِ
 قُلُوبٌ حَوَتْ أَسْرَارَ حُبٍّ وَعِزْفَانِ
 يَضُوعُ⁽⁴⁾ شَدَاهُ بَيْنَ نُذْمَانِ شُهْبَانِ
 سَقَى زَهْرَهَا أَوْ دَمْعُ أَحْدَاقِ هَيْمَانِ
 هِدَايَةُ خَيْرِ الْخَلْقِ مِنْ آلِ عَدْنَانِ
 فَزَائِرُهُ جَانِ ثِمَارِ الْمُتَنَّى جَانِ

(1) الرقمتان: روضتان في البصرة ونجد، وقيل هما بناحية الصمان. (اللسان، والتهذيب).

وجاء في معجم البلدان 58/3 أنهما قريتان بين البصرة والنباج. . . وهما منزل مالك بن الشريف والمأزي، وفيهما يقول:

فلله دري يوم أترك طائعاً بُليّ بأعلى الرقمتين ومالياً

(2) في الأصل: أعطف.

(3) قال في معجم البلدان 146/5: «وهي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة» وتسمى معرة النعمان أيضاً.

(4) في الأصل: تضوع.

رُؤْفَ رَجِيمٍ خُصَّ بِاسْمَيْنِ عَظُمَا⁽¹⁾
رَسُولٌ أَتَى لِلْخَلْقِ أَجْمَعَ رَحْمَةً
بِهِ بَشَّرَ الْإِنْجِيلُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ
وَأَخْبَرَ يُوسُفَ⁽³⁾ جَدَّهُ بِظُهُورِهِ
إِلَى أَنْ أَرَاهُ اللَّهُ مَوْلِدَهُ الَّذِي
وَأَمْنَةً أَضَحَّتْ بِهِ وَهِيَ كَاسِمِهَا
فَكَانَ أَخَفَّ النَّاسِ حَمَلًا بِبَطْنِهَا
وَلَمَّا دَنَا وَفَتْ الْوِلَادَةَ أَبْصَرَتْ
وَضَاءَتْ لِمَنْ بِالشَّعْبِ مِنْ أَرْضِ مَكَّةِ
وَإِيوَانُ كِسْرَى ارْتَجَّ كُلُّ ارْتِجَاجَةٍ
وَأُطْفِيتِ النَّيِّرَانُ نَيْرَانُ فَارِسِ
وَكَمْ حَارَ فِي عَضْرِ الصُّبَا مِنْ فَضَائِلِ
وَلَمَّا أَتَاهُ الْوَحْيُ أَعْطَاهُ رَبُّهُ
وَأَيَّدَهُ بِالْمُعْجَزَاتِ رَوَاتِقًا
وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ آيَةٍ
وَشَقَّ لَهُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ بِمَكَّةِ

لَأَنَّهُمَا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ اسْمَانِ
وَجَاءَ بِئُورٍ لِلْأَنَامِ وَفُرْقَانِ
وَبَشَّرَ[تِ]⁽²⁾ التَّوْرَةُ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ
غَدَاةً أَتَاهُ وَهُوَ فِي رَأْسِ غَمْدَانِ
أَرَى خَيْرَ مِصْبَاحٍ بِمِشْكَاةِ أَكْوَانِ
وَمَا أَمِنْتُ ضُرًّا حَوَامِلُ إِنْسَانِ
وَأَثَقَلَهُمْ وَطَأً لِأَحْزَابِ⁽⁴⁾ شَيْطَانِ
عَجَائِبَ لَمْ تَطْرُقْ جَنَابًا لِأَذْهَانِ
قُصُورٍ بِبُضْرَى مِنْ أَقَالِيمِ حَوْرَانِ⁽⁵⁾
وَكَانَ كَمَا تَزْوِيهِ أَغْظَمُ إِيوَانِ⁽⁶⁾
وَمُذْ أَلْفِ عَامٍ وَاصَلْتُ وَقَدْ نَيْرَانِ
تَأَدَّتْ لَنَا مِنْ بَيْنِ مَثْنَى وَوِخْدَانِ
عَطَاءَ حِسَابًا لَمْ يُعَارِضْ بِحُسْبَانِ
فَتُوقَ ضَلَالٍ قَدْ أَضَلَّ وَكُفْرَانِ
تَجَلَّتْ فَلَمْ تُنْكِرْ سَنَا الصُّبْحِ عَيْنَانِ
فَقَالَ اشْهَدُوا لَمَّا بَدَا وَهُوَ نِصْفَانِ

(1) الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

(2) زيادة في الأصل.

(3) خلل في الوزن لا يستقيم بغير تسكين يوسف.

(4) لأحزاب: ويمكن أن تقرأ «لأضراب» لأن النقطة جاءت متوسطة بين الحرفين، والمعنى صحيح فيهما.

(5) بصرى وحوران.

(6) إيوان كسرى قصره ومستقر حكمه، وقد تحدثت بعض كتب السيرة عن ارتجائه ليلة المولد النبوي كما تحدثت عن المعجزات بعامة بعض كتب الحديث ومنها البخاري في مواضع مختلفة.

وَقَاضَتْ بِعَذَابِ الْمَاءِ مِنْهُ أَصَابِعُ
وَسَبَّحَ فِي يُمْنَاهُ كَفٌّ مِنَ الْحَصَى
وَحَنَّ إِلَىهِ الْجِدْعُ وَاشْتَدَّ حُزْنُهُ
كَأَنَّ الَّذِي غَنَّتْ بِهِ وَهُوَ نَاعِمٌ
رَسُولُ أَبَانَ الْفَضْلَ فَضْلَ صَحَابَةِ
وَأَثْنَى عَلَى الْأَنْصَارِ فَوْقَ ثَنَائِنَا
مُلُوكِ بَنِي نَضْرٍ وَحَسْبُكَ أَنَّهُمْ
هُمْ أَنْجَبُوا خَيْرَ الْمُلُوكِ مُحَمَّدًا
تَيَسَّرَتْ الْأُمُورُ لِلْخَلْقِ إِذْ دَنَا
هُمَامٌ كَأَنَّ الْأَرْضَ إِنْ سَارَ مَسْمُوعٌ
إِذَا افْتَرَّ ثَغْرُ الْحَرْبِ كَانَتْ سُيُوفُهُ
وَإِنْ أَبْرَزَتْ كَفًّا لَهَا فَرِمَاحُهُ
وَتُرْسِلُ شِغْرًا مِنْ عَجَاجِ خِيُولِهِ
حَبِيبٌ إِلَى الْأَوْطَانِ عَادَ وَإِنَّمَا
وَمَدَّتْ لَهُ غَرْنَاطَةٌ أَيَّ مِغْصَمٍ
وَأَبَدَتْ مِنَ الْحَمَرَاءِ أَبَدَعُ مَفْرِقٍ
وَمَا أَبْصَرَتْ عَيْنٌ كَمِشُورِهَا الَّذِي
مُنِيفٌ عَلَى كُلِّ الْمَصَانِعِ شَادَهُ

سَقَتْ كُلَّ حَرَّانِ الْجَوَانِحِ عَطْشَانَ
بِمَرَأَى أَبِي بَكْرٍ وَمَخْضَرٍ⁽¹⁾ عُثْمَانَ
وَمِنْ قَبْلُ لَمْ تَشْكُ الْجُدُوعُ بِفُقْدَانِ
مِنَ الْوُزْقِ أَعْدَتُهُ بِفَادِحِ أَحْزَانِ
أَطَاعُوهُ فِي سِرِّ كَرِيمٍ وَإِعْلَانِ
عَلَى عَقَبِ الْأَنْصَارِ فِي الزَّمَنِ الثَّانِي
لَأَكْرَمَ مَنْ أَجْرَى الْجِيَادَ بِمَيِّدَانِ
رَفِيعِ الْعُلَا وَالْقَدْرِ وَالصَّيْتِ وَالشَّانِ
وَلَا غَرَوُ وَالتَّيْسِيرُ يُنْسَبُ لِلدَّانِي⁽²⁾
بِهِ مِنْ صَهِيلِ الْخَيْلِ أَبْدَعُ أَلْحَانِ
ثَنَائًا لَهُ وَالْبَرْقُ ذَوْبَ الدِّمِ الْقَانِ
أَنَامِلُ ذَلِكَ الْكَفِّ مُدَّتْ لِشُجْعَانِ
تُرَجَّلُهُ أَيْدِي نُسُورٍ وَعُقْبَانِ
هُوَ الرُّوحُ كُلُّ الرُّوحِ عَادَتْ لِجُثْمَانِ
مِنَ النَّهْرِ بِالْوَشْمِ النَّسِيمِيُّ مُزْدَانِ
عَلَيْهِ مِنَ الْأَبْرَاجِ أَبْدَعُ تَيَجَّانِ
تُنَاسِبُهُ فِي رِفْعَةٍ هِمَّةُ الْبَانِي
فَتَى الْجُودِ وَالْعَلْيَاءِ مِنْ نَسْلِ كَهْلَانِ⁽³⁾

(1) في الأصل: ومحظر، وهو تصحيف.

(2) كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني والمتوفى سنة أربع وأربعين وأربعمئة هـ، وهو حجة في القراءات، وله رحلة إلى المشرق. (ترجمته في: الصلة: 385، وجذوة المقتبس: 286، وبغية الملتبس: 1185، والنفع: 135/2، وغاية النهاية: 503/2).

(3) المغنى: المنزل الذي غني به أهله.

فَمَا لَبَنِي الْعَبَّاسَ فَخَرُ بِمَا بَنُوا
وَلِلَّهِ فِي مَعْنَاهُ^(١) لَيْلَةٌ سَابِعِ
بِهَا تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ ثُمَّ بِذِكْرِهَا
فَلَا زَالَ مَوْلَانَا الْإِمَامُ ابْنُ يُوسُفَ^(٢)
وَأَخْتِمُ نَظْمِي بِالصَّلَاةِ عَلَى الَّذِي
وَدَامَ الرُّضَى عَنْ آلِهِ أَنْجُمِ الْعُلَا

وَلَا لِلْمُلُوكِ الصُّيْدِ مِنْ آلِ مَرْوَانَ
فَحْيَا بِرُوحِ لَا يَزَالُ وَرَنَحَانِ
يُزْمِزِمُ حَادِي الرُّكْبِ مَا بَيْنَ أَظْعَانِ
أَمِيرًا وَسَلْطَانًا عَلَى كُلِّ سُلْطَانِ
أَتَى خَاتِمًا لِلرُّسُلِ فِي خَيْرِ أَرْمَانِ
وَأُضْحَاهِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانِ

89

«وقال، وقد جاء الشاعر أبو العباس أحمد بن عبد المنان إلى بيت الكتاب
وفي عينه خضرة^(*)»: [متقارب]

أَيَا أَحْمَدُ الْمُرْتَضَى لِلْعُلَا
وَمَنْ حَاذَى فِي صُنْعِهِ كُلَّ زَيْنِ
تَرَأَيْتَ فِي الْعِلْمِ رَوْضًا نَضِيرًا
فَلَا تُنْكِرُنْ خُضْرَةَ حَوْلَ عَيْنِ

90

«وله فيه^(**)»: [طويل]

لَكَ الْخَيْرُ عَدَمُ السَّبْكِ أَبْدَلُ نَاطِرِي
وَلَا تُنْكِرُوا مَا رَاعَ مِنْ ذَاكَ إِنْ نِي
زُمُرْدَةً مُخْضَرَّةً مِنْ لُجَيْنِهِ
لَصَائِغُ تَبْرِ الْقَوْلِ نَاقِدُ شَيْنِهِ
وَلَا عَجَبُ إِنْ أَعْوَزَ السَّبْكِ صَائِغًا
فَأَوْجَبَ عَدَمُ السَّبْكِ خُضْرَةَ عَيْنِهِ

(١) انظر بطون كهلان من القحطانية في: العبر: 285/2.

(٢) الإشارة إلى محمد بن يوسف، الغني بالله.

(*) النفع: 117/7. وابن المنان: شاعر مكناسي الدار أندلسي الأصل، توفي بفاس سنة اثنتين وتسعين
وسبعمئة، وكان من كتاب المرينيين. (ترجمته في: نشير الجمان: 314، ونشير فرائد الجمان:
349، وجذوة الاقتباس: 60، ودرة الحجال: 24/1).

(**) النفع: 117/7.

«وقوله(*) : [خفيف]

لِي جَفْنٌ إِذَا ذُكِرَتْ مَعِينٌ لَيْسَ يَأْتِي إِلَّا بِدَمْعٍ هَتُونٍ
جَرَحَ الْخَدَّ رَاوِيًا وَهُوَ لَا يُنْمُ سِكَ عَنْهُ لِأَنَّهُ ابْنُ مَعِينٍ»

«وقال رحمه الله تعالى(**) : [طويل]

وَلَوْلَا ثَلَاثٌ جَاءَ جَبْرِيلُ سَائِلًا لِخَيْرِ الْوَرَى عَنْهَا لَأَثَرْتُ فُقْدَانِي
مَقَامَاتٍ إِسْلَامٍ أَرِيدُ بِفِعْلِهِ ثَوَابًا، وَإِيمَانٍ أُدِيمَ وَإِحْسَانٍ

«ومن قوله يرثي خاله الفقيه الكاتب أبا عبد الله محمد بن محمد بن عاصم بن محمد بن أبي عاصم القيسي، وهي قصيدة بارعة(***) : [طويل]

هُوَ الْخَطْبُ هَلْ عَجَّتْ بِهِ قَيْسُ عَيْلَانَ⁽¹⁾ [عَجِيجَ]⁽²⁾ الْحَجِيجِ اسْتَقْبَلُوا شُغْبَ نُعْمَانٍ
وَهَلْ تَرَكُّوا حُمْرَ الْقَبَابِ لَوْقَعِهِ سَوَارِي فِي لَيْلِي هُمُومٍ وَأَحْزَانٍ
وَهَلْ غَادَرُوا الْجُرْدَ الْجِيَادَ خَوَابِطًا كَمَلَقَى سُيُوفٍ أَوْ عَوَامِلٍ مُرَّانٍ⁽³⁾

(*) مسالك الأبصار 215/17. وقد التزمت ضبطه، ولو كسرت القافية لكانت أفضل إيقاعاً من تقييدها.
(**) النفح: 120/7. وفيه رفع المحقق «الإيمان والاحسان» على الاستئناف، وعطفتهما على الإسلام لأنه ثالث هذه المقامات فجررتهما.

(***) نثر فرائد الجمان: 314. وترجمة خاله تقدمت في حاشية القطعة رقم:

(1) قيس عيلان: أبو قبيلة من مضر، ويقال: إن اسمه الناس بن مضر بن نزار، وإن قيساً لقبه.
(العبر: 351/2).

(2) في الأصل: نشيج وبسيج، وفي الحاشية «واقراً عجيج» وهو الصواب موافقة للمعنى وربطاً
«بعججت» في الشطر الأول.

(3) المران: الرماح الصلبة اللدنة، والعامل من الرمح أعلاه، مما يلي السنان بقليل. (اللسان،
ووسيط: مرن، وعمل).

مَضَى رَبُّ قَيْسٍ، وَابْنُ رَافِعٍ مُجِدِّهَا
 مَضَى الْفَارِسُ الْمِغَوَّارُ يَزْحَفُ لِلْوَعَى
 مَضَى الْعَالِمُ الْبَحْرُ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ
 أَرَى الْحَيَّ قَدْ أَكْدَى الرُّكَّائِبَ بَعْدَهُ
 وَشَبُّوا لِمَنْ أَمْثُوا الْمَفَاوِزَ فِي الدُّجَى
 وَسَالَ دَمُ الْأَجْفَانِ وَالْكَرَمِ حَيْثُ لَمْ
 نَشْدُتْكُمْ هَلْ طَابَ لِلْعَيْسِ وَرِزْدُهَا
 وَهَلْ أَزْضَعَتْ أُمُّ الْحَوَارِ حَوَارَهَا
 وَهَلْ رَجَعَتْ أَيْدِي الْكُمَاةِ سُيُوفَهَا
 أَلَا إِنَّ قَيْسًا بَعْدَ يَوْمِ ابْنِ عَاصِمٍ
 وَتَبَا لِدَهْيَاءِ اسْتَطَارَ شَرَارُهَا
 فَقَدَنَ الْأَغْرَّ التُّدْبَ لَاحَتْ قِبَابُهُ
 وَلَمْ أَرِ يَا لِلْقَوْمِ غَيْرَ مُصَابِهِ
 بَكَتْ مُضَرُّ الْحَمْرَاءِ مِنْهُ ابْنَهَا الَّذِي
 وَكَرَّ إِلَى إِخْوَانِهِ مُوقِظَ الْأَسَى
 وَعَامِلَةٌ لَمْ يُلَفَ مِنْ عَمَلٍ لَهَا
 وَأَثْقَلَ بَثُّ الْخَزَرَجِيِّينَ كَاهِلًا
 وَفِي كَلْبٍ اضْطَفَّتْ عَلَيْهِ نَوَائِحُ

ثُمَّالَ مَعْدُ حَيْثُ كَانَ وَعَدْنَانِ
 عَلَى كُلِّ مُسَوِّدِ النَّوَاشِرِ حَسَّانِ
 رَقَابُ الْمَعَانِي فَهِيَ وَالْجَيْشُ سَيَّانِ
 بِمُشْكِلِ نَوْحٍ لَا يَحْدُو وَالْحَنَانِ
 مِنَ الْحُزْنِ وَالْبَلَوَى مَوَاقِدَ نِيرَانِ
 تَزَلُّ تَزَحُّمُ الضَّيْفَانِ أَمْوَاجَ ضَيْفَانِ
 وَهَلْ رَاقَهَا مَرْعَى لِجَحْمِضٍ وَسَعْدَانِ
 وَأَفْهَقَ مِنْ رَسَلٍ عَلَى الشُّوْلِ فَقَهَّانِ⁽¹⁾
 وَقَرَّ الْأَصَمُ الصَّرْفُ فِي كَفِّ شَيْحَانِ
 لِأَنْضَاءِ أَحْزَانِ، وَأَذْوَاءِ فُقْدَانِ
 كَمَا لَعِبَتْ هُوجُ الرِّيَّاحِ بِكُثْبَانِ
 فَلَسْتُ تَرَى مِنْ حَوْلِهَا عَيْنَ جَذْلَانِ
 سَوَاءً بِهِ قَحْطَانُ أَوْ آلُ عَدْنَانِ
 مَضَى كَالْحَيَا الْهَتَّانِ عَنْ شُعْبِ بَوَّانِ⁽²⁾
 فَمَا هَمَدَتْ فِي الْحُزْنِ آثَارُ هَمْدَانِ
 سِوَى رَفُضِ سُلُوَانِ وَتَجْدِيدِ أَشْجَانِ
 لِكُلِّ صَرِيحِ الْمَجْدِ فِي سِرِّ كَهْلَانِ
 كَمَا زَجَرَ الْعَيَافُ مَنُوعَ غَرْبَانِ⁽³⁾

(1) فقهان: كذا، ولعلها فقهان. وأفهق: امتلأ.

(2) مضر الحمراء: قال الجوهري في الصحاح: قيل لمضر الحمراء ولربيعة الفرس لأنهما اقتسما الميراث، أعطي مضر الذهب وهو يؤنث وأعطي ربيعة الخيل». وقيل إن شعارهم الرايات الحمر. (اللسان: مضر) وشعب بؤان: جنة مشهورة في فارس.

(3) عاملة وما بعدها من كهلان، وكلب، والخزرج: قبائل عربية.

فَمَنْ لِلْخُيُولِ الْأَعْوَجِيَّةِ ضُمراً
وَمَنْ لِلسُّيُوفِ الْمَشْرِقِيَّاتِ يَخْتَلِي
وَمَنْ لِرِمَاحِ الْخَطِّ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
وَمَنْ لِأَيَّامِي الْحَيِّ تَشْكُو ظَماً حِشاً
وَمَنْ لِلضُّيُوفِ الْخَابِطِينَ لَهُ الْفَلَا
وَمَنْ لِلْعُلُومِ النَّازِعَاتِ إِلَى الْعَلَا
وَمَنْ لِسَجَالِ الْعِلْمِ أَوْ لِعُرُوبِهَا
وَمَنْ فِي التَّوَادِي الْعُرِّ لِلْخُطْبِ الَّتِي
وَمَنْ يُكْسِبِ الْأَخْلَامَ صَنْعَةً رِيْدَةً
شَهِدْتُ لَقَدْ أَبْقَى عَلَى الْمُلْكِ رَوْنَقاً
وَحَلَفَ أَكْبَادَ الْمُلُوكِ لِفَقْدِهِ
أَخَالَاهُ! خَانَ الصَّبْرُ بَعْدَكَ وَانْتَحَتْ
وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي مُذْ رُزْتُكَ جَانِبٌ
وَكَمْ قَسَمَ الْأَزْرَاءُ فِي سَاحَةِ الْبَلَى
وَكَانَ لَنَا شَرُّ الْقَسِيمِ كَأَنَّنا
رُزُّنَا بِزَاكِي الْخَنِيمِ، مُبَيِّضُ طَرْفِهِ

يُرَوِّي صَدَاهَا مِنْ عَبِيْطِ الرَّدَى الْقَانِي
بِهَا الْهَامُ يَوْمَ الزَّخْفِ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ
يُقْصِمُهَا مَا بَيْنَ مَثْنَى وَوَحْدَانٍ
صَدِيٍّ لِعَزْفٍ لَا يَغِبُّ وَإِحْسَانٍ
عَلَى كُلِّ مِيقَاضٍ كَهَمِّكَ مِطْعَانٍ
مُتِيحٍ لِيُوزِدَ، أَوْ مُقَرَّرٍ بِإِعْطَانٍ⁽¹⁾
مُجِيلٌ، إِذَا حَانَتْ مَرَثَةُ أَشْطَانٍ⁽²⁾
يُقْصِرُ عَنْ إِذْرَاكِهَا قِسْ سَحْبَانٍ⁽³⁾
وَشُغْلَ سَحُولٍ إِنَّ وَشَى ذَاتَ عُنْوَانٍ⁽⁴⁾
وَلَا رَوْنَقُ الصَّهْبَاءِ فِي عَيْنِ نَشْوَانٍ
تُنَاشُ لِحَفَاقٍ مِنَ الْبَثِّ حَرَّانٍ
لَوَاعِجُ وَجَدٍ بِالْأَسَى غَيْرَ حَرَّانٍ
كَأَنِّي أَخُو عُثْبَانَ مِنْ بَعْدِ عُثْبَانَ
بَثُّ الْحُزْنِ، عَجَّوَا بَيْنَ شَيْبٍ وَشُبَّانٍ
بِعَيْنِ أَبَاغٍ قَاسِمُو آلَ شَيْبَانَ⁽⁵⁾
بِأَكْرَمِ مِطْعَامٍ وَأَشْرَفِ مِطْعَانٍ

(1) الإعطان: تبارك الإبل ومرابض الغنم.

(2) الأشطان: الحبال الطويلة.

(3) قس وسحبان: يضرب بهما المثل في الفصاحة.

(4) ريْدَة وسحول: قريتان ورد ذكرهما في شعر طرفة بن العبد.

(5) عين أباغ: موضع بين الكوفة والرقعة شهد انتصار الحارث الغساني على ملك الحيرة. وفي البيت إشارة إلى قول شاعرة من بني شيبان أو ابنة المنذر اللخمي:

بِعَيْنِ أَبَاغٍ قَاسِمُنَا الْمَنَائِيَا فَكَانَ قَسِيمُهَا خَيْرَ الْقَسِيمِ

وَقَدْ طَارَ فِي مَهْوَى الْأَسَى جَدَّ وَلَهَانَ
رَمَى الشَّنْفَرَى بِالْحَرْبِ مِثْزَرَ لِحْيَانٍ⁽¹⁾
كَمَا اسْتَبْطَأَ الْعَارَاتِ عُمُرُو بْنُ نُعْمَانَ
بِهِ نُسَيْتِ آثَارِ قَبْرِ بِحُلُوانٍ⁽²⁾
مِنَ الْغَيْثِ هَطَّالِ الْعَشِيَّاتِ هَتَّانِ
رَمَتْ بِعِشَارِ الْمُزْنِ فِي كُلِّ بُسْتَانِ
كَمَا ازْدَحَمَ الرِّكْبُ الْمُخِبُّ بِعَسْفَانَ
مِنَ الظِّلِّ مَخْفُوفِ بِرُوحِ وَرِيحَانِ
وَعَادَتْ إِلَى تِلْكَ الْأَبَاطِحِ أَظْعَانِي
هُمُ مَا هُمْ فِي الْمَجْدِ أَيْسَارَ لُقْمَانَ
وَإِنْ لَمْ يَزُرْهُ مُذْ خَبَا الْحَدُّ⁽³⁾ جُثْمَانِي
وَضَلَّيْ أَنَّى الدَّارَ جَنَّةُ رِضْوَانِ

جَعَلْتُ أَلُومَ الْقَلْبِ عِنْدَ نَعِيهِ
وَأُزْمِي فُؤَادِي بِالشُّجُونِ رَبَّتْ كَمَا
وَأَسْتَبْطِئُ الْبَلَوَى وَقَدْ جَدَّ جِدُّهَا
وَبِالْجَزَعِ مِنْ غَرْنَاطَةِ قَبْرِ مَاجِدِ
سَقَاهُ عَلَى الْإِمْرَاعِ كُلُّ مُجَلْجِلِ
إِذَا حَرَّكَتُهُ فِي الْبُرُوقِ سَيَاطُهَا
مُكَبًّا بِأَكْنَافِ الرِّيَّاحِ دَوَالِحَا
وَلَا زَالَ يَنْدَى فَوْقَهُ كُلُّ سَجْسَجِ
وَلَوْلَا الْعَوَادِي الْمُزْرِياتِ لَزُرْتُهُ
وَصَاحِبْتُ فِي خَوْضِ الْبَحَارِ عَصَابَةَ
وَلَكِنِّي أَغْشَاهُ بِالرُّوحِ زَائِرًا
وَإِنِّي بِهِ عَمَّا قَرِيبٍ لَلْأَحِقِّ

94

قال الشاطبي: «أنشدني الفقيه الفاضل أبو محمد بن حذلم، وقال أنشدني
الفقيه الأجل الراوية الرحلة الكاتب الأديب البارع أبو إسحاق بن الحاج
لنفسه^(*): [طويل]

(1) الشنفرى: شاعر جاهلي. ومثزر ولحيان: مما كان يغزوه الشنفرى وزملاؤه الصعاليك.

(2) حلوان: اسم بلد ورد في شعر قيس الرقيات ومطيع بن إياس. ومن ذلك قول مطيع: أسعداني يا
نخلتي حلوان.

(3) الحد: كذا ولعلها: اللحد. وأبكيا من ريب هذا الزمان.

(*) الإفادات والإنشادات: 147. وابن حذلم هو: الفقيه القاضي الغرناطي أبو محمد عبد الله بن عبد
الله بن حذلم، (الكتيبة: 43 وفيه تصحيف اسمه إلى خديم، ومستودع العلامة: 74). ووصفه
الشاطبي في موضع آخر بالفقيه الأديب البارع. (الإفادات والإنشادات: 154-155).

أَحِنُّ حَنِينَ الْعِيسَى إِنَّ هِيَ نَحْوَكُم
وَمَهْمَا جَرَتْ أَجْفَانُ مَاءٍ إِلَيْكُم
(.....).
جَرَى إِثْرَهَا شَوْقًا لَكُمْ مَاءُ أَجْفَانِي»

[وَقَالَ أَيْضاً (*)]: [كامل]

إِنَّ الْخُمُولَ⁽¹⁾ تَلُوحُ بَيْنَ عِرَاصٍ
 وَقَوَارِسٍ ذَابَتْ هَوَى فَمِنْ هَوَى
 وَعَشَائِرٍ رَحَلُوا ضَحَى وَقُلُوبُهُمْ
 كُحِلُ الْعُيُونِ رَمَتْ بِبَيْضِ سُيُوفِهِمْ
 وَعَنْتَ عَلَى حُكْمِ هَوَى خِرْصَانِهِمْ
 وَلَقَدْ تَخَذْتُ كِرَامَهُمْ لِي أَسْوَةٌ
 وَلَدَيْهِمْ دَمْعِي أَطَاعَ صَبَابَتِي
 وَبَصِيقِ حُبِّي لَا يَنْ نَضِرُ فِي الْمَلَا⁽³⁾
 مَلِكُ الْمُلُوكِ وَمُخَرَّرُ الشَّرَفِ الَّذِي
 بَتَعَلَّلِ الْعُشَّاقِ ذَاتِ نَوَاصٍ
 تَبْغِي الْمَنَاصَ وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ
 بَيْنَ الْخِيَامِ ثَوَيْنَ وَالْأَخْصَاصِ⁽²⁾
 وَالْحَرْبِ آخِذَةً لَهُمْ بِنَوَاصٍ
 لِصَوَاحِبِ الْأَسْلَافِ وَالْأَخْرَاصِ
 فِي الْحُبِّ مَبْذُولٌ لَهُمْ إِخْلَاصِي
 لِكِنَّهُ لِلْخَطْبِ يُطْرِقُ عَاصِي
 أَزْهَى عَلَى الدَّائِي بِهِ وَالْقَاصِي
 نَاصِي النُّجُومِ فَكَانَ خَيْرَ مَنَاصٍ

(*) المزاين: ق 20(22).

- (1) الخمول: لعله أراد الخمائل وهي الشجر المجتمع الملتف. والعراص: الساحات التي بين الدور ليس فيها بناء. والنواصي: مقدم الرأس. فتلك الخمائل أو الخمول هي أول ما يلوح للقادم من بعيد. وربما كانت الكلمة الأولى مصحفة عن (الحمول) وهي الهوداج يودعها الناس في تلك الساحات التي تشهد لحظات حزنهم على فراق الراحلين، ومن ذلك في شعر مالك بن الرّيب: تحمل أصحابي عشاء وغادروا أخائقة في عرصة الدار ثاويًا غير أن عبارة (تلوح) تجعل هذا المعنى بعيداً.
- (2) الأخصاص: جمع خص، وهو البيت من شجر أو قصب.
- (3) في الأصل: «أبي علا» وهو تصحيف.

وَالْوَارِثُ الْمَجْدَ الَّذِي شَهِدَتْ بِهِ
 مَجْدٌ كَقَرَصِ الشَّمْسِ بَادٍ فَضْلُهُ
 مُتَدَفِّقٌ عِلْماً يُغْصُ بِرِيقِهِ
 مِنْ خَائِضِ بَحْرِ الْمَعَارِفِ سَابِحٍ
 وَإِذَا الْعُلُومُ عَلَى سِوَاهُ اسْتَعْوَصَتْ
 بِكَ لِذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ مُوَاصِلُ
 فِي الزُّهْدِ وَالْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ افْتَدَى
 وَالنَّفْسُ أَشْخَصَهَا لِتَذْرِكَ سِرَّهُ
 وَلِمُلْكِهِ الْعُلَمَاءُ صَارُوا شِيعَةً
 وَمُحِبَّهُ فِي الْكُتُبِ مَذْكُورٌ كَمَا
 وَبِمَدْحِهِ أَرْضِيَتْ أُنْدُلُسًا كَمَا
 خَيْرُ الْمُلُوكِ تَفَاوَتْوَا لِكِنَّهُمْ
 أَعْلَى مَعَالِيهِ وَأَزْخَصَ مَالَهُ
 وَبِحَمْدِهِ قَدْ شَرَّفَ الْحَبْرَ الَّذِي
 عَزَنَاطُهُ فَحَرَّتْ بِبَحْرِ عُلُومِهِ

فِي عَبْدٍ شَمْسٍ سَادَةُ الْأَعْيَاصِ⁽¹⁾
 أَبْدَأَ عَلَى مَا عَنَّ مِنْ أَقْرَاصٍ
 مَنْ جَاءَ يَخْصِمُ أَعْظَمَ الْإِغْصَاصِ
 فِيهِ عَلَى ذُرٍّ بِهِ غَوَاصٍ
 طَاعَتْ لَهُ وَأَبَتْ عَلَى اسْتِعْوَاصِ
 زَاكِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ مُوَاصٍ
 بِالشَّيْخِ (بَرْهِيمٍ)⁽²⁾ الرُّضَى الْخَوَاصِ
 أَكْرَمَ بِهِ وَبِذَلِكَ الْإِشْخَاصِ
 كَالْمَاكِنِي الْعَالِمِ الرَّقَّاصِ⁽³⁾
 ذَكَرَ الْمُفْضَلُ مِنْ بَنِي الْجَصَّاصِ
 أَرْضَى ثُلُمَسَانَ بَنُو الرِّضَاصِ
 شَهِدُوا لَهُ بِالْفَضْلِ دُونَ تَعَاصِي
 وَالْفَضْلُ فِي الْإِغْلَاءِ وَالْإِرْخَاصِ
 يَغْشَاهُ لَا بِالزَّاجِ وَالْإِغْفَاصِ⁽⁴⁾
 وَحَمَاهُ⁽⁵⁾ لَمْ تَفْخَرْ بِغَيْرِ الْعَاصِ

(1) عبد شمس: بطن بن قريش. وشمس صنم من أصنامهم القديمة.

والأعياص: الأصول.

(2) يعني إبراهيم بن أحمد الخواص المتوفى بالري سنة 291: من أصفياء الجنيد. (انظره في: الأعلام ومصادر ترجمته).

(3) الماكيني الرقاص: لم أقف على ترجمته.

(4) الزاج: كبريتات... منه الأبيض والأخضر والأزرق. والإغفاص: من العفص وهو شجر البلوط، وربما اتخذوا منه حبراً. (وسيط: عفص).

(5) حماة: من مدن الشام المشهورة. والعاصي: نهريها.

أَوْ إِلَى حَسَبٍ لَهُ فَضْلٌ عَلَى
 مِنْ آلِ خَزْرَجٍ فِي الدَّوَائِبِ عَيْضُهُ⁽¹⁾
 مِنْ عَلَيْهِ الْأَنْصَارِ مِنْ صِيَابَةٍ⁽²⁾
 مِنْ آلِ سَعْدِ الْخَزْرَجِ بْنِ عَبَادَةَ
 مِمَّنْ نَمَى قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ذُو النَّدَى
 مِنْ آلِ نَضْرٍ مِنْ مُلُوكِ قَادَةَ
 الْقَاتِلِينَ الْمَخْلَ بِالْجُودِ الَّذِي
 وَهُمْ الْأَلَى أَفْعَالُهُمْ قَدْ أَعْرَبَتْ
 لَبِسُوا قَمِيصَ الْبَاسِ أَحْمَرَ وَازْتَدُوا
 وَالرَّافِعُونَ النَّارَ فَوْقَ شَوَاهِقِ
 وَالْمُخْمِضُونَ رَوَاحِلَ الْمُدَاحِ فِي
 نَكْصَ الْعِدَى وَاسْتَنْكَضُوا وَهُمْ هُمْ
 وَتَشَاغَلُوا بِالْخَوْصِ فِي بَحْرِ الرَّدَى

ذَهَبَ بِأَيْدِي النَّاقِدِينَ خَلَاصِ
 بَذَرُ الْمَفَاخِرِ أَكْرَمُ الْأَغْيَاصِ
 صُبِرَ عَلَى نَضْرِ النَّبِيِّ حِرَاصِ
 بَنِ دَلِيمِ⁽³⁾ «الْمُوتَى»⁽⁴⁾ لِأَخْذِ قِصَاصِ
 وَعَلَا مُصَاصٍ مُنْجِبٌ لِمُصَاصِ⁽⁵⁾
 يَحْمُونَ خَيْرَ مَنَازِلِ وَعِرَاصِ
 أَزْرَى بِصَوْبِ الْوَابِلِ الْعِرَاصِ⁽⁶⁾
 عَنْ خَيْرِ أَشْيَاخٍ لَهُمْ وَأَصَاصِ⁽⁷⁾
 بِرِدَائِهِ، وَالْحَيْلُ ذَاتُ قِمَاصِ⁽⁸⁾
 نَحْرُ الْقِلَاصِ بِهَا مَنَى الْقِلَاصِ⁽⁹⁾
 عَرَضَ الْفَيَافِي أَحْمَدَ الْإِخْمَاصِ⁽¹⁰⁾
 مَا مِنْهُمْ مَنْ عَيْبَ بِاسْتِنْكَاصِ
 كَتَشَاغَلَ الْبَحْرِيِّ بِالْكَبَاصِ⁽¹¹⁾

(1) العيص: الأصل.

(2) الصيابة: الخيار من كل شيء.

(3) دليم: هو الجد الأول لسعد بن عبادة (انظره في: تهذيب ابن عساكر 84/6، والإصابة (ضمن ترجمة سعد، رقم: 3167)، وصفوة الصفوة: 202/1 وطبقات ابن سعد: 142/3).

(4) رسم كلمة غير واضحة في الأصل.

(5) مصاص قومه: أخلصهم نسباً.

(6) العراص: السحاب ذو البرق والرعد.

(7) الأصاص: الأصول.

(8) قمصت الدابة: عدت في مرح ونشاط.

(9) القلاص: النوق، والقلاص: حالبها.

(10) الخمص: ضمور البطن من الجوع.

(11) الكبّاص: لعله أراد الكباس، وهو آلة تستخدم للضغط في أمور شتى.

وَعَلَى مَعَانِي الْفَضْلِ نَصُّوا وَالْعُلَا
وَحَدِيثُهُمْ قَضُوا عَلَى كُلِّ امْرِيءٍ
وَهُمُ الْأَلَى رَضُوا مَبَانِي مَجْدِهِمْ
وَبِغِبْطَةٍ خَضُوا الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ
وَالْكُفْرُ قَدْ خَضُوا قَوَادِمَهُ الَّتِي
وَبِكُلِّ فَخْصِيٍّ هُمْ قَدْ أَفْصَحُوا
وَالْجَامِعُونَ مِنَ الْعُلَا وَالْمَجْدِ مَا
وَسَلِيلُهُمْ هَذَا وَحَسْبُكَ مُنْزِلٌ
وَمَصِيرُهُمْ صَزَعَى عَلَى غُفْرِ الثَّرَى
وَلَقَدْ جَلَا مِنْهُ عَرِبُنُ الْحَرْبِ عَنْ
قَدْ حَاصَ عَنْهُ كُلُّ قِرْنٍ فِي الْوَعَى
أَسْمَى خَصِصٍ لِلتَّكْرُمِ وَالْعُلَا
وَالرُّومُ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الدُّورِ الَّتِي
وَحَلَا لَنَا مِنْهُمْ بِكُلِّ مُبَوِّءٍ
وَعَدَتْ تَقْصُرُ شُعُورُهُمْ بِيضُ الظُّبَا
يَشْكُو بِدَاءِ الطَّغْنِ مَنْ لَأَقَى كَمَا

فَالْفَضْلُ كُلُّ الْفَضْلِ لِلنَّصَّاصِ
أَضَعَى، فَكَانُوا أَفْصَحَ الْقُصَّاصِ
فَنَمَا وَدَامَ الْفَضْلُ لِلرَّصَّاصِ
مُلِثْتُ بِمَخْضِ الْحُبِّ لِلخُصَّاصِ
طَالَتْ فَكَانَ الْفَخْرُ لِلْحَصَّاصِ⁽¹⁾
فَشُعُوبٌ فَاحِصَةٌ عَنِ الْإِفْحَاصِ⁽²⁾
قَدْ كَانَ مُفْتَرِقًا مِنَ الْأَشْقَاصِ⁽³⁾
أَعْدَاءُهُمْ مِنْ مَانِعَاتِ صِيَّاصِ⁽⁴⁾
بَطْعَانٍ لَا تُكْسِرُ وَلَا تُكَّاصِ
أَسَدٍ لَأَسَادِ الشَّرَى قَنَاصِ
فَالْمَوْتُ مِنْ قَضْدٍ لَهُ بِمَحَاصِ
كُلُّ حَبَاهُ بِأَكْرَمِ الْإِخْصَاصِ
سَمُّوا فَسَائِحَهَا الْعُلَا بِبَصَاصِ⁽⁵⁾
بَيْتٌ يُسَمَّى عَنْدهُمْ بِبِلَاصِ⁽⁶⁾
حَتَّى رَمَتْ لَيْلَ الرَّدَى بِقَصَاصِ
يَشْكُوا أَخُو دَرٍّ بِدَاءِ قُعَاصِ⁽⁷⁾

(1) حص الشعر: حلقه، والشيء: أذهبه.

(2) الفحص: البحث، والفحاص: العداوة، ومنهما اشتق كلمات البيت وشعوب: المنية.

(3) الأشقاص: القطع.

(4) في الأصل: أعداؤهم. والصياصي: الحصون.

(5) بصاص: لعلها (Bastion) وهو البرج في الحصن. (القاموس الأسباني العربي - لكورينتي) وهو يناسب معنى الفسائح العلا أي: الأماكن العليا الواسعة.

(6) البلاص: القصر (Palacio) المصدر السابق.

(7) القُعَاص: داء في الصدر.

بِأَبِي عُبَيْدَةَ فِي الْحُرُوبِ قَدْ افْتَدَى
وَحَكَى مُعَاوِيَةَ نَدَى وَدَهَاؤُهُ
وَأَمَاتَ بِالْإِقْعَادِ لِلْأَرْضِ الْعِدَى
وَأَدَاخَ أَرْضَهُمْ بِكُلِّ كَتِيبَةٍ
وَبَزَحَفَهَا الْأَنْهَارُ مَا مِنْ مَصَّةٍ
لَمْ يُبْقِ تَيْنًا لَا وَلَا عِنْبًا بِهَا
وَأَصَارَهَا قَاعًا، لَعْمَرِي، صَفْصَفًا
وَحَلَّتْ مِنَ الرَّاعِي وَمِنْ ثَاغٍ بِهَا
وَمِيَاهُهَا جَفَّتْ وَغُورًا أَضْبَحَتْ
وَالظِّلُّ ظِلُّ الْعَيْشِ أَقْلَصَ (عَنْ بَنِي
وَأَتَى النَّصَارَى الْغُلْفُ فِي جَيْشِ غَدَا
جَيْشِ خَصَاصِ السُّخْبِ سُدَّ بِنَقْعِهِ
وَلَقَدْ قَضَى فِي بَيْعِ آجَالِ الْعِدَى

وَابْنِ الْأَصِيلِ عَلَى أَبِي وَقَّاصٍ⁽¹⁾
كَدْهَاءِ عَمُرٍو ذَلِكَ ابْنُ الْعَاصِ⁽²⁾
وَأَفَادَهُمْ بِالْحَرْبِ بِالْإِقْعَاصِ⁽³⁾
بِالضُّرْبِ وَالطُّغْنِ الدَّرَاكِ ثَوَاصِي
فِيهَا تُبْرَدُ غُلَّةُ الْمَصَّاصِ
كَلًّا وَلَا شَيْئًا مِنَ الْإِجَّاصِ
لِمُرِيدِ سُقْيَاهَا السَّحَابُ عَوَاصِ
فَالْأَسْدُ لَمْ تَنْهَضْ إِلَى اسْتِفْرَاصِ
فَالْمَوْتُ فِيهَا عَادِمٌ لِمَعَّاصِ
يَعْضُو وَلَكِنْ أَسْرَعَ الْإِفْلَاصِ⁽⁴⁾
يَسْطُو بِأَهْلِ مَائِمٍ [وَمَعَاصِي]⁽⁵⁾
فَالسُّخْبُ مَائِلَةٌ بِغَيْرِ خَصَاصِ⁽⁶⁾
لِلْمُشْتَرِينَ بِرُخْصَةٍ اسْتِرْخَاصِ

(1) أبو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح، تولى إمارة جيوش المسلمين في الشام. (العبر: 397/2، 492).

أما أبو وقاص فهو: سعد بن أبي وقاص القرشي فاتح العراق ومدائن كسرى. (الاصابة: 3187، تاريخ الخميس: 499/1، التهذيب: 483/3، وأعلام الزركلي).

(2) معاوية: هو ابن أبي سفيان: أول خلفاء بني أمية وأحد كتاب الوحي. وعمرو بن العاص: الصحابي المعروف بدهائه وأحد القادة الفاتحين في الشام ومصر وأفريقية، تولى إمارة مصر وله مواقف مشهورة قبل إسلامه وبعده.

(3) الإقعاص: الطعن بالرمح.

(4) أقْلَصَ الظل: انقبض، وما بين القوسين رسم كلمات لم يتبين وجهها.

(5) في الأصل: مقاص.

(6) خصاص السحاب: جمع خصاصه، وهي ما يكون فيه من خلل وخرق.

أَخَذَ الرَّدَا بِعِقَاصِهِمْ وَأَرَى الرَّدَى
وَلَرُبَّ قَوْمٍ مِنْهُمْ خَافُوا الْعِدَى
حَقَّقُوا دِمَاءَهُمْ بِأَمْرِ عَاجِلٍ
وَلَهُ الْكَمَالُ قَدْ اسْتُخِصَّ وَإِنَّمَا
وَكَمْ اسْتَقْصَ لِكُلِّ مَظْلُومٍ أَتَى
يَعْنُو لَهُ فِي غَرْبِهِ مَنْ كَانَ مِنْ
وَيَخَافُهُ فِي شَرْقِهِ الْكَغْبِيُّ وَالـ
وَتَخَافُهُ أَيْضاً رِيَّاحُ كُلِّهَا
وَلَهُ بِذَاكَ الْقَطْرِ حَيْثُ [ظَمًا] ⁽⁵⁾ الرَّدَى
لِلْجُودِ وَالنَّعْمَى تَدَانٍ إِنْ دَنَا
وَلَجَّ الْمَسَامِيعَ مَذْحُهُ الْأَهْدَى كَمَا
مَا أَمَّلَ الْقَوْمُ الْعُتَاةُ ⁽⁷⁾ خَلَاصَهُمْ
وَلَّى وَأَذْبَرَ عَنْ جَمَاهُ عَدُوَّهُ

لَمْ يَرْضَ أَخَذَهُمْ بِغَيْرِ عِقَاصٍ ⁽¹⁾
فَأَتَوْهُ بَعْدَ تَنَاصُبٍ وَتَنَاصِي ⁽²⁾
حَقَّنَ الْبُحَيْرَةَ مَاءَهَا بِعِقَاصِ
سَرِّ الْعِمَامِ الرُّوضِ بِاسْتِخْصَاصِ
مِنْ ظَالِمِيهِ أَغْظَمَ اسْتِثْقَاصِ
صِنْهَاجَةٍ ⁽³⁾ وَيَذِلُّ كُلُّ مَجَاصِ
مَقْرَفِي وَالتَّوْبِي وَالِدْلَهَاصِ
رَهْطُ الَّذِي يُكْنَى أَبَا عَصَاصٍ ⁽⁴⁾
خَضَعَ الْفَوَارِسُ جِيرَةَ الْعِمَاصِ
إِيهِ وَلِلْبُخْلِ الْمُلِيمِ تَقَاصِ
وَلَجَّ الْكِتَابُ كِنَانَةً ⁽⁶⁾ الرِّقَاصِ
إِلَّا وَعَاجَلَهُمْ بِغَيْرِ خَلَاصِ
وَالْحَزْبُ تَدْعُوهُ إِلَى [اسْتِثْقَاصِ] ⁽⁸⁾

(1) العقاص: خيط تشد به أطراف الذوائب والخصلات من الشعر.

(2) التناصب: التقاسم، وناصبه العدا: أظهره، وتناصى القوم: أخذ بعضهم بنواصي بعض في الخصومة.

(3) يعنو: يخضع. وصنْهَاجَةٍ: أكبر القبائل الأمازيغية، فضَّل ابن خلدون الأمر في نسبها وملوكها. (العبر: 179/6 وما بعدها).

(4) رياح: قال ابن خلدون في العبر: 38/6: «كان هذا القبيل من أعز قبائل هلال وأكثرهم جمعاً». وانظر: «أثر القبائل العربية في الحياة المغربية» (صفحات متفرقة).

(5) ظما، بلا همز: ذبول الشفة من العطش. (اللسان: ظما).

وظما الردى، يعني تعطشه لإراقة الدماء. ووردت الكلمة في الأصل: (ضما) ولا معنى لها.

(6) الكنانة: جعبة صغيرة من آدم.

(7) في الأصل: العنات، وهو من أخطاء النص. والمراد: العناة: الأسرى.

(8) في الأصل: استنقاص. ولا معنى لطلب النقص في السياق.

فَكَأَنَّهُ الشَّيْطَانُ، مَدَّ مُؤَدُّنَ
وَإِذَا تَزِيدُ عُدَاتُهُ فِي عَدِّهَا
لِكِنَّهُمْ أَسْرَى بِلَادِهِمْ إِلَى
وَبِرْغِيهِ قَدْ قَيَّدَ الْأَسْرَى فَلَمْ
يَا صَاحِ لُذْ بِجَنَابِهِ تُعْطَى الْمُنَى
وَإِذَا مَثَلْتَ فَبَابُهُ قَبْلَ الْعَلَا
وَأُطِيعَ أَيَّ إِطَاعَةٍ كَالشَّمْعِ لِلدَّ
وَأَطَاعَهُ⁽⁴⁾ الشُّعْرُ الَّذِي أَرْبَى عَلَى
(حَامِي) الْحَقِيقَةِ لِلْكُمَاةِ مُغَافِصُ
مَاضٍ كَسَيْفٍ، أَخْلَصْتُهُ قِيُونُهُ⁽⁶⁾
حَسَدْتُهُ أَنْجُمُ أَفْقِهِ فَكَأَنَّمَا
عَنْ كُلِّ عِلْمٍ لَمْ يَزَلْ مُسْتَفْجِحاً
وَلَدَيْهِ فِي الْمَغْفُولِ خَيْرُ إِمَامَةٍ
وَشَأَى⁽⁷⁾ الْحَرِيرِيُّ الَّذِي بَيَّانِهِ
وَهُوَ الْجَوَادُ عَلَى الْغِنَى مُسْتَحْرِصُ

صَوْتاً فَأَذْبَرَ مُسْمِعاً لِحَصَاصِ⁽¹⁾
لَمْ تُغْتَبَزْ كَالْحُكْمِ فِي الْأَوْقَاصِ⁽²⁾
أَنْ يَخْرُجُوا كَالطَّيْرِ فِي الْأَقْفَاصِ
تَحْتَجُّ لِمَنْ سَمَّوَهُ بِالْقَلَّاصِ
وَالْعَاذِلَاتِ عَلَى التَّغْرِبِ عَاصِ
وَجَمِيعِ أُمَلَاكِ الْبَسِيطَةِ خَاصِ⁽³⁾
مُجْرِي لَهُ وَالْجِصِّ لِلْجِصَّاصِ
مُغْتَادِهِ فِي الطُّولِ لِلْقَصَّاصِ
بِضْرَابِهِ وَالطُّغْنِ أَيَّ غَفَاصِ⁽⁵⁾
لِلْحَامِدِينَ مَعِيَّةَ الْإِخْلَاصِ
بَطْنُ الْبَطِينِ أُصِيبَ بِالْإِمْنِغَاصِ
وَالْجِدُّ جِدُّ أَحْسَنَ اسْتِفْحَاصِ
كَالشَّيْخِ نَجْمِ الدِّينِ ذَاكَ الْخَاصِ
أَغْرَى وَجَاءَ بِدُرَّةِ الْغَوَاصِ
لِلْقَاصِدِيهِ أَيَّمَا اسْتِخْرَاصِ

(1) في البيت إشارة إلى قول الرسول (ص): «إن الشيطان إذا سمع الأذان ولى وله حصاص».

(2) الأوقاص: هو ما بين النصابين في الزكاة، كأن تبلغ الإبل خمساً ففيها شاة، ولا عبدة بما زاد عن الخمسة إلى العشرة في الحكم فهو وقص لا يزيد المزكي فيه عن الشاة.

(3) خاص: قليل العطاء، وتقول العرب: فلان يخوص العطية أي يقللها (اللسان: خيص).

(4) في الأصل: وأطيعت.

(5) حامي: في الأصل كلمة على صورة (حامي). والغفاص: المفاجأة. والكمأة: الشجعان.

(6) القيون: جمع قين وهو الحداد.

(7) شأى: سبق.

وَلَهُ اسْتَرَصَّ الدِّينُ مَبْنَاهُ الَّذِي
وَلَقَدْ رَوَى الرُّهْبَانُ عَنْهُ لِلْوَرَى
مَنْ ظَلَّ يَخْدِمُ غَيْرَهُ مِنْ بَعْدِهِ
مَا إِنْ تَقَلَّصَ ظِلُّ نُعْمَى كُلِّ مَنْ
ذَاكَ ابْنُ يُوسُفَ ذُو الْفَخَّارِ مُحَمَّدٌ
مَا زَالَ يُجْزِلُ فِي النُّوَالِ وَأَنْعُمًا
فَكَأَنِّي وَقَيْتُ حَقَّ تَوَكُّلِ
كَالطَّيْرِ إِذْ تَغْدُو خِمَاصًا ثُمَّ مِنْ
وَلِمَدِحِهِ التَّنْسِيرُ دَامَ فَلَمْ يَكُنْ
وَبِهِ سَمًا مُهْدِيهِ فِي غَرْنَاطَةٍ
مَا زَالَ يَبْلُغُ مِنْ مُنَاهُ أَقَاصِيًا

مَا زَالَ يَغْلُو بَعْدُ بِاسْتِرْصَاصِ
قِصَصًا كَمَا يَزُوُونَ عَنْ مِفْلَاصِ⁽¹⁾
حَاكِي مُعَاوِضَ فِضَّةٍ بِرِصَاصِ
وَاقِي إِلَيْهِ مُنْصِفًا لِقِلَاصِي⁽²⁾
ذُو الشَّخْصِ يَفْضُلُ سَائِرَ الْأَشْخَاصِ
لَا عَنْ سُؤَالِ مُوجِبِ اسْتِخْلَاصِ
فَرَزَقْتُ رِزْقًا جَلًّا عَنْ إِعْوَاصِ⁽³⁾
بَعْدِ الْغُدُوِّ تَرُوحَ غَيْرِ خِمَاصِ⁽⁴⁾
مَعْنَاهُ لِلْأَفْهَامِ بِالْمُغْتَاصِ
فَكَأَنَّهُ فِي سَبْتَةِ ابْنِ خَلَاصِ
تَقْضِي حُقُوقَ الْمَجْدِ بَعْدَ أَقَاصِ

(1) يروون: في الأصل: يروين.

وقد كتب الظاء ضاد في كلمة «ظل» في هذا البيت وتاليه.

(2) القلاص: جمع قلوص وهي الفَيَّيَّةُ من الإبل.

(3) الإعواص: الصعوبة.

(4) أخذه من الحديث النبوي الشريف: «... كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً». قال ابن منظور:

«أي تغدو بكرة وهي جياح، وتروح عشاء وهي ممتلئة الأجواف». (اللسان: مادة خمص).

«وقال أيضاً(*)»: [طويل]

بَدَا عَارِضُ الْمَحْبُوبِ فَاحْمَرَّ خَجَلُهُ وَأَهْدَى لَهُ وَزْدًا بِهِ الْحُسْنُ نَاهِضُ
وَقُلْتُ لَهُ: لَا تُنْكِرِ الْوَزْدَ نَاضِرًا فَقَدْ سَالَ فِي خَدَّيْكَ مِنْ قَبْلُ عَارِضُ

«وقال أيضاً(**)»: [طويل]

حَظِيَّتَ بِعِزِّ الْمُلْكِ وَالشَّرَفِ الْمَخْضِ وَمَكَّنَ تَمْكِينًا لَكَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ⁽¹⁾
وَقَضَّلَكَ الرَّحْمَنُ بِالْعِلْمِ وَالتَّقَى فَقُمْتَ بِمَا يُرْضِيهِ فِي النَّفْلِ وَالْفَرَضِ
وَأَصْبَحْتَ فِي الْأَمْثَلِ أَمْجَدَ أَوْحَدًا⁽²⁾ تَحُضُّ عَلَى دِينِ النَّدَى أَيَّمَا حَضِّ
نَمَّاكَ إِلَى الْعَلِيَاءِ كُلِّ خَلِيفَةٍ بِأَمْرِ إِلَهِ الْعَرْشِ فِي خَلْقِهِ يَقْضِي⁽³⁾
فَيَا⁽⁴⁾ لَكَ مِنْ ذُرِّيَةِ ظَلٍّ بَغْضَهَا كَمَا شَاءَهُ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلُّ مِنْ بَغْضِ
عَدُوِّكَ أَضْحَى بِالرَّمَاكِ مُجْدَلًا وَذَاقَ مِنَ الْإِذْلَالِ مَضًّا عَلَى مَضِّ
وَقَدْ كَانَ يَشْقَى بِالنَّدَامَةِ قَبْلَهَا فَمَهْمَا خَلَا أَذْمَى الْأَنَامِلَ بِالْعَضِّ

(*) الكتيبة: 269، ومسالك الأبصار: 514/17، والنفع: 114/7. وفي البيت الثاني تورية بين معنى العارض: السحاب. وجانب الوجه.

(**) مزاين القصر: 23. وأورد ابن الخطيب هذه القصيدة في النفاضة: 131/3، ومنها بيتان في: مختارات ابن عزيم: 28.

(1) النفاضة: (ومكنك الرّب المهيم في الأرض).

(2) النفاضة: «واحد»، وجاء في التعليق رقم: (96): «واحداً سهو من الناسخ».

(3) النفاضة: «تصدم أو تقضي».

(4) النفاضة: «ويا لك».

سَعَى فِي افْتِرَاقِ الشَّمْلِ ظُلْمًا فَرَأْسُهُ
هَنِئِنَّا⁽²⁾ فَهَذَا الْعَصْرُ نَحْوَكْ قَدْ أَتَى
وَمَلِكْ كَرِيمٌ طَاهِرٌ وَمُطَهَّرٌ
قَدِمْتَ عَلَيْنَا بِالْجُيُوشِ وَإِنَّمَا
عَلَى كُلِّ طَرْفٍ سَابِغِ الذَّيْلِ سَابِقِ
جِيَادُ تَمَلُّ الْعَيْنِ مِنْ طُولِ شَأُوهَا
شَهِدْتُ لَقَدْ أَطْلَعْتَ غُرَّ كِتَابِ
تُرِي النُّقْعَ سُحْبًا أَثْقَلْتَ بِدَمِ الْعِدَى
إِذَا خَفَقَتْ أَعْلَامُهَا فَرِمَاحُهَا
حَمَيْتَ حِمَى الْإِسْلَامِ فَاللَّهُ رَبُّنَا
إِذَا مَا دَنَا مِنْ أَفْقِ مُلْكِكَ⁽⁹⁾ مَارِدٌ
لَكَ اللَّهُ مِنْ مَوْلَى لِسِنْفِكَ مُنْتَضِ
يَنَامُ الرُّعَايَا تَحْتَ ظِلِّ أَمَانِهِ

مَعَ الْجِسْمِ فِي أَيِّ افْتِرَاقٍ وَفِي نَقْضِ⁽¹⁾
بِسَعْدٍ لِأَبْكَارِ الْبَشَائِرِ مُفْتَضُّ⁽³⁾
لَهُ الصَّوْنُ كُلُّ الصَّوْنِ حَسْبُكَ لِلْعَرْضِ⁽⁴⁾
قَدِمْتَ بِأَسَدٍ سُرْعِ الْوُثْبِ وَالرَّمْضِ⁽⁵⁾
يَكَادُ يُذِيبُ اللَّجْمَ بِاللُّوْكِ وَالرَّضِ
وَلَكِنَّهَا مَا إِنْ تَمَلُّ مِنْ الرُّكْضِ
إِذَا عَرَضْتَ أَذْكَرْنَا⁽⁶⁾ مَوْقِفَ الْعَرْضِ
فَبَرَقَ الظُّبَا مَا بَيْنَهَا صَادِقُ الْوَمْضِ
كَأُنْمَلِ آسٍ فِي الْحُنُوءِ عَلَى نَبْضِ⁽⁷⁾
يُضَاعِفُ مَا قَدِمْتَ مِنْ حَسَنِ⁽⁸⁾ الْقَرَضِ
رَمَاهُ بِنَجْمٍ مِنْ سِنَانِكَ مُنْقَضُ
وَلِلطَّرْفِ فِي يَوْمِ الْوَعَى أَبَدًا مُنْضِ
وَأَجْفَانُهُ لَمْ تَكْتَحِلْ سِنَّةَ الْعَمَضِ

(1) البيت غير وارد في النفاضة.

(2) النفاضة:

يَمِينًا لِهَذَا الْعَصْرِ نَحْوَكْ قَدْ أَتَى

(3) في الأصل: مقتض.

(4) النفاضة: «نقي ثياب المجد مستصون العرض».

(5) الرمض: الوثب، ارتمضت به الفرس، أي: وثبت به. (اللسان: رمض) وفي النفاضة: «الريض».

(6) في الأصل: أذكرتنا، والتصويب عن النفاضة.

(7) النفاضة: النبض.

(8) النفاضة: أحسن.

(9) في الأصل: ملك، وهو تصحيف، وفي النفاضة: ملكك.

هُمَامٌ إِذَا مَا هَمَّ أَمْضَى عَزِيمَةً
تُثِيرُ أَجَمٌ⁽¹⁾ النَّفْعُ كُحْلًا جِيَادُهُ
نَهَوْضٌ إِلَى الْأَعْدَاءِ لَا تَعْلُ بِأَسِهِ
يُمِيطُ⁽³⁾ عَجَاجَ الْخَيْلِ أَسْوَدَ حَالِكَا
مُحَمَّدٌ الْمَخْبُوءُ مِنْ يُوسُفَ الرِّضَى
أَخُو الرُّشْدِ سُنِّي⁽⁵⁾ وَلَكِنْ [حُسَامُهُ]⁽⁶⁾
وَطَبَّقَ آفَاقَ الْبَسِيطَةِ مَذْحُهُ
كَرِيمٌ عَلَى التَّغْذَالِ لِلْمَالِ مُسْخِطٌ
إِذَا مَا شَكَا قَبْضًا أَخُو الْفَقْرِ عِنْدَهُ
وَأَفْعَالُهُ تَخْتَصُّ بِالْخَفْضِ وَالْغِنَى
دَرِيءٌ بِكَسْبِ الْمَدْحِ يُغْنِي نَظِيمَهُ
إِذَا مَا حَدَا الرُّكْبَانُ فِي السَّيْرِ بِاسْمِهِ

هِيَ السَّيْفُ بَلْ بِالسَّيْفِ تُزْرِي إِذَا تَمْضِي
إِذَا الشُّهُبُ فِي الْآفَاقِ كَالْأَعْيُنِ الْمُرْضِي
تَزِلُّ وَلَا مَمَشَاهُ لِلْحَرْبِ ذُو دَحْضٍ⁽²⁾
فَيَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ مِنَ النَّصْرِ مُبْيَضٌ
فَأَيُّ رِضَى بِالسَّعْدِ أَحْكَامُهُ تَقْضِي⁽⁴⁾
يَدِينُ مَعَ الْأَجَالِ فِي الْحَرْبِ بِالرَّفْضِ
فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَلَكِنَّهُ سَخِطٌ لِكُلِّ الْوَرَى مُرْضٍ
ثَنَاهُ وَلَا قَبْضُ (لِلْأَمْوَالِ ذَا)⁽⁷⁾ قَبْضٍ
فَأَعْجَبُ لِلْأَفْعَالِ تَخْتَصُّ بِالْخَفْضِ⁽⁸⁾
بِمَالٍ شَتِيتٍ بِالنَّدَى أَيُّ مُنْقَضٍ⁽⁹⁾
طَوَتْ عَيْسُهُمْ مَا لِلْفَلَاةِ مِنَ الْعَرْضِ

(1) النفاضة: أحمر.

(2) النفاضة: بالدحض. وفي الأصل: «ذا الدحض» كأنه أعمل «لا» عمل ليس، وجعل «ذا» خبراً لها، ولكن من شروط عملها أن يكون اسمها وخبرها نكرتين، وأن يتقدم اسمها على خبرها.

(3) يميظ: ينحي ويبعد. وفي الأصل: يميظ، والنفاضة: يميض، ولا وجه لكليهما.

(4) النفاضة:

محمد المحبوب بن يوسف الرضي بأي رضى بالسعد أحكامه تقضي

ورواية مختارات ابن عزيز: 28 توافق رواية المزاين.

(5) النفاضة: للعليا.

(6) الأصل: حمامه، والتصويب من مختارات ابن عزم، والنفاضة.

(7) كذا في الأصل. وفي النفاضة: «وللمال ذا قبض» وفي كليهما نظر وضعف.

(8) كذا في الروايتين، ووجه الصواب فيهما بين، ولكن الرواية يمكن أن تكون على صورة أخرى إذا اعتبرنا «فأعجب» فعجب، فيصبح الشطر: «فأعجب لأفعال وتختص بالرفض».

(9) النفاضة: أي منفض.

وَلَا عَيْبَ فِي عَلَيَّهِ غَيْرَ أَنَّهَا أَرْتِ مَا لَهُ طَوْلَ الْعَدَاوَةِ وَالْبُغْضِ⁽¹⁾
 أَمْوَلَايَ جَاءَ الْعَيْدُ وَهُوَ مُذَكَّرٌ لِأَحْوَالِهِ، يَا خَيْرَ مَنْ عَيْدُهُ يُرْضِي⁽²⁾
 بَقِيَّتَ عَزِيزِ الْمُلْكِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَالَتْ قُدُودُ الْقُضْبِ فِي رَوْضِهَا الْعُضْ

98

وقال مجابياً الرئيس الكاتب أبا عبد الله العزفي^(*): [طويل]
 أَلَا احْتَسِبُوا مَا قَدْ أَعَزَّتُمْ لِفَتْيَةٍ تَكْرُمُكُمْ بِالصَّفْحِ عَنْ فَعْلِهِمْ قَاضِي
 وَلَا تَظْمَعُوا فِي الرَّدِّ فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ رَأَوْا أَنَّ مَوْلَانَا لَهُ الْقَلَمُ الْمَاضِي

99

«وقوله^(**): [طويل]
 وَبِي عَرَبِيُّ الثُّطُقِ مَا زَالَ هَاجِرِي عَلَى فَرْطِ حُبِّي وَالْخُلُوصِ الَّذِي يُرْضِي
 طَلَبْتُ لَدَى أَفْعَالِهِ خَفْضَ عَيْشَتِي فَقَالَ أَفِي الْأَفْعَالِ وَيُحْكُ مَنْ خَفْضِ

(1) النفاضة: «ترى مالها طول العداوة والبغض».

(2) البيت غير موجود في الأصل، وثابت في النفاضة: 132/3.

(*) النفح: 117/7 وفيه أن البيتين كانا إجابة على بيت لأبي عبد الله العزفي قال فيه:

يَا عُضْبَةُ كُلُّ فَتَى مِنْهُمْ عَلِمَ فَرَعَتْهُمْ مِنْ كَثْبِكُمْ رَدُّوا الْقَلَمَ

(**) مسالك الأبصار: 215/17.

وقال أيضاً(*) : [خفيف]

الْبَزَقِ بَدَا بِأَكْنَافِ سَلْعٍ مَغْذِباً بِالسَّقَامِ فِيهِ نَسِيماً
شَغَلَ الْوُزْقَ عَنِ مُوَاصِلِ سَجْعٍ⁽¹⁾ قَادِحاً زَنْدَ لَوْعَةٍ وَغَرَامٍ
خَلَّفَا مَوْقِداً لِأَكْرَمِ رُبْعٍ وَبِنَفْسِي بِذِي الْأَرَاكِ خِيَامٍ
فِي رِضَاهَا بَدَلْتُ غَايَةَ وَسْعِي⁽²⁾ وَرَجَعْتُ الْحَدِيثَ عَنْ سَاكِنِيهَا
جِيرَةَ الْمُسْعِدِي لَيْلَةَ جَمْعٍ فَكَأَنَّ النَّفِيسَ مِنْ دُرِّ دَفْعِي
ظَلَّ يَهْدِي مِنْ عِنْدِ عَيْنِي لِسْمْعِي⁽³⁾ لَيْتَ شِعْرِي أَعَائِدُ لِي زَمَانُ
جَاءَ مِنْ حُسْنِهِ وَوَجَدِي بِبَذْعٍ وَهَلِ الْأَثْلُ كَاشِفٌ عَنْ ظَبَاءِ
بِائِكْسَارِ الْجُفُونِ يُجَبِّزُنْ صَدْعِي يَا خَلِيلِي غَنِّيَانِي بِسُغْدِي
وَدِيَارِ بِبُغْدَهَا ضَاقَ⁽⁴⁾ دَرْعِي وَأَنْشُدَا فِي خِيَامِهَا لِي قَلْبَا
فُجِعَ الْجِسْمُ بَغْدَهُ أَيَّ فُجْعٍ وَاذْكُرَا لِلنِّيَاقِ وَادِّي نَجْدِ

(*) المزاين : 23.

(1) الأصل : شجع وهو تصحيف، فليس للورق - فيما أعلم - سوى السجع والشجن.

(2) الأصل : وسع.

(3) الأصل : النفس - لسمع وهو تصحيف.

(4) الأصل : ذاق.

(5) الظم : ما بين الشربين، والربع : الدار، والربع : من أضواء الإبل، وهو أن ترد الماء يوماً وتمتنع يومين ثم ترد اليوم الرابع. (وسيط : ربع).

وَإِذَا هَبَّتِ الصُّبَا فَاسْأَلَاهَا
وَدَعَانِي إِثْرَ الْحُمُولِ⁽²⁾ لِمَا بِي
وَإِذَا مَا أَرَدْتُ مَا لِي نَفْعاً
مَلِكٌ [فِي]⁽⁴⁾ الْمُلُوكِ حَازَ مَزَايَا
صَادِقُ الْعَزْمِ رَادِعٌ لِعِدَاهُ
مُخْفِرٌ بِالشُّيُوفِ فَوْقَ الْأَعَادِي
جَاذِعٌ أَنْفَ كُلِّ [قِرْنٍ]⁽⁵⁾ مُعَادٍ
قَامِعُ الرُّومِ بِالطَّعَانِ الْمُوَلَّى⁽⁶⁾
مِنْ بَنِي الْخَزَرَجِ⁽⁷⁾ الَّذِينَ عَلَاهُمْ
أَهْلُ هَذَا مِنَ الصَّحَابَةِ كُلِّ
نَاصِرٍ⁽⁹⁾ الْمُضْطَفَى أَعَزُّ رَسُولٍ

عَنْ غَرِيبٍ⁽¹⁾ بِالْجَزْعِ أَكْرَمَ جَزْعٍ
وَاسْلَمًا مِنْ عَذِيرٍ⁽³⁾ طَبَعَ كَطَبْعِي
فَابْنُ نَضْرٍ بِجُودِهِ دَامَ نَفْعِي
وَاعْتِلَاءَ لَطِيبِ أَضْلٍ وَقَزْعٍ
بِرِمَاحٍ يَهْزُهَا أَيُّ رَذَعٍ
ذِمَّماً شَدَّ عَقْدُهَا كُلَّ دِرْعٍ
بِالطَّعَانِ الدَّرَاكِ أَغْظَمَ جَذْعٍ
تَحْتَ نَفْعِ الْحُمُولِ أَذْوَمَ قَمْعٍ
قَدْ أَتَى لِلْوَرَى بِوَثْرِ وَشْفَعٍ
مُثَلُّوا لِلْوَرَى كِمِشْطِي⁽⁸⁾ زَرْعٍ
خَصَّهُ اللَّهُ مِنْ مَثَانٍ بِسَبْعِ⁽¹⁰⁾

(1) الأصل: «عرب» ولا يستقيم بذلك الوزن.

(2) الأصل: الحمولي.

(3) الأصل: عذر، ولا يستقيم به الوزن، والعذير: النصير.

(4) يقصد الغني بالله.

(5) زيادة يقتضيها الوزن.

(6) لا وجود لها في الأصل، ويقتضيها الوزن والمعنى.

(7) نسبة بني نصر إلى الخزرج وقد تقدم ذكرها.

(8) مشط الزرع: خشبة عريضة يغطي بها الحب بعد نثره في الأرض. قال في اللسان: «هي سبجة

فيها أفنان، وفي وسطها هراوة يقبض عليها، وتسوى بها القصاب، ويغطي بها الحب...» (اللسان، والوسيط: مشط).

(9) في الأصل: ناصر.

(10) السبع المثاني: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحج:

87). وقد فسرت السبع المثاني بآيات الفاتحة لثنيها وتكرارها في الصلاة. والله أعلم بمراده.

أَسْعَدُ⁽¹⁾ وَالْأَمِيرُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ أَبْهَجَتْ أَنْجَمَ السُّعُودِ⁽²⁾ يَلْمَعُ
وَبِعَلِيًّا مُحَمَّدٍ مِنْ بَنِيهِمْ طَلَعَتْ نَخْلَةُ الْفَخَّارِ يَطْلُعُ
خَيْرُ مَنْ سَارَ لِلْجِهَادِ وَحَلَّى بِرَمِيضِ السُّيُوفِ طَلْعَةَ نَقْعِ
مُورِدٍ مِنْ مَشَارِعِ الْجُودِ عَذْبُ⁽³⁾ نَاصِرُ الدِّينِ مُظْهَرُ حُكْمِ شَرْعِ
صَادِعٍ مَجْدُهُ بِعِزِّ مَقَالِ (فَارُعُ الْحَمْدِ)⁽⁴⁾ ثَابِتُ أَيِّ فَرْعِ
دَامَ فِي الْمُلْكِ مَا بَدَتْ ذَاتُ صَدْعِ⁽⁵⁾ [وَهَمَّتْ مِنْ عَلَيَّائِهَا]⁽⁶⁾ ذَاتُ رَجْعِ

101

وكتب إلى ابن رضوان موريا(*) : [طويل]

هَنِيئًا لَكَ الْبُشْرَى بِهِنَّ قَدُمٌ كَمَا تُرِيدُ بِتُغْمَى لِلْسَّعَادَةِ جَامِعَةٍ
وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ فَلَا تَكُنْ بِمَائِلٍ قَلْبٍ مِنْكَ عَنْ حُبِّ رَابِعَةٍ

102

وقال موريا بالقائد نافع على ما اختاره البخاري وجماعة أن أصبح الأسانيد:
مالك عن نافع(**) : [كامل]

(1) رسم كلمة غير واضحة في الأصل.

(2) السعود: سعد النجوم: مجموعة من الكواكب منها سعد السعود.

(3) في الأصل: عذبا.

(4) الأصل: «فرع محمد»، ولا يستقيم وزنه ولا معناه.

(5) ذات الصدع: يعني الأرض، والصدع: الشق في الشيء الصلب.

(6) الأصل: وهما من فوقها، ولا يستقيم به الوزن، والرجع: المطر بعد المطر، وذات الرجع:

السماء، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق: 11، 12].

(*) النفع: 118/7. وابن رضوان هو الأديب الكاتب أبو القاسم عبد الله بن رضوان. (ترجمته في

الكتيبة: 254، والتعريف بابن خلدون، 41 ونيل الابتهاج: 221). وكان ابن الحاج قد كتب بيتيه

رداً على خطاب من ابن رضوان تمثل فيه بقول القائل:

«مَالِكُ الْثَلَاثِ الْآنَسَاتِ عَيْنَانِي»

(**) النفع: 115/7.

عَنْ نَافِعٍ أَسْنَدَ حَدِيثَ أَحَبَّتِي
فَأَجَلُ إِسْنَادٍ وَخَيْرُ رَوَايَةٍ

يَا مَالِكاً رَقِّي بِحُسْنِ صَنَائِعِ
عِنْدِي رَوَايَةُ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ

«وقال أيضاً(*)»: [طويل]

لِمَنْ جَلَلٌ تَلَقَّاءَ عَيْنِ أَبَاغٍ⁽¹⁾ وَأَغْزِلَةٌ يَوْمَ التَّرْحُلِ حُكْمَتْ
وَعَيْسٌ كَأَمْثَالِ الْقِسِيِّ رَمَيْتَنِي مَتَى حَمَلْتُ حُمْرُ الْقَبَابِ صَوَاغِيَا
وَكُلُّ امْرِئٍ إِنْ يَلْقَاهَا مُتَكَلِّمًا كَأَنِّي بِذَلِكَ الْحَذْوِ أُسْقِي مُدَامَةً
وَمِيَّاسَةَ الْأَعْطَافِ طَلْتُ بِذِي النِّقَا مُحَجَّبَةً بِالْبَيْضِ دُونِي وَالْقَنَا
يَكَاذُ لَنَا الْمِسْوَاكُ يَغْبُقُ مِسْكُهُ مِنْ الْخَافِرَاتِ الْبَيْضِ خَلْتُ ذَلَالَهَا
أَقُولُ لَهَا وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ مُنْتَضِصٍ صَوَاهِلُهَا تَضْبُو لَهْنٌ رَوَاغٍ
لَوَاحِظُهَا فِي صِحَّتِي وَفَرَاغِي بِأَسْهُمٍ بَيْنِ لَاتٍ حِينَ مَرَاغٍ⁽²⁾
فَكُلُّ قُلُوبِ الْعَاشِقِينَ صَوَاغٍ⁽³⁾ وَحَادِي الشَّرَى يَخْدُو فَذَلِكَ لَاغٍ
لَهَا كُلَّمَا سَاعَتْ أَجَلُ مَسَاغٍ تُحَاكِي بِقَدِّ قَضْبِهِ وَتُنَاغِي⁽⁴⁾
وَأَثْوَابٍ نَقَعٍ [لَا بِلْبَسٍ]⁽⁵⁾ سَبَاغٍ إِذَا هِيَ عَادَتْ رَطْبَهُ بِمَضَاعٍ
كَمْشِبِهِهُ يُوهِي الْقَوَى بِلِدَاغٍ نُصُولًا وَلَكِنْ مِنْ نُصُولِ صَبَاغٍ⁽⁶⁾

(*) المزائن: 24 ب - 25 ب.

(1) عين أبَاغ: موضع في طرف العراق، ناحية الشام، وقيل هي بين بغداد والرقعة، وعنهما أخبار تاريخية. (انظر معجم ما استعجم للبكري: 95/1 والروض المعطار: 10).

(2) المَرَاغ: التردد في الأمر.

(3) الصَوَاغِي: المائلات، حساً أو معنى.

(4) النقا: الكثيب من الرمل. والقضب: كل شجرة طالت وبسطت أغصانها، والشجر الرطب.

(5) الأصل: لا لبسنا، وهو تصحيف، والسباغ: الثياب الوافية.

(6) النصول، ج نصل: حديدة السهم والرمح.. وانتضى الثوب: أخلقه وأبلاه.

دَعِي، وَالْهَوَى، مَضْنَاكِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
وَلَكِنِّي أَشْكُو بِنِيرَانٍ زَفَرْتِي
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى أَيْمَنَ الْحِمَى
وَيَا هَلْ تَرَى يَا سَعْدُ نَضْرًا يَسُرُّنَا
كَمَا سَرَّنَا نَضْرُ ابْنُ نَضْرٍ مُعَاجِلًا
هُمَامٌ إِذَا اضْطَفَّ الْعَدُوُّ فَدُونَهُ
شَدِيدُ قُوَى لَمْ يَضْغَ يَوْمًا وَإِنَّهُ
أَخُو عَزَمَاتٍ لِلْمَثُونِ أَمَامَهُ
وَلَيْتُ الْوَعَى الشَّهْمُ الَّذِي لِعِدَاتِهِ
جَرِيٌّ إِذَا زَخَفَ أَتَى فَرِمَاحَهُ
ثُبُوتٌ إِذَا الْحَزْبُ الضَّرُوسُ تَنَاوَلَتْ
جَزِيلُ اللَّهِ بِالْعِزِّ مِنْ كَلِمَاتِهِ
تَنْزَعٌ عَنِ بَغْيٍ وَأَمْدَاحُهُ الْعُلَا
فَلِي فِي الْهَوَى لَوْ تَعْلَمِينَ مَبَاغٍ
وَطُوفَانِ مَاءٍ مِنْ دُمُوعِي صَاغٍ⁽¹⁾
وَمَا فِيهِ مِنْ رَاغٍ أَقَامَ وَثَاغٍ⁽²⁾
عَلَى يَوْمٍ بَيْنَ رَاغٍ كُلِّ مَزَاغٍ⁽³⁾
عَلَى كُلِّ طَاغٍ فِي الْمُلُوكِ وَيَاغٍ⁽⁴⁾
تَلَاغٍ بِأَطْرَافِ الْقَنَا وَتَلَاغٍ⁽⁵⁾
لَهُ كُلِّ مَلِكٍ فِي الْمَعَاوِلِ ضَاغٍ⁽⁶⁾
مَدَى الدَّهْرِ فِي نَهَبِ النُّفُوسِ تَنَاغٍ⁽⁷⁾
بِأَسْيَافِهِ فِي الثَّرْبِ أَيْ مَرَاغٍ⁽⁸⁾
لَهَا فِي دِمَاءِ الْقِرْنِ أَيْ وَلَاغٍ
مِنْ الْمَغْشَرِ الْقَتْلَى أَلْذَّ مَضَاغٍ
إِلَى كُلِّ مَنْ حَطَّ الرِّكَائِبُ نَاغٍ⁽⁹⁾
عَلَى مَالِهِ يَوْمَ السُّوَالِ بَوَاغٍ⁽¹⁰⁾

(1) صاغ الماء في الأرض 9: رسب فيها. (اللسان: صوغ). والكلمة في الأصل: صاغ.

(2) الرغاء: صوت الإبل، والثغاء: صوت الغنم.

(3) ابن نصر: يعني الغني بالله محمد بن يوسف بن الأحمر، وفي مدحه كل قصائد «المزائن».

(4) التلاغ: التنازع. والقنا: اسم جنس جمعي للقناة. والتلاغي: الكلام.

(5) ضغا: في الشطر الأول استرخى، وفي الشطر الثاني استغاث من الضرب والأذى.

(6) التناغي: الارتفاع والمباراة.

(7) في الأصل: لأسيافه.

(8) مرغه في التراب: قلبه فيه.

(9) ناغ: النغية: ما يعجبك من الكلام والصوت.

(10) بواغ: جمع باغية، والبغي: مجاوزة الحد.

وَبَارَعَ مِنْهُ الْبَذْرُ بَذْرًا عَلَيْهِ قَدْ
 [أ]خَافَ بَنُو سَدَوِيكْشِ الشَّرْقَ بِاسْمِهِ
 يَبِيتُ عِدَاهُ خَافِقَاتِ رُؤُوسُهُمْ
 وَإِنْ قَدَحَتْ نَارُ الشُّيُوفِ بِمَازِقِ
 وَمُنْضِي الْمَطَايَا صَادِعًا كُلَّ مَهْمَةٍ
 إِذَا أَضْمَعَتْ فِي كَفِّهِ شَجَرُ الْقَنَا
 مُعِيدُ طِعَانٍ كَالرِّشَاءِ إِذَا اِزْتَمَى
 مُطِيلُ قِرَابٍ مِثْلُ مَا فَتَحَتْ ضَحَى
 إِذَا لَمْ يَكُنْ صَغُو الرِّعَايَا لِمُلْكِهِ
 كَمِثْلِ الْأَدِيمِ الْحَالِمِ اخْتَلَّ أَمْرُهُ
 حُمُولٌ عَلَى الْأَبْطَالِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
 لَهُ الْعَارَةُ الشَّعْوَاءُ تَطْمِسُ بَعْدَهَا
 مُرَاغٍ كَمَالَ الذَّاتِ عَنْ عَيْنٍ حَاسِدٍ
 سَرِيعُ النُّدَى لِلْمُعْتَفِينَ وَإِنَّمَا
 أَنْافَ فَلَا بُغْدًا لِيَوْمٍ بُزَاغٍ⁽¹⁾
 وَهَابَ بِهِ مَلَقَاهُ كُلَّ وَزَاغِي⁽²⁾
 بِضَرْبٍ عَنِ الزُّوَاغِ غَيْرِ مُزَاغٍ⁽³⁾
 شَكَا عَلَيَانَا فِيهِ كُلَّ دِمَاغٍ
 بِهِ لِلْفُحُولِ الْهَائِجَاتِ مَرَاغٍ
 أَتَى مِنْ نَجِيعِ جَامِدٍ بِصَمَاغٍ⁽⁴⁾
 بَدَلُو لَهُ تَزْهَى بِأَيِّ فَرَاغٍ
 بِمَزْعَى الْجِمَى أَفَوَاهُهُنَّ ثَوَاغٍ
 فَكُلُّ إِلَى مَهْوَى الشَّقَاوَةِ صَاغٍ
 فَلَا يُرْتَجَى إِضْلَاحُهُ بِدِباغٍ⁽⁵⁾
 وَمَوْجُ الْمَنَايَا لِلِسَّمَاءِ مُنَاغِي
 فَرَاغٍ عَلَى حُكْمِ الطُّبَى وَمُثَاغٍ⁽⁶⁾
 وَمَا حَاسِدٌ عَنْ كَبْتِهِ بِمُزَاغٍ
 مَطَالُ الْغِنَى لِلْمُعْتَفِينَ تَبَاغٍ

(1) البزوغ: ابتداء الطلوع.

(2) أخاف: في الأصل (وخاف).

وبنو سدويكس: يرجح ابن خلدون أن هذا الحي ينتمي إلى كتامة من القبائل الأمازيغية، وهم يسكنون ما بين قسنطينة وبيجاية، ولهم بطون كثيرة. (العبر: 167/6). وزواغي: نسبة إلى زواغة، وهي قبيلة لها ثلاثة بطون (العبر: 153/6).

(3) الزواغ: الجاثرون، وغير مزاغ: غير مائل.

(4) أضمغت الشجرة: بض صمغها، وفي الأصل: أضمغت.

(5) الأديم الحالم: الجلد الذي أصابته الحلمة، وهي دودة تقع عليه فتأكله حتى لا يصلحه الدباغ.

(6) الراغي: المائل، والمثغى: المصوّت، والثغاء: صوت الغنم والظباء عند الولادة.

أَحَادِيثُ نِعْمَاهُ صَحَاحٌ وَإِنَّهَا⁽¹⁾
مَحَمَّدُ الْأَرْضَى ابْنُ يُوسُفَ الَّذِي
هُوَ الْبَذْرُ بَلْ أَسْمَى وَسُحْقًا لِأَنْجَمٍ
وَبُشْرَى الْوَرَى طُرًا بِمَقْدَمِهِ الَّذِي
وَأَنْطَقَ بِالشَّعَارِ فِي الْحَفْلِ أَلْسِنًا
مِنْ الْمُحَدَّثَاتِ الْغُرِّ مَا مِثْلُهَا اغْتَلَى
خَلِيلِي قَوْلًا لِلْغَمَامِ افْتَضَحَ فَقَدْ
وَقَوْلًا لِلَيْثِ الْعَابِ مَهْمَا قَدَزَتْ أَنْ
وَحُصًّا أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ بِمِدْحَةٍ
وَعُوجًا عَلَيْهِ بِالْهَنَاءِ كَأَنَّهُ
وَعَنْهُ أَعِيدَ إِلَى الْحَدِيثِ وَأَنْذِرَا
وَأَخِرُ دَعْوَى الْعَبْدِ أَنْ دَامَ بِالْغَى⁽⁷⁾

لَتَأْتِي بِنَوْعِي مُرْسَلٍ وَبَلَاغٍ
لَهُ خَيْرُ سَمْعٍ لِلْمَدِيحِ مُصَاغٍ
إِذَا لَاحَ اثْبَاعٌ لَهُ وَصَوَاغٍ⁽²⁾
بَغَى مِنْهُ أَمْرَ الرُّشْدِ أَكْرَمُ بَاغِي
تَنْزَهَنَ حَتَّى عَنْ مَعِيبٍ⁽³⁾ لِبَاغٍ⁽⁴⁾
بِهِ لِلْفُحُولِ الْأَقْدَمِينَ تَرَاغٍ
شَاكَ⁽⁵⁾ بِجُودٍ لِلْوُفُودِ مُسَاغٍ
تُنَاغِيَهُ يَوْمَ الْحُرُوبِ فَنَاغِي
لَهَا كَلِمٌ لَيْسَتْ تُرَى بِلَوَاغٍ
أَزَاهِرُ يَذْكُو عَرْفُهَا وَقَوَاغٍ⁽⁶⁾
بِحَيْنِ عَتَاةٍ أَمْهُمْ وَطَوَاغٍ
إِلَى كُلِّ مَا يَهْوَى أَتَمَّ بَلَاغٍ

(1) في الأصل: وإنما.

(2) الصواغي: الأشباه.

(3) الأصل: مغيب.

(4) لباغ: اللثغ: تحول اللسان من حرف إلى حرف.

(5) شاك: سبقك.

(6) فواغ: جمع فوغة وهي أول ما يفوح من الطيب.

(7) في الأصل: بالغنى.

الفاء

104

«ومن شعره في أنواع المقطوعات(*) : [كامل]

طَابَ الْعُذَيْبُ بِطِيبِ ذِكْرِكَ وَانْثَنَى فَكَأَنَّمَا مَاءُ الْعُذَيْبِ سُلَافُهُ
وَاهْتَزَّ مِنْ طَرَبٍ لِّلْقِيَاكَ الْجَمَى فَكَأَنَّمَا بَائَاتُهُ أَغْطَافُهُ

105

«وقال رحمه الله تعالى(**) : [طويل]

نَظَرْتُ إِلَى رَوْضِ الْجَمَالِ [بَوَجْهِهَا]⁽¹⁾ وَسَقَيْتُهُ دَمْعاً بِهِ الْعَيْنُ تَكْلِفُ
فَصَحَّ حَدِيثُ الْحُسَيْنِ عَنْ وَرْدِ خَدِّهَا وَإِنْ كَانَ أَضْحَى وَهُوَ رَاوٍ مُضْعَفُ

106

«وقال أيضاً: (***) : [طويل].

أَتُونِي فَعَابُوا مَنْ أَحَبُّ جَمَالِهِ وَذَاكَ عَلَى سَمْعِ الْمُحِبِّ خَفِيفُ
فَمَا فِيهِ عَيْنٌ غَيْرَ أَنَّ جُفُونَهُ مِرَاضٌ، وَأَنَّ الْخَضِرَ مِنْهُ ضَعِيفُ

107

«وقال يخاطب شيخه سيف الدين(****) : [طويل]

(*) الكتيبة: 266، والإحاطة: 347/1، وجذوة الاقتباس: 92/1.

(**) النفع: 114/7.

(1) في النفع: بوجهه، والبيت الثاني يستدعي التأنيث هنا.

(***) الكتيبة: (269)، والمسالك: 215/17 (حاشية)، والجدوة: 96/1، والإحاطة: 350/1، والنفع:

112/7.

(****) النفع: 114/7.

لِمَوْلَايَ سَيْفِ الدِّينِ فِي الْفِقْهِ بَيْنَنَا
فَتَقْلِيدُهُ فَرَضٌ عَلَى أَهْلِ عَضْرِنَا

مَقَامُ اجْتِهَادٍ لَيْسَ يَلْحَقُهُ الْحَيْفُ
وَلَا عَجَبٌ عِنْدِي إِذَا قُلِدَ السَّيْفُ

وقال أيضاً(*) : [كامل]

أَشْفَقْتُ مِنْ مَرَضٍ أَتَاخَ تَخَلُّفِي
وَطَفِيفْتُ أَظْهَرُ عِبْرَةً مِنْ عِبْرَةِ
وَالْقَلْبُ فِي إِثْرِ الْحُمُولِ إِذَا اشْتَفَى
وَعَلَيَّ لَنْتٌ لِلْمَوَاطِئِ فِي الثَّرَى
وَالذَّنْبُ لِي يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ عَيْسُهُمْ
سِرْبٌ ثَقِيلٌ مَثُونُهُنَّ فَوَارِسًا
لَكِنْ نَفَى هَمِّي حُضُورِي قَبْلَ ذَا
وَوَقَائِعًا بِكُمَايَهَا قَدْ خَلَدَتْ
وَرَأَيْتُ قَضَرَ بَنِي أُمَيَّةٍ بَاكِيًا
وَبَدَتْ لِعَيْنِي، لَا عَفَتْ آثَارُهُمْ
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ الْأَمِيرَ مُحَمَّدًا
وَأَعَزَّ دِينَ الْحَقِّ مِنْهُ خَلِيفَةً
مَلِكِ الْمُلُوكِ الْمُخْتَلِي هَامَ الْعِدَى
نَسَقَ الْفُتُوحَ خَوَارِقًا عَادَاتُهَا

يَوْمَ الرَّحِيلِ عَنِ الرُّكَابِ الْأَشْرَفِ
وَأَشِيبُ⁽¹⁾ نَارِي لَوَعَةٍ وَتَأْسُفِ
فَبِأَذْمُعِي وَمَثَارِ وَجْدِي يَشْتَفِي
بَعْدَ الَّذِينَ قَضَوْا بِذِلَّةٍ مَوْقِفِي
وَالْخَيْلُ تَسْبَحُ فِي الْعَجَاجِ الْأَكْثَفِ
نَارُ الْوَعَى بِسُيُوفِهِمْ لَا تَنْطَفِي
عَزُوءًا بِقُرْطَبَةِ جَلَا ذِكْرًا يَفِي
شَرَفًا لِرُومِحِي [وَالْكَمَيْتِ]⁽²⁾ الْمُشْرِفِ⁽³⁾
بِذْمُوعٍ نَهَرَ حَوْلَهُ مُتْلَهِّفِ⁽⁴⁾
فَعَرَفْتُهَا وَكَأَنَّي لَمْ أَغْرِفِ
فَبِهِ أَزَالَ اللَّهُ كُلَّ تَخَوُّفِ
هُوَ مَنْ عَلِمْتَ ابْنُ الْخَلِيفَةِ يُوسُفِ
وَالْخَيْلُ تَعْتَرُ فِي الْقَنَا الْمُتَقْصِفِ
بِأَجَلٍ صُنْعٍ بَاهِرٍ وَمُكَيِّفِ

(*) المزائن: 25 ب - 27 ب.

(1) في الأصل: وأشف.

(2) في الأصل: الكمأة، والمراد في البيت الفخر بفعل رمحه وحصانه وهو الكميت.

(3) المشرف: من الإشراف وهو سرعة عدو الخيل. (اللسان: شرف).

(4) انظر تفاصيل هذه الغزوة في رسالة ابن الخطيب إلى صاحب تونس في العبر: 521/7.

وَأَرَى عَجَائِبَ قَطُّ لَمْ يَسْمَعْ بِهَا
وَكَأَنَّمَا النَّصْرُ الْعَزِيزُ وَرَأْيُهُ
وَكَأَنَّمَا الْفَتْحُ الْمُبِينُ وَسَيَفُهُ
فَإِذَا الْجُيُوشُ لِأَرْضِ قَرْطَبَةِ كَمَا
وَأَعَدَّهَا مِلءُ الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَا
وَالْحَزْبُ⁽¹⁾ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ إِذَا أَتَتْ
فَاحْتَلَّتْ مِنْ أَزْجَائِهَا مُتَبَوِّأً
وَسَدَدَتْ يَا مَلِكُ الزَّمَانِ قَضَاءَهَا
وَأَعَدَّتْ⁽²⁾ بِالطَّغْنِ الدَّرَاكِ حُمَاتَهَا
وَأَجَلٌ قَنْطَرَةٌ⁽³⁾ أَبْخَتْ عُبُورَهَا
فَبَدَتْ شُمُوساً فِي الْبُرُوجِ وَجُوهُهُمْ
وَمَلَكْتَ مَعْقِلَهَا فَكُنْتَ كَمَالِكِ
وَسَبَخْتَ فِي الْوَادِي بِمِثْلِ سُيُولِهِ
وَسَطَّوَتْ بِالْأَغْدَاءِ سَطَّوَةٌ قَاهِرِ
وَمَلَكْتَ مِنْ أَسْوَارِهِمْ (برجاله)⁽⁵⁾

(1) أراد بالحرب القتال فذكرها وإليها يعود اسم يكون، وإلا فهي مؤنثة. (راجع الوسيط: حرب).

(2) في الأصل: وأعددت، وهو تصحيف.

(3) القنطرة: هي قنطرة قرطبة، بناها السمع بن مالك الخولاني في عهد عمر بن عبد العزيز، ووجدت بناؤها في عصر الإمارة الأموية بالأندلس حتى عدها المؤرخون من عجائب الدنيا. (انظر: النفح: 408/1، وفيه نقول عن الرازي وابن حيان وغيرهما).

(4) الطرف: الكريم العتيق الطويل من الخيل.

(5) رسم كلمة غير واضحة المعنى في بيت غير محكم الصياغة، ولعل المراد أنه ملك أسوارهم بالرجال الذاكرين الله، أو أن تكون كلمة «برجاله» اسماً لموضع، فهي مفعول به، وفي هذه الحالة يمكن أن تكون تحويراً لكلمة (برشانة - Purchena) ويوجد موضعان بهذا الاسم: أحدهما

يَشْكُونَ مِنْ صَدْعِ الْقُلُوبِ الرَّجْفِ
حُسْنُ الْوِشَاحِ إِذَا يَدُورُ بِمِغْطَفِ
تَوَزَّ بِغَيْرِ يَدِ الرَّدَى لَمْ يُقْطَفِ
لِلْقَتْلِ أَوْ لِإِسَارِهِمْ مُتَشَوِّفِ
لِلْفَتْحِ إِزْجَاءً بِمَا تَرْجُو يَفِي
تَمْحُوهُمْ بِالسَّيْفِ مَحْوَ الْأَخْرِفِ
لَهُمْ إِذَا مَا شِئْتَ دُونَ تَكْلُفِ
تَهْوِينَ أَمْرِهِمْ وَعُقْبَى الْمُتَشْرِفِ
مُتَوَقِّعٌ لِلْحَادِثِ الْمُتَخَوِّفِ
تَغْفُلُ طِعَانٌ مُثَقَّفٌ بِمُثَقَّفِ⁽²⁾
فَاشْدُدْ عَلَيْهِ بِصَارِمٍ لَكَ مُزْهَفِ
فَتَوَلَّ كُلَّ مُحَرِّفٍ بِمُحَرِّفِ
حَكَمَ الظُّهُورُ بِتُجْحِهَا الْمُتَعَرِّفِ
فِيهِنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ خِدْمَةٌ مُنْصِفِ
يَزْجُو وَيَأْمَلُ مِنْكَ نَيْلَ تَعْطَفِ

وَتَرَكْتَ يَوْمَ النَّقْبِ فِيهَا مِثْلَمَا
وَعَدْتَ تَدُورُ بِهَا الْجِيُوشُ وَإِنَّمَا
[وَتَسَاقَطَتْ]⁽¹⁾ هَامَ الْعُدَاةُ كَأَنَّهَا
وَلَقَدْ دَعَاكَ الْفَتْحُ دَعْوَةً طَائِعِ
لَكِنْ حَقَنْتَ دِمَاءَ قَوْمِكَ مُزْجِئاً
وَأَتَيْتَ فِي أَعْدَاءِ قَوْمِكَ بِأَلْتِي
وَتَرَكْتَهُمْ وَالتَّرْكَ أَخَذَ عَاجِلُ
فَأَذْفَهُمْ جُوعاً وَعَفْواً وَانْتَظِرْ
وَالْكُلَّ مُغْتَقِلٌ هُنَاكَ مُثَقَّفٌ
فَإِنْهَضْ بِمُغْتَقِلٍ لِمُغْتَقِلٍ وَلَا
وَإِذَا بَدَأَ مِنْهُمْ لِحَبْلِكَ صَارِمٌ
وَالسَّيْفُ أَمْضَى مَا يَكُونُ مُحَرِّفاً
وَلَقَدْ نَسِيتُ وَمَا نَسِيتُ مَوَاقِعاً
وَشَهِدْتُ طَاغِيَةَ النَّصَارَى خَادِماً
مُتَطَاطِئاً لَكَ حَاسِراً عَنِ رَأْسِهِ

المدينة المشهورة وهي ضمن الدولة الغرناطية (انظر: نهاية الأندلس: 55)، والآخر بولاية «جيان» التي افتحمتها جيوش الغني بالله في هذه الحملة التي يشير إليها الشاعر (انظر: الروض المعطار: 52، ومعيان الاختيار: 106).

وتوحي عبارة «أي تشرف» أن هذا الشطر لا علاقة له بسابقه، ولعل ثمة سقطاً سبب في ضعف البيت، الذي يفترض أن يكون على النحو التالي:
[فتشرفت تلك البقاع ومن بها] بالذاكرين الله أي تشرف

(1) في الأصل: وتناقطت.

(2) المعتقل الأولى: الأسير، والثانية: السجن. والمثقف الأولى: المدرك في الحرب، والثانية: الرمح.

وَالرُّومُ زَامَتْ أَنْ تَجُودَ بِرَأْفَةٍ
وَلَقَدْ وَهَى مَا حَوْلَ قَرْطَبَةَ فَلَمْ
وَأَطْلَتْ إِخْرَاقِ الزُّرُوعِ وَقَدْ شَكَا
فَكَأَنَّهَا أَجْسَادُهُمْ وَهِيَ الَّتِي
وَتَرَكْتَ أَرْضَ الرُّومِ وَهِيَ كَأَنَّهَا
وَقَدِمْتَ أَسْعَدَ مَقْدَمٍ يُضْضِي كَمَا
لَكِنْ كَرَزْتَ إِلَى النَّصَارَى رَاجِعاً
وَالْمَجْدُ لَيْسَ يَنَالُهُ إِلَّا أَمْرُؤُ
وَعَلَى الْعُلَا أَنْ لَا يُبِيحَ طِلَابُهُ
وَعَزَوْتَ قَرْطَبَةَ فَأَنْسَيْتَ الَّذِي
وَتَرَكْتَ جَمْعَ كُمَاتِهَا وَكَأَنَّهُمْ
وَعَدُوا وَمَا لِبَنِي أَبِيهِمْ نَاصِرٌ
وَطَفِئَتْ جَيَاناً فَأَخْفَيْتَ الَّذِي
وَمَلَأْتَ مُتَّسَعِ الْفَضَاءِ غَنَائِماً
فَاهْنَأَ بِبُشْرَى إِنْثَرِ بُشْرَى أَنْجَزْتَ
وَاللَّهُ يَغْلُمُ أُنْكَ الْمَلِكُ الَّذِي
مَلِكٌ تَخَلَّدَ فِي الطُّرُوسِ مَدِيحُهُ
وَإِذَا تُجَارَ الْمَغْلُوثَاتُ فَلِإِنَّهُ

فَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ إِنْ لَمْ تَزَأْفِ
تَتْرُكُ جُيُوشَكَ مِثْلَ قَاعٍ صَفْصَفٍ
زُرَّاعُهَا أَزْمَاتِ دَهْرٍ مُجْجِفٍ
فِي غَيْرِ نَارِ جَهَنَّمَ لَمْ تُقْذَفِ
قَطَعَ مِنَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الْمُغْدِفِ⁽¹⁾
قَدِمَ الشِّفَاءَ عَلَى الْعَلِيلِ الْمُذْنِفِ
وَالْحَزْمُ مِمَّا تَخْتَفِيهِ وَتَضْطَفِي
عَنْ تَرْكِهِ اللَّذَاتِ لَمْ يَتَوَقَّفِ
إِلَّا لِأَزْوَعِ عَزْمُهُ لَمْ يَضْعُفِ
قَدِمْتَ مِنْ غَزْوٍ لَهَا مُتَخَطِّفٍ
أَعْجَازُ نَخْلِ عُوجِلَتْ بِتَقْصُفِ
غَيْرِ الصَّبَابَةِ وَالْدُمُوعِ الدُّرْفِ
قَدْ كَانَ مِنْ آثَارِهَا لَمْ يَخْتَفِ
أَخَذْتَ بِهِنَّ الْأَرْضَ أَغْظَمَ زُخْرَفِ
وَالْوَعْدُ وَعْدُ اللَّهِ لَيْسَ بِمُخْلَفِ
لَوْلَاهُ مَا كَانَ الضَّلَالُ بِمُنْتَفِ
وَالْوَشْيُ أَطْرَفُ مَا يَكُونُ بِمُطْرَفِ⁽²⁾
أَبْدَأَ لَهُ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفِي⁽³⁾

(1) المغدِف: من أغدِف الليل: إذا أَرخى سدوله.

(2) المطرف: ثوب من خز مربع ذو أعلام.

(3) المرباع: ربع الغنيمة يأخذه الرئيس في الجاهلية. والصفي: ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة قبل قسمتها. (وسيط: صفي).

جَمَعَ الْعُلَا مِنْ مَالِهِ وَتَنَائِهِ
وَالنَّفْسُ وَالْمَالُ النَّفِيسُ كِلَاهُمَا
مَلِكٌ يَمَانٍ⁽¹⁾ بِالْيَمَانِي مُضَلَّتَا
أَعَدَتْ قُلُوبَ غَدَاتِهِ رَايَاتُهُ
وَبَسَيْفِهِ فِي الْحَرْبِ أَصْبَحَ مُخْفِراً
وَكَاثَتْهَا (وَالرُّمُحُ)⁽²⁾ يُوجِي هَتَكَهَا
هُوَ فِي النَّدَى بَخْرٌ وَلَكِنْ لَفْظُهُ
وَلَدَتْ تَمَاماً لَا خِدَاجاً سَعْدُهُ
وَأَمَامُ وَزْنِ زَمَانِهِ الْمَلِكُ الَّذِي
وَلَقَدْ رَمَتْ مِنْهُ الْبِلَادُ بِأَغْبَرٍ⁽⁴⁾
وَأَسْتَوْسَقَتْ مِنْهُ لَأَزْوَعٌ بِأَسِيلٍ
قَدْ أَرْعَفَ الْأَقْلَامَ مِنْكَ ثَنَائِهِ
لَا زَالَ فِي الْمُلْكِ الرَّفِيعِ شِعَارُهُ

قَالَ حَفْلٌ بَيْنَ مُفَرَّقٍ وَمُؤَلَّفٍ
يَشْكُو لَنَا مِنْهُ بِأَعْظَمِ مُثْلِفٍ
كَشَفَ الْخُطُوبَ وَنَفَعُهُ لَمْ يُكْشَفِ
بِخُفُوقِهَا أَعْدَاءَهَا غَيْرَ الْخَفِيِّ
ذِمَمَ الدَّرُوعِ عَلَى الْكَمِيِّ الْمُزْجِفِ
نَهَرَ بِهِ سَبْحَ لِعُضْنِ أَهْيَفِ
دُرٌّ لِأَذْنِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مُشْنِفِ
أُمُّ الشُّعُودِ وَلَادَةٌ لَمْ⁽³⁾ تُخْلَفِ
لَمْ يَلْفَ خُطْباً طَارِقاً إِلَّا كُفِي
لِرِكَابِهِ وَالْحَيْلِ فِيهَا مُوجِفِ
بِالذُّلِّ لِلنَّفْسِ النَّفِيسَةِ مُسْعِفِ
وَالْمِسْكِ إِنْ يَفْعَمُ أَثُوفاً تَزَعِفِ
مَا عَزَّ مِنْ سَيْفٍ لَهُ أَوْ مُضَحَفِ

«وقال(*)»: [طويل]

- (1) ورد في الحاشية: «الملك من أهل اليمن»، واليماني بعده: السيف المنسوب إلى اليمن.
 - (2) كلمة غير واضحة في الأصل، يمكن أن تقرأ: الرمح والرجم والرجح، ويوجي: يعجل.
 - (3) في الأصل: لا. والخداج: هو الولادة قبل تمام مدة الحمل.
 - (4) في الأصل: بأعبر - بالعين المهملة - والسياق يدل على أن المراد إثارة غبار المعارك والجد في طلبها، ولذا فالأنسب له (أعبر).
- (*) النفع: 114/7.

وفي البيت الثاني تورية علق عليها المقرئ بقوله: «وترشحت التورية بكون المحذّثين يقولون: الحديث المسلسل لا يخلو من الضعف ولو في التزام التسلسل مع كون متن الحديث صحيحاً».

رَعَى اللَّهُ مِغْطَارَ النَّسِيمِ فَلِإِنَّهُ رَأَى مِنْ غُصُونِ الْبَانِ مَا شَاءَ مِنْ عَطْفِ
وَأَبْدَى حَدِيثَ الْغَيْثِ وَهُوَ مُسْلَسَلٌ لِذَاكَ لَعَمْرِي لَيْسَ يَخْلُو مِنَ الضَّعْفِ

وعلى هذا الوزن والقافية أورد ابن الأحمر بيتين نسبهما إلى ابن الحاج النميري (نثير الجمان :
318) هما :

لِي الْفَضْلُ إِنْ شَاهَدْتَنِي وَاخْتَبَرْتَنِي عَلَى كُلِّ مَضْقُولِ الْغَلَائِنِ مُرْهَفِ
وَحَسَنِي فَضْلاً أَنْ تَرَانِي قَائِماً بِسُنَّةِ إِبْرَاهِيمَ فِي كَفِّ يُوسُفِ

وقد نسبها ابن الخطيب لنفسه في : الإحاطة : 513/4 ، ونسبها إليه ابنه علي (النفح : 476/6) ، كما
نسبهما إليه المقرئ في : الأزهار : 308/1 ، وقد ترجحت لدي بذلك نسبة البيتين إلى ابن
الخطيب ، فرواتهما ثقات غير متهمين ، وابن الخطيب وابنه أعلم بهما من إسماعيل بن الأحمر ،
وأسلوبهما أَلصق بلسان الدين منه بابن الحاج .

وله أيضاً^(*): [طويل]

أَيَا مَلِكِ الْأَمْلاكِ غَزْباً وَمَشْرِقاً
وَأَعْظَمَ سُلْطَانٍ حَوَى الْمَجْدَ وَالْعُلَا
وَأَكْرَمَ مَلِكٍ شَرَّفَ اللَّهُ قَدْرَهُ
وَمَنْ حَارَ مُلْكُ الْعُدَوْتَيْنِ بِعِزْمَةٍ
وَيَا خَيْرَ مَنْ قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الْوَعَى
وَقَامَ مَقَامَ الْجَيْشِ فِي الْحَرْبِ وَخَدَهُ
وَيَا نُخْبَةَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سُعُودُهُمْ
وَخَيْرَ الْمُلُوكِ الصَّيْدِ مِنْ آلِ خَزَرْجٍ
وَمَنْ شَهِدَ الْهَادِي الرَّسُولَ بِجُودِهِمْ
وَجَاءَ لَنَا الْقُرْآنُ يُثَلِّى بِمَدْحِهِمْ⁽³⁾
وَيَا رَجُلَ الدُّنْيَا وَوَاحِدَهَا الَّذِي
وَذَا الدَّرَّةَ الْغَرَاءَ دَامَ لَهَا الْبَقَا
وَكَانَ لَهُ فِي دُرَّةٍ⁽¹⁾ الْعِزُّ مُرْتَقَى
وَزَيَّنَّهُ بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالثُّقَى
لَأَنْبَائِهَا أَضْحَى الطَّعَانُ مُصَدَّقَا
وَأَزَعَدَ فِي جَوْ الْأَعَادِي وَأَبْرَقَا
وَبِالسَّيْفِ بَيْنَ الرُّشْدِ وَالْعَيِّ فَرَقَا
أَخَذَنَ عَلَى الْأَيَّامِ عَهْدًا وَمَوْثِقَا
غِيَاثِ الْوَرَى وَالْحَيْنِ⁽²⁾ بِالْأَرْضِ أَحَدَقَا
شَهَادَةَ صِدْقٍ حُكْمَهَا الشَّرْعُ حَقَّقَا
فَأَعْجَزَ عَنْهُ أَلْسُنَ الْخَلْقِ أَنْطَقَا
بِأَذْيَالِهِ كُلِّ الْكَمَالِ تَعَلَّقَا

(*) المزائن: 27 ب.

والقصيدة، ككل قصائد المزائن، في مدح الغني بالله، ويبدو أنها قيلت في الفترة التي تدخل فيها هذا السلطان في شؤون المغرب كما يتضح من البيت الرابع، وذلك منذ العام السادس والسبعين وسبعمئة.

(1) كذا في الأصل، ولعلها «ذروة».

(2) كلمة غير واضحة في الأصل، ولكنها قريبة إلى كلمة «الحين» وهو: الهلاك والمحنة.

(3) إشارة إلى مدح القرآن للأَنْصَارِ (الحشر: 9).

وَيَا خَيْرَ مَرْجُوٍّ وَخَيْرَ مُؤْمَلٍ⁽¹⁾ هَنِيئاً لَكَ الْعِيدُ السَّعِيدُ وَإِنَّهُ
وَأَسْعَدُ أَمْلَاكِ حَلَا الْعِيدِ يَوْمَهَا
وَبُشْرَاكِ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ وَدَوْلَةٍ
وَأَقْبَلُ دُنْيَا قَدْ أَتَتْكَ سُعُودُهَا
وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ خَيْرُ خَلِيفَةٍ
وَأَنْتَ الَّذِي أَعَزَزْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ
وَدَوَّخْتَ أَرْضَ الرُّومِ بِالسَّيْفِ فَاتِحاً
وَجَاهَدْتَهُمْ خَيْرَ الْجِهَادِ مُمْتَعاً
وَصَيَّرْتَ قَلْبَ الْمُخَفِقِ السَّعْيِ خَافِقاً
وَأَنْتَ ابْنُ نَضْرٍ⁽²⁾ نَاصِرِ الدِّينِ وَالَّذِي
وَشَيْدٌ⁽³⁾ إِسْمَاعِيلُ بَيْتَ عِلَائِهِ
أَمْوَلَايَ خُذْهَا بِنْتُ فِكْرِ أَبِي بِهِ
عَلَى أُنْبِي أَدْرِي بِأُنْبِي مُقْصِرٌ
وَعَادَ لِي الْبَرْقُ اللَّمُوحُ يَرَاعُهُ
فَكُنْ قَابِلاً عُذْرِي وَجُدْ مُنْعِماً وَكُنْ

بِأَكْرَمِ أَخْلَاقِ الْكَرَامِ تَخَلَّقَا
لَعِيدُ مُعِيدٍ بِالْمَسْرَةِ مُلْتَقَى
وَيَا لَكَ مِنْ يَوْمٍ بِهِ الْكَوْنُ أَشْرَقَا
لَهَا أَيُّ فَخْرٍ ذَكَرُهُ الْأَرْضُ طَبَّقَا
كَمَا شَغَشَعَ السَّاقِي الرَّحِيقَ الْمُعْتَقَا
تَخَيَّرَ أَغْلَاقَ الْمَفَاخِرِ وَانْتَقَى
وَجَمَّعْتَ مِنْ أَحْزَابِهِ مَا تَفَرَّقَا
مِنَ النَّصْرِ بَاباً كَانَ قَبْلَكَ مُغْلَقَا
بِأَيِّ نَعِيمٍ كَانَ لِلْمُعْتَدِي شَقَا
وَعَادَزْتَ سَعْيَ الْخَافِقِ الْقَلْبَ مُخَفِقَا
نَمَاهُ أَبُو الْحَجَّاجِ فِي الْمَجْدِ مُغْرَقَا
فَمَا زَالَ مِنْ رِضْوَى أَشَدَّ وَأَوْثَقَا
لِي الشُّعْرُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ [مُفْلَقَا]⁽⁴⁾
وَلَوْ فُقْتُ أَهْلُ الْأَرْضِ فِي الشُّعْرِ مَنْطَقَا
وَأَفَاقُهُ طِرْساً لِكُتُبِي وَمُهْرَقَا⁽⁵⁾
عَلَيَّ بِمَبْذُولِ الرِّضَى مُتَّصِدَقَا

(1) في الأصل: «مأمل»، وكذا جميع نظائرها في المزاین.

(2) إشارة إلى الممدوح الغني بالله، وأبيه أبي الحجاج يوسف بن الأحمر.

(3) في الأصل: وسيد. وإسماعيل هو: أبو الوليد إسماعيل بن فرج الذي تولى حكم غرناطة ما بين 713 و725 هـ. (انظر: اللوحة البدرية: 78 وما بعدها، والإحاطة: 377/1 وما بعدها).

(4) في الأصل: ملفقاً، ولكن السياق العام للبيت والاستدراك بعده يؤكدان أن الكلمة «مفلقاً» أي: عجيلاً.

(5) الطرس والمهرق: الصحيفة البيضاء المعدة للكتب.

أَطَالَ⁽¹⁾ لَكَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ مَا سَرَى نَسِيمٌ وَمَا غَنَّى الْحَمَامُ وَشَوْقًا

(1) في الأصل: وأطال.

وقال مأموراً من قبل الأمير فارس بالزيادة على أبيات سابقة(*) : [طويل]

وَلَكِنْ بِهِ عَبْدٌ لِحَيْرِ خَلِيفَةٍ جَوَادٌ يُنِيلُ الرُّفْدَ أَوْ يَبْذُلُ الْأُنْسَا
فَمَهْمَا شَكَّتْ بِالْيُبْسِ «بِسُكْرَةٍ» حَبَا بِبَغْضِ عَطَايَا فَارِسٍ فَزَكَّتْ غَرْسَا
كَأَنَّ ابْنَ مُزَيْنٍ يَخْلِفُ الْمُزْنَ عِنْدَمَا يَجُودُ إِمَامٌ لَمْ يَدْغْ هَذِيهَ لَبْسَا
وَمَهْمَا عَلَا وَاسْوَدَّ يَوْماً قَتَامُهَا فَأُشْبِهَ مَنْ أَضْحَى بِهَا حَالُ مَنْ أَمْسَى
جَلَا عَذْلُ مَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ فَارِسِ شُمُوساً هَدَتْ أَنْوَارَهَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَا
وَمَا تَشْرُفُ الْأَوْطَانُ إِلَّا بِمَنْ حَوَتْ وَمَا قَدَّرُ جِسْمِ الْمَرْءِ إِنْ يَفْصِلُ النَّفْسَا
وَكُلُّ بِلَادٍ إِلَّاهُ طَرٌّ بِفَارِسِ سَتَسْعَدُ يَوْماً مَثْلَ مَا سَعَدَتْ أُمْسَا
وَإِنَّ بِلَادَ الزَّابِ بَعْدَ حُلُولِهِ بِهَا لِحَقِيقٌ أَنْ تُحَبَّ وَلَا تُنْسَا
وَلَا خُسْرَ عِنْدِي بَعْدَهَا لِإِنِّ هَانِيءٌ بِمَذْحِ لَهَا مَا صَافَحَ الْقَلَمُ الطَّرْسَا
وَإِنْ كَانَ فِيهَا جَعْفَرٌ جَعْفَرًا فَقَدْ جَرَتْ أَنْمُلُ الْمَوْلَى بِهَا أَبْحُرَا خَمْسَا

وقال لما استفتح مولانا - نصره الله - مدينة فاس المرة الأولى(**) : [كامل]

(*) فيض العباب : 241. وفيه أن أبا عنان أمره بتلك الزيادة، وأن يذكر فيها أبا يعقوب ابن مزني الذي أهدى السلطان بستاناً بديعاً كان في ملكه (انظر الفيض : 239).

(**) المزاین : 28 ب. وقد تدخل محمد الغني بالله في شأن مدينة فاس للمرة الأولى في عهد أبي زيان الثاني (774-776هـ) حيث ساعد أبا العباس أحمد بن أبي سالم على دخولها سنة 776هـ مكافأة بنكبة ابن الخطيب. ثم تدخل مرة أخرى سنة 786هـ بخلعه لصالح موسى بن أبي عنان ثم أعاده

بُشْرِى الْإِمَامِ [بِفَتْح] ⁽¹⁾ حَضْرَةَ فَاسٍ
وَوُضُولِ مَنْ قَدْ كَانَ سُلْطَاناً بِهَا
وَقُدُومِ أَمْلَاكِ لِبَابِكَ قَدْ أَتَتْ
وَلَكَ الْهَنَاءُ بِبَيْعَةِ لَكَ طَهَّرَتْ
وَمَنَالِ مُلْكِ الْعُدُوتَيْنِ وَإِنَّهُ
وَفَوَارِسِ مِنْ أَرْضِ أَنْدَلُسِ أَتَتْ
وَرُمَاةِ حَرْبٍ أَنْفَذُوا بِسَهَامِهِمْ
وَأَتَوْا لِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ بِذُرْبٍ
فَاعْجَبَ لِحَيْشِ إِثْرِ جَيْشِ قَادِمٍ
أَبْدَى بِهِ مَلِكُ الْمُلُوكِ مُحَمَّدٌ
وَعَلَى بِلَادِ الْعُرْبِ أَمْضَى حُكْمُهُ
هَذِي عَجَائِبُ لَمْ تَخْطُ ⁽⁴⁾ بِمِثْلِهَا
هَذِي صَنَائِعُ بَلَّغَتْ كُلَّ الْمُنَى
أَثَرُ التَّوَكُّلِ ذَاكَ وَالصُّدْقِ الَّذِي
وَلَسَوْفَ يَمْلِكُ مِصْرَ وَالشَّامَ الَّذِي
وَتَقِيمُ [مَنَادَ] ⁽⁵⁾ الْعِرَاقِ بِدَوْلَةٍ
أَخْلِيفَةُ اللَّهِ الَّذِي أَيَّامُهُ

وَتَبَدَّلِ الْإِيحَاشِ بِالْإِيْنَاسِ
لِبَسَاطِكَ الْمُزْهَى بِخَيْرِ أَنْاسِ
مَعَهُ تُرْجِي مِنْكَ خَيْرَ مُوَاسِ
مَرَّاكُشَ ⁽²⁾ الْغُرَاءِ مِنْ أَرْجَاسِ
مُلْكُ تَسْتَى بِالنَّدَا وَالْبَاسِ
كَالْأَسَدِ حَامِيَةٍ عَنِ الْأَخْيَاسِ ⁽³⁾
مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ أَجَلٌ لِبَاسِ
بَلَّغَتْ مَبَالِغَ صَفْوِ خَمْرِ الْكَاسِ
بِبَوَارِقِ لَكِنْ مِنَ الْأَفْرَاسِ
عِزًّا رَمَى الْأَعْدَاءُ بِالْأَنْعَاسِ
فَالْعَدْلُ فِيهَا قَائِمُ الْقِسْطَاسِ
أَقْلَامُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي الْأَطْرَاسِ
فَلَهُنَّ كُلُّ النَّاسِ لَيْسَ بِنَاسِ
وَافَى النُّفُوسَ مُعْطَرَ الْأَنْفَاسِ
قَدْ لَانَ فِيهِ كُلُّ قَلْبٍ قَاسِ
تُغْنِيكَ أَسْعُدُهَا عَنِ الْحُرَّاسِ
أَزَبَتْ عَلَى الْأَغْيَادِ وَالْأَعْرَاسِ

سنة 788هـ في فترة شهدت نفوذ ابن الأحمر في المغرب. فالقصيدة تعود إلى سنة 776هـ.

(1) زيادة يقتضيها الوزن مستوحاة من عنوان القصيدة وسباق البيت.

(2) الخبر عن دخول مراکش في هذا العام 776هـ مذكور في: العبر: 403/7-404.

(3) الأخياس: جمع خيس وهو موضع الأسد.

(4) في الأصل: يخط.

(5) مناد: معوج (اللسان: أود)، وفي الأصل: «منادو» وهو تصحيف.

وَأَجَلَ سُلْطَانٍ لَهُ الْفَضْلُ الَّذِي
وَأَعَزَّ مَنْ رَكِبَ الْخُيُولَ وَقَادَهَا
قُبَّ الْبُطُونِ لَوَاحِقًا أَقْرَابَهَا⁽²⁾
أَقْسَمْتُ أَنَّكَ فِي الْخَلَائِفِ لِلَّذِي
وَحَوَى مَكَارِمَ أَعْجَزَتْ أَوْصَافُهَا
وَمَآثِرًا مَأْثُورَةً أَخْكَامُهَا
مِنْ آلِ نَضْرٍ مِنْ مَعَالِي خَزَرْجِ
ابْنِ الْخَلِيفَةِ يُوسُفَ الْمَلِكِ الَّذِي
مَوْلَايَ إِنِّي عَبْدُكَ الْمُثْنِي عَلَى
وَأَنَا الَّذِي مَا زِلْتُ دَهْرِي شَاكِرًا
وَإِذَا دَعَوْتُ لِعِزَّةٍ فَأَنَا الَّذِي
عَبْدٌ، وَحَقُّكَ، نَاطِقٌ بِمَحَامِدِ
وَيَوْدُ لَوْ أَهْدَى إِلَيْكَ فُؤَادَهُ
وَأَقْرَأُ إِذْ كَتَبَ الْمَدِيحَ سَوَادَهُ
وَلَدَيَّ حُبٌّ فِيكَ لِي فَخْرٌ بِهِ
وَتَشْيِيعُ أَجْنِي بِهِ ثَمَرَاتِ⁽⁴⁾ مَا
وَبِعِزَّةٍ لَكَ لِي أَجَلَ تَشْرِفِ

ثَبَّتَ مَبَانِيهِ عَلَى أَسَاسِ
مُغْتَاظَةٍ بِالنُّفْعِ عَنْ إِخْلَاسِ⁽¹⁾
أَبْدًا تُعَادِي حَزْبَهَا وَثُمَاسِي⁽³⁾
أَنْسَى بَنِي مَرْوَانَ وَالْعَبَّاسِ
نَظَمَ الْمُحُولِ الْعِلْيَةِ الْأَكْيَاسِ
عَضَدَ الْمُحَقِّقُ نَصَّهَا بِقِيَاسِ
أَوْ إِلَى جَبَلٍ لَعَمْرِي رَاسِي
لَأَنْتَ بِهِ الْأَيَّامُ بَعْدَ شِمَاسِ
نُغْمَاكَ مَا بَقِيَتْ قُوَى إِخْسَاسِي
لَكَ مِثْلَ قَوْمِي الْمُخْلِصِينَ وَنَاسِي
آتِي عَلَى وَجْهِهِ إِلَيْكَ وَرَاسِي
مَرْضِيَّةِ الْأَنْوَاعِ وَالْأَجْنَاسِ
فِي طَيِّ مَا يُهْدِيهِ مِنْ قِرْطَاسِ
فِي كَثْبِهِ عَوْضًا مِنَ الْأَنْفَاسِ
آيَاتُهُ تُثَلَّى عَلَى الْجُلَاسِ
أَوْدَعْتُ رَوْضَ مُنَايَ مِنْ إغْرَاسِ
أَثْوَابُهُ جَلَّتْ عَنِ الْأَذْنَاسِ

(1) في الأصل: «مغتاضة بالنفع عن إجلال».

(2) قُبَّ البطون: ضوامرها. والأقرب: جمع قرب وهو الخاصرة. قال في التهذيب: «فرس لاحق الأقرب، يجمعونه، وإنما له قربان لسعته».

(3) تغادي: تباكر. وفي الأصل: «تعادي» - بالعين المهملة - وهو تصحيف.

(4) في الأصل: ثمارت.

وَصِلِ الَّذِي عَوَّذْتَنِي مِنْ حُرْمَةٍ [تَنْظُرُ]⁽¹⁾ بِذَلِكَ مَا الْحُسُودُ يُقَاسِي
 وَاجْعَلْ مَكَانِي فِي الْأَلَى بِكَ عَرَّفُوا صِدْقَ الرَّجَاءِ وَنَسْجَ حُكْمِ الْبَاسِ
 لَا زِلْتِ فِي السَّعْدِ الْمُجَدِّدِ مَا نَثَا⁽²⁾ عَزَفُ الصَّبَا أَعْطَافَ قُضْبِ الْيَاسِ

113

«وقال(*) : [متقارب]

أَيَا عَجَباً كَيْفَ تَهْوَى الْمُلُوكُ مَحَلِّي وَمَوْطِنَ أَهْلِي وَنَاسِي
 وَتَحْسُدُنِي وَهِيَ مَخْدُومَةٌ وَمَا أَنَا إِلَّا خَدِيمٌ بِفَاسِ

114

«وقوله(**) : [كامل]

وَمَمْنَعٍ رُفِعَتْ بِعُلُوِّ هَضَابِهِ نَارَ تُضِيءُ بِجُنْحٍ لَيْلٍ دَامِسِ
 إِنَّ أَمَّ مِنْهُ الْقَابِسُونَ مُوْطَأً لِلْقَابِسِ

115

«وقوله(***) : [منسرح]

يَا بَذْرُ بَادِرٍ إِلَيَّ بِالْكَاسِ قَرُبْ خَيْرِ أَتَى عَلَى بَاسِ
 وَلَا [تُقَبِّلُ]⁽³⁾ يَدِي فَإِنَّ فَمِي أَوْلَى بِهَا مِنْ يَدِي وَمِنْ رَاسِي

(1) كلمة غير واضحة في الأصل، ورُسمت على صورة (تصان) ولا معنى لها ولا وزن.

(2) نثا: بث ونشر.

(*) الإحاطة: 350/1، وجذوة الاقتباس: 96/1، والنفع: 112/7.

(**) مسالك الأبصار: 215/11 ب.

(***) المصدر السابق: 215/11 ب.

(3) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها المعنى والوزن.

وقال أيضاً^(*): [بسيط]

يَا خَيْرَ مَلِكٍ سَمَا بِأَرْضٍ أُنْدَلَسِ
وَأَفْضَلَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِهَا
وَأَكْرَمَ الْعَادِلِينَ النَّاصِرِينَ لَهَا
بُشْرَاكَ بِالْفَتْحِ وَالنُّصْرَ الْعَزِيزِ وَمَا
وَدَوْلَةٍ وَسَمَتْ غُفْلَ الْعِدَى وَسَمَتْ⁽²⁾
عَرَاءَ بِالنُّورِ فِي الْآفَاقِ صَادِعَةٍ
وَقِيلَ مَمْلَكَةً قَدْ أَضَعَدَتْ فَإِلَى
سَقَى رُبُوعَ بَنِي نَضْرٍ وَأَرْضَهُمْ
وَكَرَّمَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَسْرَةً بِهِمْ
وَمَا ابْنُ يُوسُفَ إِلَّا رَحْمَةً نَفَحَتْ
مُحَمَّدٌ فَاضِلُ الدُّنْيَا وَعَالِمُهَا
مِنْ صَفْوَةِ الْعَرَبِ الْعُرَّ الَّذِينَ لَهُمْ
مِنْ سِرِّ خَزَرَجٍ فِي عَلِيَاءِ شَاهِقَةٍ

وَلِلْجِهَادِ بِهَا نَحْوَ الْعُدَاةِ مَشَى
وَالشَّاعِلِ الرُّومَ عَنْ أَسَائِهِمْ⁽¹⁾ دَهَشَا
نَضْرًا قُلُوبُ الْعِدَى بِالرُّعْبِ مِنْهُ حَشَا
أَحْرَزَتْ مِنْ شَرِّ فِي الْعَالَمِينَ قَشَا
فَالسَّعْدُ مَذْ نَشَأَتْ مِلءُ الْعِيُونِ نَشَا
كَالشَّمْسِ يَجْلُو سَنَاها اللَّيْلَ وَالْعَبَشَا
مَا شَبَّ مِنْ نَارِهَا وَفَدُ الْفَخَارِ عَشَا⁽³⁾
غَيْثٌ مَتَى جَادَهَا لَمْ تَشْتِكِ الْعَطَشَا
قَامَ الْجِهَادُ الَّذِي بِالْكَفْرِ قَدْ بَطَشَا
عَنْ أَيِّ رُوحٍ بِهِ دِينَ الْهُدَى انْتَعَشَا
وَالْمَالِكُ الرُّومَ وَالْأَثَرَكَ وَالْحَبَشَا
حَدِيثٌ فَضْلٍ بِالْوَاكِ الْعُلَا انْتَقَشَا
زُهِرُ النُّجُومِ لَهَا قَدْ [وُطِئَتْ]⁽⁴⁾ فُرْشَا

(*) مزاين القصر: 29 أ.

(1) أسائهم: أحزانهم.

(2) وسمت: من الوسم وهو الكي الذي يؤثر علامة في الدابة الغفل فتصير معروفة بها. . وسمت: ارتفعت.

(3) أصعدت: ارتفعت، وعشا إلى النار: رآها ليلاً، وقصدها مستضيئاً بها، وفي الأصل: «عشا» وهو تصحيف.

(4) في الأصل: وطأت.

مِنْ آلِ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ فِي ذُرَى⁽¹⁾ شَرَفِ
ذُو الْعَدْلِ أَذْهَبَ عَنَّا الضُّرَّ أَجْمَعَهُ

مُحَكِّمِ حُبِّهِ فِي مُهْجَةٍ وَحَشَا
فَلَوْ سَرَى عَدْلُهُ لِلصُّلِّ⁽²⁾ مَا نَهَشَا

(1) في الأصل: ذوي.

(2) الصل: من أخبث الحيات.

«وَلِلَّهِ دَرُّهُ حَيْثُ يَقُولُ (*)»: [بسيط]

بَاتَتْ تُحَدِّثُ عَنْ نَجْدٍ وَمَا فِيهَا
وَطَارَحْتَنِي شُجُونًا كَانَ يَنْشُرُهَا
إِيَّهِ عَلَى الْجِيزَةِ الْغَادِينَ، دَارُهُمْ
وَأَعْصُرٌ ذَهَبَتْ عَنِّي وَقَدْ خَتَمَتْ
وَقَدْ نَسِيتُ وَلَا أَنْسَى وَإِنْ هِيَ قَدْ
بُدُورٌ تَمَّ عَلَى قُضْبٍ عَلَى كُثْبٍ
أَمَّا الرُّبُوعُ فَصَبْرِي يَوْمَ كَاظِمَةٍ (3)
كَأَنَّ خَيْمَاتِهَا الْأَلْفَاظُ نَاصِعَةٌ
مِنْ كُلِّ طَالِعَةٍ فِي الْبَيْدِ تُبْعِدُهَا
شَمْسٌ إِذَا غَرَبَتْ أَبَدَتْ لَنَا شَفَقًا
وَمَا نَسَأْتُ (4) بِدَوَّحِ الْبَانَ نَاعِمَةٌ
كَأَنَّمَا الْقُضْبُ تَسْهُو عَنْ تَحِيَّتِهَا

فَخِلْتُ دُرًّا سُقُوطَ اللَّفْظِ (1) مِنْ فِيهَا
وَجَدِي الْقَدِيمُ وَكَانَ الْكَثْمُ يَطْوِيهَا
نَجْدٌ، وَعَنْ مُنْجِدِي مِنْ غُرِّ أَهْلِيهَا
رَجِيقٌ أَنْسَى بِمَسْكِ مِنْ لَيَالِيهَا
أَضْحَى غُرُورُ الْأَمَانِي مِنْ أَمَانِيهَا
تَبْدُو [بِ]أَفْقَيْنِ (2) مِنْ قَلْبِي وَوَادِيهَا
مِمَّنْ عَدَتْهُ عَنِ الْبُغْيَا عَوَادِيهَا
وَالْغَيْدَ فِيهَا بَدِيعٌ مِنْ مَعَانِيهَا
أَيْدِي النَّوَى وَأَمَانُ الصَّبِّ يُذْنِيهَا
مِنْ أَدْمَعِ بَدْمِي انْهَلَتْ عَوَادِيهَا
تَثْنِي عَلَى الرِّيحِ إِنْ هَبَّتْ فَتَثْنِيهَا
غَبَّ الْحَيَا فَسُجُودُ السَّهْوِ يُجْزِيهَا

(*) مزاین القصر: 29 ب.

(1) في الأصل: اللفض وهو تصحيف واضح.

(2) في الأصل: أفقين، ولا يستقيم بذلك الوزن ولا المعنى.

(3) يمكن قراءة هذه الكلمة: كاهمة وكاظمة.

(4) نسأت: أخرت.

وَبِالْأَبَاطِحِ مِغْطَارُ الْأَصَائِلِ إِنْ
لِعَنْبَرِ الْغَنِيمِ فِيهَا كُلُّ مُشْغَلَةٍ
مُقْبِلٌ لِحُدُودِ الْوَزْدِ شَادِنُهَا
حَكَتْ يَدُ الْعَيْثِ مِنْ نَوْرِ لَهَا حُلَلًا
مَا رَاعَ جَيْشُ الصَّبَا لَيْلًا عَمَامَتَهَا
هِيَ الَّتِي زُرْتُهَا وَهْنًا⁽¹⁾ وَأَزْبَعُهَا
وَبَاتَ يَهْفُو اِزْتِيَا حَا غُضُنُ بَانَتِهَا
وَالرَّوْضُ يَكْتُمُ أَسْرَارًا كَمَائِمَهُ
مُضْمَخُ الْبُرْدِ مِنْ طِيبِ النَّوَاسِمِ إِنْ
كَأَنَّ عَاطِرَهَا ذَكَرُ الرَّسُولِ وَقَدْ
مَحَمَّدٌ خَاتِمُ الْأَرْسَالِ أَوْلُهَا
خَيْرُ الْخَلَائِقِ عَالِيهَا وَسَافِلِهَا
أَلْعَاقِبُ الْحَاشِرُ الْمَاجِي الَّذِي بَهَرَتْ
خَرَّتْ لِمَوْلِدِهِ الْأَضْنَامُ حَاكِيةً
وَالْجَنُّ فِي الْأَفْقِ قَدْ عَادَتْ مَقَاعِدَهَا
وَأَزْتَجَّ إِيوَانُ كِسْرَى مُظْهِرًا عَبْرًا
وَالنَّهْرُ غَبِضَ⁽²⁾ لَهُمُ وَالنَّارُ قَدْ طُفِيتْ
وَالْبَدْرُ شَقَّ لَهُ فِي لَيْلَةٍ كَرُمَتْ

عُلَّتْ صَبَاهَا فَآسِي الْآسِ يَشْفِيهَا
بِمَجْمَرِ الْبَرْقِ أَيْدِي الرِّيحِ تُذَكِّيهَا
وَرَأِشِفْ لِثُغُورِ الزَّهْرِ شَادِيهَا
تَخْتَالُ فِيهَا لِمِثْقَالِ يُوَافِيهَا
إِلَّا وَبَانَتْ سُيُوفُ الْبَرْقِ تَحْمِيهَا
بِعَاطِرَاتِ غَوَانِيهَا تُحَلِّيهَا
لَمَّا رَأَى الْوُزْقُ تَبْكِيْنِي وَأَبْكِيهَا
لِلزَّهْرِ لَكِنْ لِسَانُ الرِّيحِ يُفْشِيهَا
أَضَحَتْ تُدَانِيهِ أَوْ أَضْحَى يُدَانِيهَا
أَغْرَى الرِّكَائِبَ بِالْأَشْوَاقِ حَادِيهَا
فِي الْفَضْلِ شَمْسُ هَوَاهَا بَذْرُ نَادِيهَا
حَنِيرُ الْبَرِيَّةِ مَاضِيهَا وَآتِيهَا
آيَاتُهُ فَلِسَانُ الصَّدَقِ يُمْلِيهَا
هَامَاتِ مَشِيخَةٍ كَانَتْ تُحْيِيهَا
لِلسَّمْعِ فَالشَّهْبُ قَبْلَ السَّمْعِ تَرْمِيهَا
عِبَارَةُ الْفُرْسِ عَنْهَا لَا تُوَافِيهَا
كَأَنَّ مَا فَاضَ مِنْ مَاءٍ سَرَى فِيهَا
فَلَمْ تُدَاجِ أَخَا التَّقْوَى دَيَاجِيهَا⁽³⁾

(1) زار وهنا: أي في نحو من نصف الليل، أو بعد ساعة منه. (القاموس المحيط).

(2) الأصل: غيظ، وللناسخ خلط كبير بين الضاد والطاء عرضنا أمثلة عنه في بعض هوامش الديوان.

(3) داجاه: سآترة بالعداوة ولم يُيَدها له. والدياجى: الظلمات.

فَحُبُّهُ لِعَلِّي ظَلٌّ يُغْلِيهَا⁽¹⁾
 أَشَجَى بِطَيْبَةِ جِذْعًا كَادَ يُغْدِيهَا⁽²⁾
 قَدْ عَلَّمْتُهُ فَأَضْحَى بَعْدُ يَخْكِيهَا
 هَذَا وَتَبَعُ النَّدَى لَوْ شَاءَ كَافِيهَا
 فَأَضْحَكَ النَّوْرَ وَنَطَ الرُّوْضَ بِأَكِيهَا
 شَمْسًا⁽³⁾ عَلَى الْأَرْضِ لَا شَمْسَ تُضَاهِيهَا
 غُصُونُهَا لَيْسَ يَثْنِيهَا تَثْنِيهَا
 قَالَهُامُ كَالرُّطْبِ انْثَالَتْ لِجَانِيهَا
 بِقَبْضَةِ الرَّمْلِ قَبْلَ الْبَيْضِ يُمْضِيهَا
 بَقَاؤُهَا وَقَرَارٌ فِي نَوَاحِيهَا
 رَبُّ الْوَرَى وَبَنِي نَضْرٍ تَلَافِيهَا
 مُحَمَّدٌ غَوْثُ أَهْلِيهَا وَحَامِيهَا
 أَرْضَى⁽⁶⁾ الْإِلَهَ بِسَعْيِي فِي مَرَاضِيهَا
 وَسُنَّةَ لِرَسُولِ اللَّهِ يُخَيِّهَا
 فَكُلُّ⁽⁷⁾ عَافٍ ثُرْوِيهِ وَيَزْوِيهَا

وَالشَّمْسُ قَدْ رَدَّهَا مِنْ بَعْدِمَا غَرُبَتْ
 وَالْجِذْعُ حَنَّ لَهُ كُلُّ الْحَنِينِ فَمَا
 كَانَمَا الْوُزْقُ إِذْ عَنَّتْ بِأَغْصَانِهِ
 وَأَرْسَلَ الْمَاءَ نَبْعًا مِنْ أَصَابِعِهِ
 وَالسُّحْبُ جَادَتْ بِسُحْبِ الْغَيْثِ حِينَ دَعَا
 وَظَلَّلَتْهُ الْغَمَامُ الْوُطْفُ وَأَقِيَّةُ
 وَأَقْبَلَتْ نَخْوَةَ الْأَشْجَارِ مُعْجَلَةً
 وَعَادَ سَيْفًا قَضِيبُ النَّخْلِ فِي يَدِهِ
 [رَدًّا]⁽⁴⁾ حُنَيْنًا لِأَهْلِ الْكُفْرِ مُنْهَزِمًا
 وَإِنْ أَتَدَلَّسَا هَذَا لِمُعْجِزَةٍ
 لَكِنْ مَتَى حَشِيتَ إِتْلَافَهَا فَعَلَى
 وَقَدْ أَطْلَ⁽⁵⁾ زَمَانَ الْفَتْحِ طُولُ نَدَى
 مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْحَجَّاجِ خَيْرَةٍ مَنْ
 فَمِنْ فُرُوضِ يُمِيتُ الْعَائِقَاتِ لَهَا
 صَحَّتْ أَحَادِيثُ بَيْضِ الْجُودِ عَنْ يَدِهِ

(1) الإشارة إلى ما ورد في بعض كتب السيرة من أن الرسول (ص) نام على ركة علي، كرم الله وجهه، فلم يوقظه حتى غربت الشمس، ولم يصل العصر فسأل الرسول (ص) ربه أن يرد عليه الشمس، فعادت بقدر صلاته.

(2) الإشارة إلى حنين الجذع الذي كان يخطب عليه الرسول (ص) قبل بناء المسجد.

(3) في الأصل: شمس.

(4) في الأصل: ورد، ولا يستقيم به الوزن.

(5) أطل: كذا.

(6) في الأصل: تشبه رسم «أوصى».

(7) العافي: طالب العطاء.

لَا عُذْرَ لِلتَّارِكِ الْأَشْعَارِ فَهِيَ بِهِ
خَيْرُ الْمُلُوكِ الَّتِي جَلَّتْ عَلَا فَعَدَّتْ
الْقَاتِلُ الْمَحْلَ⁽¹⁾ قَتَلَ الْمُشْبِهِينَ لَهُ
فَمِنْ سَحَابِ نَدَى يُرْضِيهِ هَامِلُهَا
مِنْ آلِ يَغْرُبَ فِي الْعَدِّ الصَّرِيحِ لَهُ
مِنْ سِرِّ قَحْطَانَ فِي أَسْمَى ذَوَائِبِهَا
مِنْ ضِئْضِئِ الْخَزَرْجِ الْغُرِّ الَّذِينَ هُمْ
الرَّاكِبُونَ إِلَى الْهَيْجَاءِ ضَامِرَةً
يَجْلُو بِضُبْحِ حَجُولٍ كَادَ يَبْهَرُهَا
وَالْمُرْسِلُونَ لَهَا وَالْأَرْضُ بَحْرُ دَمٍ
وَالْمُنْهَدُونَ وَسُمُرُ الْخَطِّ مُشْرَعَةٌ
كَتَائِبُ لِمَعَالِيهِمْ مُنَاسِبَةٌ
أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَمَنْ
وإنَّ يُحَاكِ بَنُو نَضْرٍ فِعَالَهُمْ
وَحَضْرَةٌ زَيَّنَتْهَا بُقْعَةٌ جُعِلَتْ
يَاقُوتَةٌ فَهِيَ بِالْحَمْرَاءِ قَدْ دُعِيَتْ
وَكَمْ بِعَرْنَاطَةٍ مِنْ بُقْعَةٍ حَمَلَتْ
الْمِسْكَ تُرْبُ مَوَاطِئِ لِلْكَرَامِ بِهَا

كُثِرَ بَوَاعِثُهَا كُثِرَ دَوَاعِيهَا
حُمْرًا وَقَائِعُهَا بِيضًا أَيَادِيهَا
مِنْ الْأَعَادِي الَّتِي مَا زَالَ يَكْفِيهَا
وَمِنْ سَحَابِ دَمٍ⁽²⁾ يَشْفِيهِ هَامِيهَا
مَحَاتِدُ رَقِيَتْ أَعْلَى مَرَاقِيهَا
مِنْ بَيْتَةِ لَيْسَ مِنْ نَجْمٍ يُسَامِيهَا
مَا هُمْ إِذَا مَا دَعَا لِلْحَرْبِ دَاعِيهَا
قُبَّ الْبُطُونِ مُنِيفَاتِ هَوَادِيهَا
بِالْثُّورِ لَيْلَ عَجَاجٍ كَادَ يُخْفِيهَا
سَفَائِنًا بِأَسْهُمٍ لَا الرِّيحُ مُجْرِيهَا
كَتَائِبًا بَاتَتْ الثَّقَوَى تُنَاجِيهَا
يُحْصِي الْحَصَى قَبْلَ أَنْ يَنْفَكَّ مُحْصِيهَا
تَلَا مَدَائِحَهُمْ فِي الْآيِ تَالِيهَا
فَالْأَسْدُ أَشْبَالُهَا فِعْلًا تُحَاكِهَا
وُسْطَى لِعَقْدِ نَفِيسٍ مِنْ مَبَانِيهَا
لَا زَالَ جَوْهَرُ أَمْدَاجِي يُوَافِيهَا
أَبْنَاءُ نَضْرٍ فَهَزَّتْ عِطْفَهَا [تِيهَا]⁽³⁾
وَالدُّرُّ مَهْمَا مَشَوْا حَضْبًا⁽⁴⁾ أَرَاضِيهَا

(1) في الأصل: المجل.

(2) في الأصل: دما.

(3) في الأصل: فيها. والته: التكبر.

(4) في الأصل: حصباء، والقصر لضرورة الوزن.

مِنْ آلِ قَيْنِسِ بْنِ سَعْدِ سَادَةِ نُجَبٍ
إِنْ يَشْتَكِ السَّيْفُ فِي يَوْمِ الْوَعَى قِصْرًا
لِلَّهِ دَرُّ إِمَامٍ جَاءَهَا خَلْفًا
لَا عَيْبَ فِيهِ يَبْقَى عَيْنَ الْكَمَالِ سِوَى
أَبْقَتْ لَنَا كُلَّ مَنْ نَرْجُوهُ دَوْلَتُهُ

تُرَوَّى الْحِسَانُ الْعَوَالِي عَنْ عَوَالِيهَا
فَوَضَّلَهُ خَطُوهَا زَحْفًا وَأَيْدِيهَا
وَرَّادَ عِزٍّ مَعَالٍ فِي مَعَالِيهَا
أَنَّ السَّيْفَ بِضَرْبِ الْهَامِ يُفْنِيهَا
وَمَا نُؤْمَلُهُ، فَالَلَّهُ يُبْقِيهَا

118

وقال في القاضي وجيه الدين يحيى بن محمد الصنهاجي (*) : [كامل]

أَضْحَى وَجِيهُ الدِّينِ أَسْبَقَ سَابِقِ
عَجِبَ الْوَرَى مِنْ سَبْقِهِ وَتَعَجَّبُوا
فِي الْعِلْمِ وَالْعَلْيَاءِ وَالْخُلُقِ النَّزِيهِ⁽¹⁾
فَأَجَبْتُهُمْ: لَا تُنْكِرُوا سَبْقَ الْوَجِيهِ

(*) تاج المفرق: 200/1، والنفع: 111/7.

قال البلوي: «أنشده إياهما بمحضري».

(1) في النفع: النبیه، والوجیه اسم فرس ورد في أشعار العرب وأخبارهم، وأيضاً الوجیه من الخیل: الذي تخرج يداه معاً عند التناج.

«ومن كلامه أيضاً(*)»: [طويل]

أَيَا دَارِي الْأَوَّلَى بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى
 وَمَا فَعَلَ الْحَيُّ الَّذِينَ تَرَحَّلُوا
 وَشَبُّوا شُجُونِي فَاخْتَمَى الرَّمْلُ، لَا اخْتَمَى،
 وَحَانَ بِمَرْغَى الْعَيْسِ مَا كَانَ يُخْتَشَى
 وَقَدْ كَانَ لِي خَمْرٌ مِنَ الرَّيْقِ مُسَكَّرٌ
 وَفِي الْجِيرَةِ الْعَادِينَ بَذْرُ مَنَازِلِ
 وَلِلَّهِ صَبٌّ دَانَ بِالْحُبِّ مُخْلِصاً
 وَمَا إِنْ نَوَى إِلَّا الْوَفَاءَ وَإِنَّمَا
 وَيَا بِأَبِي حَسَنَاءَ مِنْ غُنْجِ طَرْفِهَا
 تَزِيدُ غَرَامِي شِدَّةً بَغْدَ شِدَّةِ
 بَعِيدَةٍ⁽³⁾ مَهْوَى الْقِرْطِ أَقْسَمْتُ إِنَّهُ
 وَمَا زَالَ غُضْنُ الْبَانِ يَحْكِي قَوَامَهَا
 أَعِنْدَكَ عِلْمٌ بِالَّذِي جَرَّتِ النَّوَى
 وَأَبْقُوا بِقَلْبِي لِأَعَجِ الْوَجْدِ وَالْجَوَى
 وَأَجْرُوا دُمُوعِي فَازْتَوَى الْبَانُ لَا اِزْتَوَى
 مِنَ الْكَبِدِ الْحَرَّى فَسُرْعَانَ مَا دَوَى
 فَبُدِّلْتُهُ لَكِنْ بِخَمْرٍ مِنَ الْهَوَى
 تَحَيَّرَ مِنْهَا الطَّرْفُ وَالْقَلْبُ إِذْ نَوَى
 وَلَكِنَّهُ مَا ضَلَّ يَوْماً وَمَا غَوَى⁽¹⁾
 لِكُلِّ أَمْرٍ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مَا نَوَى⁽²⁾
 هُوَ الدَّاءُ لَكِنْ مِنْ مَرَّاشِفِهَا الدَّوَا
 وَلَكِنْ بِضَعْفِ الْخَضِرِ قَدْ أَغْدَتِ الْقَوَى
 [لِلْأَبْعَدُ]⁽⁴⁾ مِنْ نَجْمِ السَّمَاءِ إِذَا هَوَى
 فَلَمَّا رَأَتْ مِنْهُ الصَّبَا الْحَسَدَ التَّوَى

(*) المزاين: 31.

(1) أخذ من قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (النجم: 2).

(2) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى... الْحَدِيثُ» وهو أول حديث في صحيح البخاري. (أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري لأبي سليمان الخطابي: 119-107/1).

(3) في الأصل: بعيد.

(4) في الأصل: لأبعد.

وَآيَةُ شَمْسٍ فِي فُؤَادِي أَفْقَهَا
تَنَاءَتْ بِهَا أَيْدِي⁽²⁾ الرِّكَابِ فَأَذْمُعِي
وَمَا رَاعَنِي بِالْجَزَعِ إِلَّا ضَعَائِنُ
وَأَسْرَابُ غَرْبَانٍ بِكُحْلِ عُيُونِهَا
وَرَبْعُ كَبَاقِي الْوَشْمِ بِالنُّعْفِ دَارِسُ⁽⁴⁾
وَقَفْتُ بِهِ أَبْكِي وَأَسْفَحُ أَذْمُعًا
وَلَمْ أُنْسَ سَيْرِي فِي دِيَاكِ كَأَنَّهَا
كَرِيمٌ لَهُ الْعَايَاتُ فِي الْبَاسِ وَالنَّدَى
فَعَنْ نَافِعٍ مِنْهُ التَّكْرُمُ مُسْنَدٌ
وَمِنْ بَاسِهِ نَارٌ بِخَيْرِ يَدٍ⁽⁶⁾ وَمِنْ

إِذَا مَا تَبَدَّتْ أَخْتُهَا فَهُمَا⁽¹⁾ سَوَى
تَصُوبُ وَقَلْبِي بِالْفِرَاقِ قَدْ اِخْتَوَى
تُذَكِّرُنِي عَهْدًا قَدِيمًا بِذِي طَوَى
رَوَاقِعُ مَا تُبْدِي السُّيُوفُ مِنَ الْكُؤَى⁽³⁾
أَصَمُّ الصَّدَى بَادِي الْبَلَى طَامِسُ الصَّوَى
عَلَى مِثْلِهَا وَدَّ الْغَمَامُ لَوْ اخْتَوَى
جِيُوشُ ابْنِ نَضْرٍ خَافِقٍ فَوْقَهَا اللَّوَى
إِذَا جَدَّ جَدُّ الطَّغْنِ أَوْ شَكِي الطَّوَى
وَعَنْ عَاصِمٍ مِنْهُ التَّفَرُّسُ قَدْ⁽⁵⁾ رَوَى
نَدَاهُ بِهَا لِلْمُخْتَدِي⁽⁷⁾ مَنَهْلٌ رَوَى

(1) في الأصل: فيما.

(2) في الأصل: أيد.

(3) السجوف: جمع سجع وهو أحد السترين المقرونين بينهما فرجة.

والكوى: جمع كوة وهي الثقب في الجدار ونحوه. والبيت يصور العيون البادية من خلال تلك الكوى وكأنها ترقعها.

(4) النعف: مكان يرتفع قليلاً، ويكون فيه صعود وهبوط (وسيط).

والشعر يمتح من طليات الاتجاه القديم في صورته وألفاظه، ومنه في شعرهم:

لمن طلل..... يلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

(5) هو نافع بن عبد الرحمن الليثي المدني: أحد القراء السبعة (ت 169هـ) (غاية النهاية: 330/2، وفيات الأعيان: 151/2، وأعلام الزركلي).

هو عاصم بن أبي النجود الكوفي: أحد القراء السبعة. (تهذيب التهذيب: 38/5، والوفيات: 243/1، وغاية النهاية: 346/1، وميزان التهذيب: 38/5، والوفيات: 243/1، وغاية النهاية: 346/1، وميزان الاعتدال: 5/2).

(6) في الأصل: ند، ويدل على أن المراد بالكلمة «اليد» عود الضمير عليها في الشطر الثاني.

(7) المحتدي: هو من يطلب الشيء ويحث في متابعته.

وَمَا شَرَّفَ الْعَبْدَ الْمُطِيعَ سِوَى الثَّقَى
وَكَمْ تَمَّ مِنْ وَادٍ وَلَكِنْ بِقُدْسِهِ
هُمَامٌ أَطَاعَتْهُ الْبِلَادُ وَأَهْلُهَا
هُوَ النَّارُ وَالنَّاسُ الْهَوَاءُ إِذَا بَدَا
مِنَ الْخَزَرْجِيِّينَ الَّذِينَ سُيُوفُهُمْ
مِنَ الْقَاتِلِينَ الْمَحَلَّ بِالْجُودِ صَوْبُهُ
هُوَ الْعَيْثُ مَهْمَا بَلَ أَزْضًا فَبَرَقَهُ
وَلَيْثٌ إِذَا مَا ظَلَّ يَهْدِرُ غَاصٌ⁽³⁾ فِي
أَمِيرٍ لَهُ قَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ وَعْدَهُ
وَخَصَّصَهُ الْفَتْحَ الْمُبِينَ بِمَا اقْتَنَى
وَأَشْبَهَ بِشِرًّا⁽⁶⁾ فِي اسْتِوَاءٍ فَلَيْتَهُ
جَرِيٌّ أَحَبَّ الْأَرْضَ تُشْرِقُ بِالْقَنَا
إِذَا نَشَرَ الْأَعْلَامَ أَقْبَلَ زَاحِفًا
حَلِيفُ ضِرَابٍ خَيْلُهُ بِدَمِ الْعِدَى

وَقَلْبٍ عَلَى عِلْمٍ لَدُنِّي انْطَوَى
تَشَرَّفَ لَمَّا مَرَّ مُوسَى [بِذِي]⁽¹⁾ طَوَى
وَلَا عِزٌّ إِلَّا جَلَّ مِنْهُ بِمُسْتَوَى
وَلَا شَكٌّ أَنَّ النَّارَ تَعْلُو عَلَى الثَّوَى
بِهِنَّ الثَّوَى عَنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا الثَّوَى
يَتُوبُ مَنَابَ الشُّحْبِ وَالنَّجْمِ قَدْ [هَوَى]⁽²⁾
حُسَامٌ بِهِ جَنْبَ الْمُنَاجِزِ قَدْ كَوَى
دِمَاءِ الْعِدَى الذُّئْبُ الَّذِي إِثْرُهُ عَوَى
وَمَا إِنْ لَوَى الدِّينَ الَّذِي كَانَ قَدْ لَوَى⁽⁴⁾
وَأَوْطَاهُ مَا كَانَ مِنْ [أَرْضِهِمْ]⁽⁵⁾ رَوَى
بِحَرْبٍ عَلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ قَدْ اسْتَوَى
وَكُلُّ مُحِيطٍ مِنْ مَدَائِنِهِ اخْتَوَى
بِجَيْشٍ بَرُودَ الْبَيْدِ لِلطَّعْنِ قَدْ طَوَى
لَهْنٌ إِذَا عَبَّ⁽⁷⁾ الْفَوَارِسُ مُرْتَوَى

(1) في الأصل: به، وذو طوى: هو الجبل الذي كلم الله فيه سيدنا موسى عليه السلام. (انظر سورة طه، آية: 12).

(2) في الأصل: حوى، ولا معنى فيه ولا إشارة، بعكس الكلمة المختارة التي تشير إلى الآية الأولى من سورة النجم، وتضع الجملة في موضع الحال فيستقيم بها معنى البيت.

(3) في الأصل: غاض.

(4) لوى الدِّين: مطله، ولواه أيضاً: ستره وأخفاه.

(5) في الأصل: «وَأَوْطَاهُ مَا كَانَ مِنْ أَرْضِ الْعِدَى رَوَى» ولا يستقيم بذلك الوزن، وواضح أن «العدى» حلت محل الضمير الذي يعود إلى «العدى» في البيت الثاني قبله، ولعله كان تعليقاً في الأصل فضمنه الناسخ في البيت وحذف ضميره.

(6) بشر: هو.

(7) عب الماء عباً: شربه بلا تنفس.

مُثِيرُ عَجَاجٍ حَلَّقَ⁽¹⁾ النَّسْرُ فَوْقَهُ
لَهُ جَمَعَ اللَّهُ الشَّجَاعَةَ كُلَّهَا
هَنِيئًا أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ بِمَقْدَمِ
وَعُودِ إِلَى جَنَاتِ أَشْرَفِ حَضْرَةٍ
وَيَا خُسْرَ عَاصٍ مَرَّ عَنْكَ مُغَاضِبًا

فَلَمَّا اسْتَحَرَّ الطَّغْنُ مِنْ جَنْبِهِ اسْتَوَى⁽²⁾
فَكَانَ سِوَاهُ مِنْ شُجَاعٍ كَلَّا سِوَى
سَعِيدِ حَوَى مِنْ بَهْجَةِ الْحُسْنِ مَا حَوَى
غَدَتْ وَهِيَ لِلْأَعْدَاءِ نَزَاعَةُ الشُّوَى⁽³⁾
وَيَا فَوْزَ مَطْرُودٍ إِلَى بَابِكَ انْطَوَى

(1) في الأصل: خلق.

(2) استحر: اشتد وصار حاراً، وجبهه، في الأصل: «يخته» وليس لها معنى فيما أعلم.

(3) اقتباس من قوله تعالى: ﴿نَزَاعَةُ لِلشُّوَى﴾. (المعارج: 16).

وقال أيضاً(*) : [كامل]

مَا ضَرَّ طَيْفَكَ لَوْ أَقَامَ قَلِيلًا
طَيْفٌ أَتَى لَيْلًا وَتَجَدُّ دَارُهُ
لَكِنَّهُ لَمْ يُبْقِ غَيْرَ صَبَابَةٍ
وَعَدَا خَلِيلِي بَعْدَهُ بَرِحَ الْأَسَى
وَلَقَدْ أَرَقْتُ لِبَارِقٍ وَدَّ الدُّجَى
وَأَثَارَ شَوْقِي بِالْغَوِيرِ⁽⁴⁾ حَمَائِمٌ
وَنَوَاسِمٌ أَهْدَتْ إِلَيَّ تَجِيَّةً
وَنَأَى وَخَلَفَ دُونَ أَكْثَبَةِ الْحِمَى
كَالْأَرْضِ أَرْضِ الْكُفْرِ لَمَّا حَلَّهَا
وَأَبَادَ أَهْلِيهَا الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ
وَأَدَامَ وَظَاهُمُ بِخَيْلٍ أَسْمَعَتْ
مَلِكُ الْمُلُوكِ وَنُخْبَةُ الْبَيْتِ الَّذِي

وَلَعَلَّنِي أَشْفِي بِذَاكَ غَلِيلًا
صَبًّا بِأَكْنَافِ الشَّامِ نَزِيلًا
تَسْرِي⁽¹⁾، لَعَمْرِي، بُكْرَةً وَأَصِيلًا
يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْهُ خَلِيلًا⁽²⁾
لَوْ كَانَ قَبْلَ⁽³⁾ ثَغْرَهُ تَقْبِيلًا
تُبْكِي بِأَغْصَانِ الْأَزَاكِ هَدِيلًا
مِنْ ظَاعِنٍ عَنِّي أَطَالَ رَحِيلًا
رَبْعًا غَدَا بَعْدَ الْفِرَاقِ مَحِيلًا
جَيْشُ ابْنِ نَضْرٍ بَدَّلَتْ تَبْدِيلًا
بِالسَّيْفِ أَسْمَعَهُمْ هُنَاكَ صَلِيلًا
فِي الْحَرْبِ حَمَحَمَةً لَهَا وَصْهِيلًا
قَدْ طَابَ أَغْرَاقًا وَعَزَّ قَبِيلًا

(*) المزائن : 32 .

(1) في الأصل : سري .

(2) اقتباس من قوله تعالى : ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الفرقان : 28) .

(3) في الأصل : يقبل .

(4) الغوير : اسم لموضع في الحجاز به ماء لبني كلب . ومن أمثالهم : «عسى الغوير أبوساً» . (اللسان : غور) .

مِنْ ضِئْضِئِ الْأَنْصَارِ أَكْرَمِ أَسْرَةٍ
 الْفَائِزِينَ بِجَنَّةٍ طَابَتْ شَذَى
 مِنْ آلِ سَعْدٍ⁽¹⁾ ذَلِكَ بِنِ عُبَادَةٍ
 وَعَلَى أَبِي⁽²⁾ قَيْسٍ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ
 وَمَحَمَّدُ ذَاكَ ابْنُ يُوسُفَ وَارِثُ
 الْمَاجِدِ ابْنُ الْمَاجِدِينَ فَفَخْرُهُ
 خَيْرُ السَّلَاطِينِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ
 قَوْمٌ إِذَا دُعِيَتْ نَزَالِ رَأَيْتَهُمْ
 مَوْلَايَ إِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ مَادِحاً
 فَاصْفَحْ وَكُنْ بِي مِنْ قَبُولِكَ مُظْهِراً
 نَصَرُوا النَّبِيَّ فَفَضَّلُوا تَفْضِيلاً
 وَقُطُوفُهَا قَدْ ذُلَّتْ تَذْلِيلاً
 مَوْلَى بِنَصْرِ الدِّينِ كَانَ كَفِيلاً
 أَتْنَى وَكَمَّلَ بِرَّهُ تَكْمِيلاً
 عَلِيَاءُ هُمْ وَالتَّاجُ وَالْإِكْلِيلُ
 فِي مَحْفَلِ الْأَشْرَافِ أَقْوَمُ قِيلاً
 وَالْحَزْبُ تَوْضِيحٌ لِلْحَمَامِ سَبِيلاً
 كَالْأَسَدِ تَحْمِي عَنْ شُبُولِ غِيلاً
 وَعَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ جِئْتُ دَخِيلاً
 يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ جَمِيلاً

(1) سعد بن عبادة: صحابي من الأنصار، كان سيد الخزرج. (انظر تهذيب ابن عساكر: 84/6، وصفوة الصفوة: 102/1، والإصابة: ترجمة: 367، وطبقات ابن سعد: 142/3، والبدء والتاريخ: 123/5.

(2) في الأصل: «وعلى أبيه قيس» ولا يستقيم بذلك الوزن، ثم إن سعد بن عبادة هو نفسه أبو قيس. وجاء في اللوحة البدرية أن الناس صنفوا غير ما تصنيف في اتصال نسب بني نصر بقيس بن سعد بن عبادة. (اللوحة البدرية): 33.

قال ابن الحاج النميري:

«مِمَّا كُنْتُ نَظَّمْتُهُ وَوَجَدْتُهُ بِخَطِّي فِي بَعْضِ التُّقَايِيدِ^(*): [رجز]

أَنْجِدْ بِهَا وَمَا حِمَى⁽¹⁾ نَجِدْ إِذَا
يَا سَعْدُ! هَلْ عِنْدَ الصَّبَا تَحِيَّةٌ
إِنِّي أَرَى قُضِبَ النِّقَا مَوَائِلًا
أَهَا لِنَفْحٍ مِنْ رُبَا كَاظِمَةٍ⁽²⁾
وَالْهَفْتَا لِعَيْشَةٍ إِلَى الْكَرَى
أَبْكِي اللَّيَالِي الَّتِي عَنَّا خَلَتْ
كَانَ الشَّبَابُ عِنْدَهَا أَرَاكَةَ
فَالْيَوْمَ قَدْ جَفَّ الشَّرَى وَصَوَّحَتْ
مَاذَا عَلَى غَضْرِ الصَّبَا لَوْ رَاجَعْتَ
وَمَا عَلَى سُكَّانِ أَكْنَافِ النِّقَا
هُمْ عَلَى قُرْبٍ وَهُمْ عَلَى النَّوَى
أَقْسَمْتُ لَوْ أَبْصَرْتُ تُرْبَ أَرْضِهِمْ
وَلَسَقَيْتُ بَانَهُمْ مِنْ أَدْمُعِي

أَتَهُمْ سُكَّانُ الْحِمَى بِدَارِيهِ
تُخَيِّ بِهَا عَلَى النَّوَى فُوَادِيهِ
بِهَا مِنَ الشَّوْقِ الشَّدِيدِ مَا بِيَهُ
ذَكَرَنِي الْعَهْدَ وَلَسْتُ نَاسِيَهُ
أَنْ لَا أَرَاهُ بَعْدَهَا أَنَّى لِيهِ
بِأَدْمُعٍ تَزْوِي الرُّبُوعَ الْخَالِيَهُ
تُسْقَى بِكَاسَاتِ الرُّضَا الْمُصَافِيَهُ
وَأَنْكَرَ الْجَزْعُ صَبَاحاً وَادِيَهُ
أَزْمَانُهُ مَا عَزَّ مِنْ لَذَائِيهِ
لَوْ أَسْعَدُوا بِوَضْلِهِمْ أَوْقَاتِيَهُ
أَقْصَى الْمُنَى وَمُنْتَهَى مُرَادِيَهُ
لَعَفَّرْتُ خَدِّي بِهِ أَشْوَاقِيَهُ
سُحْبًا تَسِيحُ الدَّهْرَ مِنْ أَجْفَانِيَهُ

(*) مذكرات ابن الحاج: 29 مقارنة مع تحقيق برميير: 123-124.

(1) حمى: كتبت بالألف الممدودة حيثما وجدت.

(2) كاظمة: منطقة على سيف البحر من البصرة على مرحلتين.

وَفِي الْقَبَابِ بِالْغُورِ⁽¹⁾ طِفْلَةٌ وَسَنَانَةٌ تَزْنُو بِعَيْنَيَّ جَارِيَةً

122

«وقال^(*): [طويل]

بِرَوْضَتِنَا الظُّمَيَّاءِ طَالَ اكْتِئَابُنَا فَلِلَّهِ عَيْنٌ مِثَّ آمَالِنَا أَحْيَا
وَأَشْبَهَ مِهْيَاراً⁽²⁾ فَهَا تِلْكَ عَيْنُهُ تَفِيضُ إِذَا شَامَ الْبُرُوقَ عَلَى ظُمَيَّا

123

«وله من قصيدة^(**): [خفيف]

سَلَّمَ اللَّهُ بِالْعَقِيقِ مَطَايَا عِنْدَ أَهْلِ الْهَوَى لَهْنٌ مَزَايَا
حَامِلَاتٍ عَلَى الْغُيُودِ شُمُوساً مُظْهِرَاتٍ مِنَ الْغَرَامِ خَفَايَا
كُلُّ شَمْسٍ تَغِيرُ عِنْدَ طُلُوعِ كُلِّ شَاكٍ ضَنَاهُ لَوْنُ الْعَشَايَا⁽³⁾
أَتَمَّئِي لِقَاءَهَا وَالْأَمَانِي ضِمْنَهَا أُوْدِعَتْ حُرُوفُ الْمَنَايَا
وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ شَبَّ هَوَاهَا نَمَ هَنِئاً وَمِنْ حَشَايَ⁽⁴⁾ حَشَايَا
وَلَكُمْ شِمْتُ لِلثَّنَايَا بُرُوقاً ذَكَرْتَنِي لَهَا بُرُوقُ الثَّنَايَا⁽⁵⁾

(1) الغوير: ماء لكلب معروف بناحية السماوة.

(*) النفع: 116/7.

(2) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي: شاعر فارسي الأصل، أسلم سنة 394هـ وتشيع. لأسلوبه تأثير في جماعة من شعراء الأندلس في هذا القرن كابن هذيل والساحلي.. (انظر أعلام الزركلي ومراجعته).

(**) المزاين: 33.

(3) تغير: تتفع. والعشاياء، جمع عشية: وهي آخر النهار، وفي لون المضني شبه من لونها الأصفر.

(4) حشاي: أراد صدري، فالحشا ما دون الحجاب مما يلي البطن. والحشاياء: جمع حشية وهي الفراش المحشو.

(5) شام البرق: نظر إليه، والثنايا: الأستنان في مقدم الفم من أعلى ومن أسفل. والثنايا: الطرق في الجبال أو الجبال نفسها، وقد أراد في بيته المعنيين على التوالي.

وَفُؤَادِي الْمَشُوقْ أَهْدَيْتُ لَكِنْ
يَا نَسِيمَ الصَّبَا أَحْيَيْكَ فَأَبْنُتُ
وَعَنِ الظَّاعِنِينَ هَاتِ حَدِيثًا
وَقِفُوا بِي، أَهِيلَ وَدِّي قَلِيلًا
حَيْثُ تُهْدِي الْحُدَاةُ مِثْلَ سِهَامٍ
وَكَأَنَّ الدُّجَى سُوَيْدَاءُ قَلْبٍ
أَتَظُنُّونَ أَنَّ طُولَ انْتِزَاحِي
وَكَأَنَّ الصَّبَاحَ سَيْفٌ⁽⁴⁾ ابْنِ نَضْرٍ
مُغْرَبُ الْفِعْلِ جِلْمُهُ كَادَ يُغْرِي
خَافَتِ الشُّهْبُ أَنْ يَكُرَّ عَلَيْهَا
وَإِذَا مَا أَهَابَ لِلْجُودِ مُغْطٍ

كَمْ رَقِيبٍ أَبَى قَبُولَ الْهَدَايَا
طِيبَ ذَاكَ الشَّدَا وَرَدَّ التَّحَايَا
لَيْسَ يَخْطِئُ⁽¹⁾ بِهِ مُحِبُّ سَوَايَا
مَسْقَطَ الدَّمْعِ مِنْ عُيُونِ السَّبَايَا
سُدَّدَتْ، وَالْمَطِيئُ مِثْلُ الْحَنَايَا⁽²⁾
كَاتِمٍ، وَالنُّجُومُ فِيهِ خَبَايَا
قَدْ بَرَى الْجِسْمَ، إِي⁽³⁾ وَرَبُّ الْبَرَايَا
حَوْلَهُ مِنْ سَوَادٍ نَفَعَ بَقَايَا
مَنْ دَرَى فَضْلَهُ بِعَوْدِ الْخَطَايَا
مِنْهُ بَذَلٌ لِلْوَفْدِ غَيْرِ الْخَزَايَا
فَعَلَى قَدْرِهِ تَكُونُ الْعَطَايَا⁽⁵⁾

(تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ)

(1) الظاعنين: في الأصل الضاعنين، ويحظى: في الأصل يخطئ.

(2) الحداة: ساقاة الإبل.

(3) إي: حرف جواب بمعنى: نعم يسبق القسم.

(4) في الأصل: سيف، وبه يختل الوزن، والمعنى، إذ في قوله: «حوله» دليل على الأفراد فضلاً عن أفراد صاحب السيف.

(5) وفي آخر هذه القصيدة كتب في (مزاين القصر): «كمل بحمد الله وحسن عونه والصلاة على نبيه وآله ليلة الأحد في شهر شعبان بعد انقضاء نصفه عام 924». ورقم المئات غير واضح في الأصل.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس القوافي

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	القافية
- أ -			
39	16	طويل	مخطيء
40	2	طويل	وثناء
- ب -			
47	2	وافر	التهابا
48	2	طويل	أطلب
43	35	طويل	المطالب
41	44	طويل	القواضب
46	2	متقارب	شارب
48	2	متقارب	لاعب
47	2	بسيط	مطلبه
47	2	طويل	ركابي
46	2	طويل	الغرب
46	2	بسيط	الأدب
47	7	سريع	الركب
- ت -			
52	2	متقارب	بيت
52	2	كامل	ذاتي
49	44	كامل	مقروءة

- ث -

53	45	طويل	لبث
----	----	------	-----

- ج -

66	2	خفيف	ممازج
66	2	خفيف	المناهج
65	3	مقارب	المهج
57	48	كامل	المتأرج
60	2	طويل	لتاجها
66	2	كامل	مزاج
60	89	كامل	الأبلج

- ح -

71	2	طويل	إفصاحه
67	53	طويل	النجع
71	2	كامل	الأوضح
71	2	كامل	صباح
71	2	وافر	جناح
70	4	كامل	بنازح

- خ -

73	32	طويل	باذخ
----	----	------	------

- د -

79	41	طويل	مكمدا
----	----	------	-------

75	10	طويل	الهدى
81	2	طويل	قصدا
82	1	كامل	الإسعاد
95	2	طويل	بموعد
91	64	طويل	الفرد
82	121	طويل	يتورد
96	2	متقارب	العماد

- ذ -

97	24	كامل	الأغذاذا
----	----	------	----------

- ر -

99	77	متقارب	ثارا
103	6	طويل	المعطر
104	2	طويل	الثار
109	67	طويل	خير
104	61	طويل	التجر
113	7	طويل	السحر
116	2	طويل	تذكاري
116	3	طويل	النصر
116	2	طويل	بالنكر
117	2	طويل	مدرار
119	2	كامل	الخطار
118	2	كامل	الأكور
118	2	كامل	بتغير
114	37	طويل	الفجر

118	7	بسيط	ومتصر
118	2	كامل	بدر
117	2	وافر	باخضرار
117	2	خفيف	وبشر

- ز -

124	2	متقارب	عزيزاً
121	43	كامل	معزز

- ط -

125	26	بسيط	مغتبطاً
-----	----	------	---------

- ظ -

127	16	كامل	ألفاظاً
-----	----	------	---------

- ك -

129	21	كامل	أحلاكاً
130	2	رمل	عريكة

- ل -

213	22	كامل	غليلاً
131	2	كامل	السؤال
131	2	وافر	سيلاً
136	2	متقارب	وصله
136	2	طويل	لقائل
135	2	وافر	الرجال
136	2	وافر	الذميل
135	2	كامل	تميل

132	49	طويل	احتمالها
139	2	طويل	العالي
139	2	طويل	إمهال
136	36	متقارب	السعال
139	2	كامل	المقول
139	2	كامل	انزل

- م -

141	38	خفيف	سلاماً
151	2	وافر	توأما
152	4	طويل	المتوسم
151	2	بسيط	ألم
152	2	بسيط	ألمي
144	198	متقارب	غراماً

- ن -

153	2	كامل	سلوانا
153	2	كامل	الإنسانا
153	2	رجز	يسحرنا
154	2	طويل	حسان
158	3	طويل	لجينه
159	50	طويل	نعمان
154	62	طويل	أفنان
159	2	طويل	فقداني
159	2	خفيف	هتون
158	2	متقارب	زين

163	2	طويل	أجفاني
- ص -			
165	105	كامل	نواص
- ض -			
173	2	طويل	ناهض
173	34	طويل	الأرض
176	2	طويل	قاضي
176	2	طويل	يرضى
- ع -			
179	2	كامل	جامعه
180	2	كامل	صنائع
177	27	خفيف	دمع
- غ -			
181	50	طويل	رواغ
- ف -			
185	2	طويل	خفيف
186	2	طويل	الحيف
185	2	طويل	تكلف
185	2	كامل	سلافه
191	2	كامل	عطف
185	75	كامل	الأشرف
- ق -			
193	28	طويل	البقا

- س -

197	10	طويل	الإنسا
200	2	كامل	دامس
198	37	كامل	بالإيناس
200	2	مقارب	وناس
200	2	منسرح	باس

- ش -

2001	14	بسيط	مشى
------	----	------	-----

- ه -

203	69	بسيط	فيها
207	2	كامل	النزيه

- و -

209	42	طويل	النوى
-----	----	------	-------

- ي -

216	2	طويل	أحيا
216	17	خفيف	مزايا
215	14	رجز	بدارية

فهرس المصادر والمراجع

المخطوطات :

- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب. مخطوطة المكتبة الوطنية بتونس، رقم: 8134.
- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، لابن الحاج النميري. مخ. الخزانة الملكية بالرباط، رقم: 3267.
- الكتيبة الكامنة، لابن الخطيب. مخ. الخزانة الملكية بالرباط، رقم: 756.
- مذكرات إبراهيم بن الحاج النميري. صورتين لقطعتين بالاسكريال، تحت رقم: 1734 و483 (بمكتبة الدكتور عبد السلام شقور).
- مزاين القصر ومحاسن العصر، لابن الحاج النميري. مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني، رقم: 5670.
- مسالك الأبصار وممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري، صورة عن نسخة المكتبة الوطنية، بباريس.
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، لابن الخطيب. مخ. الخزانة العامة بالرباط، رقم: 256.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com